

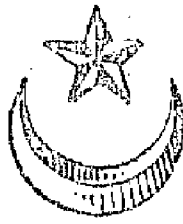
الأدب الإسلامي

« المسلمون مسوقون بنابل دينهم الى طلب »
« ما يكسبهم الرفعة والسؤدد والعزة والمجد »
« ولا يرضيهم من ذلك ما دون الغاية ولا »
« يتوفر شيء من وسائل ذلك الا بالعلم »
(الاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده)

(تأليف)

عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

﴿ ويليه رسالة الحكم النبوية وهي مائة حكمة وحكمة مختارة ﴾
(من الأحاديث الشريفة)
(مشروحة شرحاً وجيزاً عصرياً بقلم المؤلف)
﴿ الطبعة الثانية ﴾



رفع الكتاب

(الى كريم الاعتاب السنية)

أعتاب سمو مليكننا المعظم وخديونا الاكرم عباس باشا الثاني أعز الله
ملكه وأيد عادل سلطانه

بعلو جددك يسعد الدهر والى فخارك ينتهي الفخر

مولاي :

أرفع الى مقامكم السامي وأنا العاجز الضيف هذا الكتاب
ليشرف المؤلف والمؤلف بفخر هو كل الفخر ، وشرف هو منتهى
الشرف ، وما أنا يا مولاي الا غرس النعمة وخادم تلك السدة كما كان
أبي من قبل غرس نعمة الجدد الاكبر وخادم الالباء الاكرمين وان
اختلاف عملانا ، وان منتهى فخري وكل أمني ان يحظى كتابي هذا
الصغير الكبير الذي تطلعت بوضعه في « أدب الاسلام » ديننا القويم
وروح المدينة الصحيحة بالرضا والقبول لدى مولاي ويشرف باسمه
الكريم أيد الله تعالى سمو مولاي المليك بروح منه وأعز ملكه ودولة
نهضة عصره الزاهي الزاهر وحفظ مولاي ولي العهد وسائر الأنجال
الكرام آمين آمين

هذا واني لسمو مولاي الخادم الخاضع الامين

صالح حمدي حماد

ابن المرحوم حماد باشا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مقدمة الطبعة الثانية ﴾

نعم الذخر كتاب تحرى فيه واضعه النفع العام وهو ما توخيته
بحمد الله في كل كتبي وهذا الكتاب المسمى « أدب الاسلام » أحدها
على اني لا أرى في الدلالة على قيمة هذا الكتب الادبية وقد مثل للطبع
مرة ثانية على ذمة حضرة الكتي المحترم امين افندي هندية سوى
الآتيان على كلمة سمو أميرنا المحبوب التي قالها لي مشجماً متعطفاً حين
مثلت بين يديه الكريمتين منذ خمسة أعوام وقدمت الى ذاته العلية
نسخة من طبعته الاولى حيث قال حفظه الله تعالى وأدام تأييده وتمكينه
« كنت اعهد في المرحوم والدك على ما رأيت منه وسمعت عنه
الاخلاص في كل شأنه وعمله وان لك فيه خير قدوة ومثال واني أسر
بما قدمته وتقدمه لي ان شاء الله من هذه الآثار المفيدة واستزيدك
اجتهاداً وعناية بها وان امثال هذه الآثار المصرية لتتفع ليس فقط
بلادنا بل كثيراً من البلدان الشرقية حيث قد اصبحت بلادنا المصرية
بفضل نهضتها الحديثة وارتقاء طباعتها في مقدمة هذه البلدان ومستمد
معارفها في الادب والدين واللغة »

القاهرة في ١٠ رمضان المبارك سنة ١٣٣٥ « ص »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي منح الانسان نعمة العقل ، ووهبه مواهب الفكر ،
وخصه بالحكمة وفصل الخطاب ، واهله التقوى والزمه كتمها ، وتعبدته
بالعلم والمعرفة بذاته وصفاته والوقوف عند حدوده وأوجب عليه تحري
الادب ونشد الكمال ، وتتطلب جليل الخلال وجميل الفعال ، وجعل
الفلاح مقروناً بهذا كله في الدنيا والآخرة ، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد أعظم مرسل بمكارم هذه الاخلاق وأجل مبغوث رحمة
للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً .

أما بعد فهذه رسالة في « أدب الاسلام » جاءت « كقطرة » من
بحره الزاخر أتحت لي الفرصة السعيدة من عون الله تعالى وحسن
تيسيره وتوفيقه بان ألنقطها واجمعها بين دفقي هذا الكتاب معتمداً في
استخراجها على أجلة الكتب الاسلامية والاسفار المحمدية مما يمكن
تشبيهه حال صنيعي له فيه بحال ذلك الانسان الذي رأى نفسه في وسط
حديقة غناء دعت رائحة أزهارها الطيبة وشذى عطرها ومناظرها الجميلة
الى ان يلتقط من قطوفها الدانية فجعل يقتطف زهرة من هنا وزهرة
من هناك فمالث ان رأى في يده « باقة » من الأزهار نضرة المنظر
ذكية الارجح جديرة بان تقدم الى « عروس العقول » من « عالم الادب
العصري » لانها قد جمعت فأوعت او انه قد روعى الحسن والتدقيق

في اختيار اشياها بل لانها مع ما قد راعيت فيها من الایجاز والبساطة
رتبتها ونسقها كما ترى تنسيقاً « يوافق أذواقنا المصرية وقابلياتنا الزمانية
وفهمنا لآداب ديننا وما يجدر بنا العمل به منه » ولكل عصر ذوقه
ولكل جيل قابلياته ولكل مقام مقال ولكل أيام دولة ورجال .

والذي دعاني الى التطفل على وضع هذه الرسالة على هذا النمط
مع قصر الباع وقلة البضاعة انما هو ما قام بالنفس من باعث الرغبة
في خدمة « الادب المصري الحي بشيء حي يناسبه من ادب الاسلام »
فمن ثم تكون رسالتي هذه بالنسبة الى المسلم المصري « كمذكرة » او
« مفكرة » صغيرة جليلة بآداب دينه القويم وبالنظر الى غير المسلم
تكون « كإنموذج » بسيط في التعريف بالحق عن المبادئ الاسلامية
في أدب الاعتقادات والمعاملات والنظامات ثم في ادب النفوس فيما بين
الخلق وبعضهم وفيما بينهم وبين الخالق جل شأنه وعن سلطانه والاسلام
في كل هذا يرمى الى أشرف المقاصد العمرانية واسمى الغايات الانسانية
كما ستراه مبسوطاً بقدر ما يناسب ما اشترطت من الایجاز في هذه
الرسالة ، ولقد قال العلامة المرحوم الاستاذ الشيخ محمد عبده هذه الجملة
بل هذه الحكمة الجميلة الكاشفة عن مرمى المبادئ الاسلامية وقد
حليت بها صدر هذا الكتاب « المسلمون مسوقون بنابل دينهم الى
طلب ما يكسبهم الرفعة والسؤدد والعزة والمجد ولا يرضيهم من ذلك
ما دون الغاية ولا يتوفر شيء من وسائل ذلك الا بالعلم » ولا أرى
القارئ الكريم وقد اطلع على هذه الجملة الحكيمة من الامام الحكيم
رحمه الله الا ساقى الى القول بأن « نعمت الغاية ونعمت الوسطة »
القاهرة في غاية محرم الحرام سنة ١٣٢٥ هـ صالح حمدي حماد

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ أدب الاعتقادات ﴾

مبنى الاسلام على التوحيد - توحيد العرب قبل الاسلام - دلائل
الكون المنصوبة للعقل الدالة على الصانع - الايمان بالرسول والملائكة -
الايمان بما بعد الموت - تفصيل مجمل - نظام العالم دليل الصانع -
نظرية حدوث العالم - هو الاول والآخر - تعالى ان يكون جوهرأ
متحيزا - نفي الجسمية والهرضية - نفي الاختصاص بجهة - معنى
الاستواء على العرش - الرؤية - المعية - الصفات - القدرة - العلم -
الحياة - الارادة - السمع والبصر - الكلام - قدم الصفات - افعال
الله تعالى - الجزء الكسبي الاختياري في الانسان - نظرية تكليف
ما لا يطاق - نظرية ايلام الخلق وتعليمهم من غير جرم سابق - معرفة
الله واجبة بايجاب الله - بعثة الرسل - بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم - الحشر والنشر - سؤال الملكين - عذاب القبر - الميزان
والصراط حق - الجنة والنار حق .

مبنى عقيدتنا معشر أهل الاسلام على التوحيد الخالص
لله تعالى والقيام بتأدية العبادة له عز وجل لأنه المستحق بالحق
للعبادة . ومدار القرآن المجيد كله في العقائد إنما يدور على هذا
القطب وتقرير الحاجة عنه بالتي هي أحسن قال تعالى « إنما
إلهكم الله الذي لا إله إلا هو » « إنما الله واحد سبحانه »

« قل هو الله احد الله الصمد » « الله لا إله الا هو الحي القيوم
وقال تعالى في عباده وحده » وما أسروا إلا ليعبدوا إلهاً
واحداً » « وما أسروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
حنفاء » وقال سبحانه وتعالى في النهي عن الشرك والمحاجة عن
الوحدانية « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » « ولا تدع مع
الله الهاً آخر » « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء » « لو أن فيهما آلهة الا الله لفسدتا » « قل لو
كان معه آلهة كما يقولون اذنت لا يستغوا الى ذى العرش
سبيلاً » الى غير ذلك من الآيات الباهرات في الدلالة على
وحدانية الله تعالى ووجوب افراده بالعبادة مصداقاً لقوله
تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » مما كان
متجرى الاديان السماوية قبل ديننا والرسول الكرام في
دعوتهم قبل رسولنا صلى الله عليه وعليهم وسلم كما قال تعالى
مبيناً لذلك شرع « لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا
اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه » « وما أرسلنا قبلك من رسول الا نوحي اليه
أنه لا إله الا أنا فاعبدون »

ولقد كان التوحيد شائعاً في شبه جزيرة العرب قبل
الاسلام منذ عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام غير أنه على
تمادي الدهور دخلت عليهم الاحداث وعبادة الاصنام
فكانوا كما وصفهم الله تعالى في القرآن المجيد « وما يؤمن
أكثرهم بالله الا وهم مشركون » فجاء الاسلام ماحياً لما كانوا
عليه مجدداً للتوحيد على أكمل الوجوه وأشرف المبادئ .
ناسخاً ما تقدمه من الاحداث والتغييرات التي شابت الدين
خالص بعد الرسل واضماً مع ذلك عن الأمم والشعوب
كثيراً من الآصار وأغلال التكليف التي وضعتها في أعناقهم
التقاليد التي جروا عليها ولا غرو فالاسلام هو بالحق دين
الفطرة التي فطر الله الناس عليها وفي القرآن المجيد « ان الدين
عند الله الاسلام » « ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل
منه »

ودلائل الوجدانية وأثبت الصانع تعالى المنصوبة للعقل
في عالم الحس والمشاهدة من الطبيعة بحذفها قد نص عليها
هذا القرآن المجيد الذي يهدي للتي هي أقوم قال تعالى « الله
الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فاخرج به

من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجروا في البحر بأمره
وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر داثبين وسخر لكم
الليل والنهار وأتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله
لأ تحصوها »

وقال في خلق الإنسان وتدرجه في نشأته « هو الذي
خلقكم من تراب ثم من نقطة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً ثم
تبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل
ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون ، هو الذي يحيي ويميت
فإذا قضى أمراً فأنما يقول له كن فيكون »

وقال في الأرض والجبال والليل والنهار وما أشبه ذلك
« ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً
وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً وبنينا
فوقكم سبعاً شداداً وجعلنا سراجاً وهاجاً وأنزلنا من المعصرات
ماء ثجاجاً لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافاً »

وقال في آية أخرى ان في خلق السموات والأرض
واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع
الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد

موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب
 المسخرين السماء والارض لا آيات لقوم يعقلون »
 والآيات في القرآن المجيد على هذا النمط من التنبيه على
 عظمة الخالق تعالى والتنويه بتفريده بالخلق والانشاء والابداع
 واسباغ النعم على الخلق أكثر من أن تحصى والله ما أجل
 وأنعم تلکم الدلائل الكونية المظيمة منها والدقيقة المنصوبة
 للعقل البشرى والتي يصادفها الانسان أني تأمل وحيثما أجال
 نظره شاهدة ناطقة بتفرد الله تعالى بصفات الجلال والكمال
 والقدرة العظيمة حتى لقد صرخ فلک العربي القمع إذ سئل
 ما الدليل على وجود الصانع تعالى فقل « ان البهرة لتدل على
 البعير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج لا تدل على صانعها
 القدير ! »

وقال تعالى أيضاً مما يشبه ما سلف ويجب على كل مسلم
 تدبره وتعقله كله واستفهام وسائل المعلوم الكونية لاستكناه
 أسرارہ المجبية لانه هو وأمثاله الكثيرة المودعة بطن كتابنا
 المميز مطلوب لنا دينياً فضلاً عن نفعه وثمرته دنيوياً « الله
 الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش

وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر
 يفصل الآيات لعلكم تلتفتون ، وهو الذي مد
 الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها
 زوجين اثنين يفتشى الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم
 يتفكرون ، وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب
 وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل
 بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون»
 وجاء في آية أخرى « ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم
 اذا انتم بشر تنتشرون ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم
 أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك
 لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والأرض
 واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ومن
 آياته منامكم بالليل والنهار وابتعاؤكم من فضله ان في ذلك
 لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يرسم البرق خوفاً وطمعاً
 وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها ان في ذلك
 لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره
 ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا انتم تخرجون »

فترى من هذه الآيات الجليلة وأمثالها الكثيرة في القرآن المجيد ما يبرهن اجل برهنة على وجود الخالق العظيم ووحدانيته تعالى وجميل صنعه وتصرفه في خلقه بالتدبير المحكم وان للعقل الذي وهبنا إياه وتعبدنا به حقه لان يستخدم وليستعمل ثم^(١) وعندى أن هذا الضرب من العلم أجل وأشرف العلوم التي يجب أن يعتمد عليها في المدارس الإسلامية الدينية بمقدار ما يدل من صواب تلك العلوم الفقهية والأخوية التي ينبغي أن يجرى فيها بما يناسب الزمان وأذواقه تصنيفاً وتعليماً بهذا يأخذ العقل والفكر الإسلامي قسطه من الانطلاق المطلوب له في الآيات القرآنية الأئنة الذكر وأن لا يحجر عليه ذلك الحجر الذي أوجدته التقاليد

(١) قال الشافعي رحمه الله في رسالة الفقه الأكبر « أول الواجبات على المكلف النظر والاستدلال الى معرفة الله تعالى ومعنى النظر هو فكر القلب والتأمل في حال المنظور فيه طلباً لمعرفته وبه يتوصل الى معرفة ما غاب عن الحس بالضرورة وهو واجب في أحوال الدين لقوله تعالى انظروا الى ثمره اذا أثمر وقوله فاعتبروا يا أولى الابصار وقول انظروا ماذا في السموات والارض ثم استطرد فيما يرمى اليه من النظر في العالم ذلك الاسم الجامع لما سوى الله تعالى من خلقه اه مؤلف

السائلة بين متن وشرح وحاشية وتقرير وما أردأها من
أساليب معيبة لا توافق مناهج العصر ولا ما تقتضيه أحواله
الارتقائية إلا إذا رضينا بالعودة والاخلاد الى أرض الانحطاط
والتقهقر الذي يبرأ منه ديننا ويجب نفض غباره عن أنفسنا
وسياتي في آخر هذا الكتاب كيف يتطلب أدب النفس مع
البارى تعالى اطلاق الفكر والتفكير والتدبر في مصنوعات الله
تعالى للتقوى في الدين والدنيا مما لا يتوصل اليه الا باستخدام
العلوم الطبيعية والاجتماعية الأدبية

وبعد الايمان بالله سبحانه وتعالى والاقرار له بالوحدانية
والتصرف والقضاء بالتدبير الجميل في الخلق وعدم الاشرار به
تعالى ينبغي الايمان بالرسول رسول الله والملائكة الكرام والكتب
السموية كما نص عليه تعالى في محكم هذه الآيات « آمن
الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا
سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير »

ولما كانت الدنيا ليست بالدار ذات الخلد والقواريل هي
كما جاء في الحديث الشريف مزرعة الآخرة تلك الدار الباقية

حيث الحياة الأبدية حيث السعادة السرمدية والنعيم المقيم ،
حيث الحياة بأشرف كالاتها ومعانيها . كما يقول به ويعتقده
الكثير من بني البشر خصوصاً أصحاب الأديان السماوية
والاسلام في مقدمتها كما نطقت به آيات القرآن الكثيرة فلهذا
وجب الايمان فيه والاعتقاد بما بعد الموت من الجنة والنار والحشر
والنشر ، فالجنة للمؤمنين بالله ورسوله الماملين بما أصرروا به
وكلفوه في هذه الدار من الاعمال الصالحة والتكاليف الواجبة ،
والنار مشوى للكافرين العاصين المخالفين لأوامره ، وان هناك
حساباً وميزاناً يحاسب المبد بهما (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً
يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) والآيات في القرآن الكريم
والاحاديث في هذا كثيرة ولتفصيل هذا الاجمال أقول

كل امرئ عاقل أنار الله بهيرته وجلا صمداً ففكره
وثقف بالعلم الصحيح لبه لا يفوته عند التأمل الدقيق والتدبر
الحسن في نظام هذا العالم ومعجائب الصنع في الكون المكشوف
للقلوب والبصائر كما هو مكشوف للأعين والابصار فيما حوى
من سموات وأرضين وحيوان ونبات ومعدن وشعوب مختلفة
وقبائل انسانية متباينة هل ظهر كرتنا هذه الارضية الحظيرة

التي هي بالنسبة الى الكون أو ملكوت الله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حكمة ملقاة في فلاة» ان هذا «الخلق» العجيب والصنع الجليل لا بد له من خالق عظيم وصانع حكيم صنعه وهو يدبره أحسن التدبير ، وهذا الصانع الكريم في اعتقاد أهل الاسلام هو «الله» سبحانه وتعالى فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة وقد دل على نفسه بنفسه وأنبأ عن ذاته وصفاته بالنظر الينا معاشر المسلمين في القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم نبي الاسلام والذي أرسله رحمة للعالمين فضلاً عما سلف في نبوة الانبياء والكتب الماضية وعما غرسه تعالى في الفطر الانسانية السليمة^(١) لتري الدلائل المنصوبة في العالم نفسه وان هذا العالم «حادث» يرجع الى «محدث» لمدام الاستقناء عنه وبرهان حدوث العالم أن أجزاء هذا العالم إما متحركة أو غير متحركة والحركة والسكون قد يعلم بالبداهة حدوثهما كما يعلم كذلك أن ما لا يخلو من الحوادث

(١) كان اللام الحكيمة القديمة كاليونان ونحوهم هدايتها في معرفة

الصانع تعالى بطريق الرياضة العقلية . راجع رسالة الفوز الاصغر لابن مسكويه ونحوها .

فهو مثلها في الحدوث فالعالم اذن حادث ومحدثه بالاتفاق عند
 أهل الأديان السموية ومن نحأ نحوم هو الله تعالى كما قال
 تعالى مشيراً الى ذلك من اعترافهم (ولئن سألتهم من خلق
 السموات والارض ليقولن الله)

وإذا كان هذا العالم العظيم الصنع حادثاً فلا ريب أن الله
 محدثه تعالى قديم أزلي لا بداية له . وبرهانه انه لو كان حادثاً
 لاحتاج الى محدث واحتاج محدثه الى محدث وهلم جرأ وما
 تسلسل من الحوادث فلا بد من الانتهاء به الى محدث قديم
 هو الاول ، في الحديث الشريف (كنت كنزاً مخفياً فأحببت
 أن أعرف خلقت الخلق في عرفوني) فالله تعالى قديم لا بداية
 له وما حوادث الكون في تسلسلها وارتباطاتها مهما عظم قدمها
 ومهما قيل في كيفية خلقها الا وتنتهي الى مبدعها الاول الله الذي
 أنشأ النشأة الاولى واليه ترجع النشأة الآخرة لان ما وصف
 بالقدم المطلق استحال عليه المدمم البتة فالله سبحانه كما لا أول
 له فهو كذلك لا آخر له بل هو تعالى كما وصف نفسه في
 الكتاب العزيز (الاول والآخرة والظاهر والباطن) تفنى
 الحوادث والموالم وهو باق أزلياً سرمدياً تقدس في علاه

وهو تعالى ليس بجوهر متحيز لان الجواهر المتحيزة كما
قال جماعة المتكلمين مختصة باحيائها ولا تخلو من أن تكون
ساكنة فيها او متحركة عنها وما لا يخلو من الحوادث فهو
حادث ، و لو تصور متحيز قديم لتصور في المستقبل قدم جواهر
العالم على ان من سماه تعالى جوهرًا ولم يرد به الجوهر المتحيز
لا يكون مخطئاً الا من حيث اللفظ دون المعنى

واذا كان الله سبحانه وتعالى ليس بجوهر متحيز فانه يعلم
بالضرورة انه ليس « بجسم » لان الجسم مؤلف من جواهر
مترتبة وما كان مركباً احتاج الى حيز والى اجزاء قابلة للافتراق
والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه كلها من
صفات الحدوث في المخلوقين فصانع العالم اذن ليس بجسم

واذا كان تعالى ليس بجسم فيكون بالاولى ليس بهرض
حال في جسم كذلك لانه اذا كانت الاجسام محدثة لما تقدم
من تركيبها وافتقارها الى الاحياز فالاعراض القائمة بها يعلم
بالضرورة حدوثها بل هي أخرى بان توصف بصفة الحدوث
من الاجسام القائمة هي بها والله تعالى خالق الاجسام
والاعراض ومبدع دقائقها ورقائقها من المركبات والبسائط

واليه تعالى مرجع القوة فيها جميعاً ما ظهر منها وما بطن
ثم انه تعالى منزله الذات عن الاختصاص بجهة من
الجهات لان الجهة إما فوق وإما تحت وإما عن اليمين وإما عن
اليسار وإما أمام وإما خلف والجهات محدثة مخلوقة بواسطة
خلق الانسان بكيفية ان له طرفين يمتد باحدهما على الارض
التي تقفه وهما رجليه والطرف الآخر يقابله وهو الرأس فحدث
الانسان اسم الفوق لما يلي ناحية رأسه وخصص اسم التحت
لما يلي قدميه الى آخر ما اصطلح عليه في ذلك وبهذا الاصطلاح
يكون مثلاً اهل نصف الكرة الارضية التي تقابلنا مسمين أبدأً
فوقاً ما نسميه نحن تحتاً وكذلك يخالفوننا في تمييز الجهات
الاربعة بحسب الأوضاع . فمن ثم نعلم حدوث الجهة وتمييزها
اصطلاحاً وما كان كذلك فאלله تعالى منزله أن يختص بناحية
منه ولو كان الانسان خلق مستديراً كرى الشكل لما كان
لهذه المسميات وجود البتة بالنظر اليه كالكرة الارضية
وكالكرة السابحة في فضاء الله العظيم من السموات فالجهة
محدثة بهذا الاصطلاح والله تعالى ارفع من أن يختص بجهة
حادثة اصطلح عليها محدث بالتمييز والتخصيص والله تعالى يقول

« فأين ما تكونوا فثمَّ وجه الله » بالمعنى المقصود له تعالى من القرب والتقريب الى العباد على ان ما جاء في أدب الاسلام من رفع الايدي في الدعاء الى السماء فهو أبداً للتعظيم والرفعة ولان الله تعالى فوق عباده بالسلطان والمظنة ولان السماء المكشوفة لسكان الارض الضعفاء مشهد من شاهد ملكوت الله تعالى مصدر الرحمت والفيوضات العظيمة - أما تولية الوجوه في الصلاة شطر الكعبة بيت الله الحرام ، بيت الحليل ابراهيم عليه السلام فالتقريب والتسهيل في التعيين أيضاً ولان الكعبة « أول بيت وضع للناس مباركاً » فاختارها النبي صلى الله عليه وسلم قبلةً له وارضى الله بها عباده المسلمين

أما مسألة الاستواء على « العرش » التي نص عليها الكتاب المجيد « الرحمن على العرش استوى » فليس المراد بها كما قال أجلة علماء السلف وبالمعنى الذي اراده الله تعالى انه استواء استقرار وتمكن يلزم منه الجسمية لذات الله تقدس وتنزه في علاه لانه محال وانما هو استواء قهر واستيلاء كالمفهوم من قوله تعالى في آية الكرسي « وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم »

ورؤية الله تعالى في الدنيا غير مقول بها لقوله تلك
« لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار » وقوله تعالى في
خطاب موسى عليه الصلاة والسلام « ان تراني » وان كانت
الرؤية جائزة عقلاً بغير تعيين جهة او صورة لانه اذا كان تعالى
ليس مختصاً بجهة فبالضرورة جازت الرؤية عقلاً كذلك من
غير كيفية ولا صورة او جهة ، أما مسألة المعية بحق الخلق
« وهو معكم أينما كنتم » فمعتقد اسلامياً مع نفي الاينية الجسمية
او الحلول بحقه تعالى لان قربه تعالى ليس كقرب الاجسام قال
الشيخ محمد المغربي الصوفي الشافلي هذه الحكمة العالية في
المعية قال « معيته تعالى ازلية ليس لها ابتداء وكانت الاشياء
كلها ثابتة في علمه ازلاً يقيناً بلا بداية لانها متعلقة به تعلقاً
يستحيل عليه المدم لاستحالة وجود علمه الواجب وجوده بغير
معلوم واستحالة طريان تعلقه بها لما يلزم عليه من حدوث علمه
تعالى بعد ان لم يكن . وكما ان معيته ازلية كذلك هي ابدية ليس
لها انتهاء فهو تعالى معها بعد حدوثها من المدم عيناً على وفق
ما في العلم يقيناً وهكذا يكون الحال أينما كانت في عوالم بساطتها
وتركيبتها واضافتها وتجريدها من الازل الى ما لا نهاية له »

هذه هي أمهات الباب في أدب الاعتقاد بالنسبة الى ذات الله تعالى القدسية من الوجود والوحدانية والقدم والبقاء ومخالفة الحوادث مجمة أما ادب الاعتقاد الاسلامي بالنظر الى الصفات صفات الله تعالى القدسية فأولها الاعتقاد « بالقدرة » للصانع العظيم والمدير الحكيم، وهذه الصفة من القادر والقدير والخالق والمبدع والمنشئ والمعيد الخ كلها طافح بها القرآن المجيد وبرهان القدرة قدرة الله تعالى العظيمة من العقل ان العالم محكم الصنع متقن النظام لان من رأى حقيقة منسقة الفراس مرتبة الشجر منظمة المسالك وتوهم صدورهما من غير ناطور (بستاني) ماهر حاذق في فنه وبعبارة أخرى من غير قادر على ترتيب ذلك بمهارة وعقل كان منجلاً عن غريزة العقل نفسه منخرطاً في سلك اهل الجهل والغباء

ثم الاعتقاد « بالعلم » علم الله واحاطته تعالى بجميع المخلوقات علماً فلا يعزب عن علمه تعالى مثقال ذرة في الارض ولا في السماء والقرآن كله ناطق بان الله عز وجل محيط بجميع المعلومات لا يعزب عن علمه شيء ذق أو جل خفي أو ظهر لا في الارض ولا في السموات العلى فالله بكل شيء عليم ولقد جاء من بين

الآيات القرآنية الكثيرة في علم الله هذه الآية على طريقة الاستفهام التعجبي استهزاء بقول بعض الجاحدين « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » وفي الآية الارشاد الى الاستدلال بالخلق على علم الله تعالى إذ لا ريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المتقن المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقيقير الضعيف على عظيم علم الصانع بكيفية الترتيب والاتقان والاحاطة بكل شيء .

وفي كل من صفة قدره والعلم ما يدل بالضرورة على صفة « الحياة » له تعالى لانه لا يتصور صدور القدرة والعلم والخلق والابداع عن غير حي كما لا يتصور مثلاً من انسان أنه قادر وعالم وفاعل بلا حياة وهو مالا يقول به عاقل أو يتصور في عقل انسان

« الارادة » من صفات الله تعالى فهو « المبدئ المعيد الفعال لما يريد » فلا موجود الا وهو موجود بمشيئته وارادته وحكمته وكيف لا يكون مريداً مختاراً وكل فعل يصدر منه تعالى أمكن ان يصدر منه ضده وما لا ضده له أمكن ان يصدر منه فذلك بعينه قبله أو بعده والقدرة صالحة للضدين والوقتین

فلا بد من الإرادة الصارفة الى أحد المقدورين ولو أغنى العلم
عن الإرادة في تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد في الوقت
الذي سبق العلم بوجوده لجازان يفني عن القدرة لانه يقال
وجد بغير قدرة لسبق العلم به وليست ارادة الله في السنين
الكونيه بالتي هي كالتى للخلق من حيث انفاذ امر والمعدل
عنه إذ ذلك محال بحق الله تعالى واجب الوجود لاني هذا من
توابع حاجات البشر ونقصهم في العلم عن الكمال فتغير الارادات
بحسب ذلك من البواعث .

« السمع والبصر » من صفات الله تعالى التي وصف بهما
سبحانه وتعالى نفسه في الكتاب العزيز في آيات كثيرة « اني
مما اسمع وأرى » « وكان الله سميعاً بصيراً » « ليس كمثل
شيء وهو السميع البصير » فالله تعالى سميع بصير لا يعزب عن
رؤيته هواجس الضمير وخفايا الهمم والتفكير ولا يشهد عن
سمعه ديب أصغر الميكروبات التي لا تراها أعين الآدميين
فضلاً عن سماع حركاتها في غدواتها وروحانياتها ، واذا كان من
كمال الخلق السمع والبصر فكيف لا تكون صفة هذا الكمال
للخالق العظيم تعالى على ما يناسب كماله بلا جارحة ولا أعضاء .

ومن الصفات الواجب اعتقادها بحق الرب تعالى «الكلام»
وهي صفة قائمة بذاته العملية لا تكون بصوت ولا بحرف وبرهان
كلام الله تعالى ظاهر من الوحي الى الانبياء وخطابهم بالارؤية
مصدقاً للآية الشريفة « ما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً
أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء »
وبرهان الكلام على تلك الصورة « وكلم الله موسى تكليماً »
« ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه » « فأوحى الى عبده ما أوحى »
ولا يشبه كلام الله تعالى بهذا المعنى كلام المخلوقين كما لا يشبه
وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وما قطعت
الاصوات والحروف بحق المخلوقين الا لضبط الكلام بحسب
الاصطلاحات وسهولة الدلالات كما قد يدل عليه بالاشارات
والحركات .

وكل من الكلام القائم بالذات وجميع الصفات التي سبقت
لله تعالى قديمة كذاته تعالى لانه يستحيل ان يكون محلاً للحوادث
لما تقدم من ان محل الحوادث حادث بل هو تعالى لم يزل في
قدمه تعالى موصوفاً بمحاسن الصفات ولن يزال في أبده منهوتاً
بنهوت القدم والجلال منزهاً عن تغير الحالات وكذا علمه تعالى

قديم فانه لم ينزل عالماً بذاته وصفاته وما يحدثه في مخلوقاته بالعلم
الازلي والقدرة الازلية والارادة أي المشيئة الازلية المتعلقة
بأحداث الحوادث وفق سبق علمه الازلي بها .

وإذا قد انتهيت من بحث الصفات فلا أنتقل الى أدب
ما يجب اعتقاده في الاسلام بخصوص أفعال الله تعالى فاعلم
يا هذاك الله أن كل ما يحدث في العالم عالم الكائنات فهو فعله
تعالى وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا محدث في الحقيقة
الا اياه وكذا القدرة التي للعباد مخلوقة له تعالى وكذا حركاتهم
ومسكناتهم متعلقة بقدرته كما قيل « الحركة والسكون بيد الله »
وفي الآيات القرآنية برهان هذا ومصدق أصره قال تعالى
« الله خالق كل شيء » وقال جل شأنه « والله خلقكم وما
تعملون » ومن هنا تعلم ان افراد الله تعالى بخلق حركات العباد
لا يخرج ما لهم من « عمل » أو ما يجب اعتقاده منه فيهم لدلالة
الآيات القرآنية الكثيرة عليه وان فينا ذلك « الجزء الكسبي
الاختياري » الواقع في افعالنا وارادتنا الذي وقعت عليه
التكاليف والذي خوطب البشر وادينوا به وجوزوا عليه الجزاء

الحق بمقتضى الشرائع من تعبدية وتعاملية كما وعدوا عليه الجزاء
 الاخروي ، وهذا الجزء الاختياري في افعالنا عظيم مبناه على
 العقل البشرى المستمد نوره من نور الله ومصداقه من القرآن
 كثير فهو من جهة خالق للرب ومن جهة اخري كسب أى
 فعل للعبد وتقره الله بعلم ما هو كائن له منه فقدرة العبد خلق
 للرب كسب للعبد وكذا الحركة والاختيار الواقعان منه وأنت
 إذا تأملت هذا جيداً تر أن الاسلام أو بمباراة اخرى المبدء
 السنى منه قد كل أدبه بهذا الاعتقاد وأعتدل قوله وخلص
 مبدؤه بالنظر الى أفعال البشر فلم يدخل في « الجبر » المحض كما
 قال به « الجبرية » القدماء ومن اهل الاسلام ايضاً كما لم يقل
 بمبادئ « المعتزلة » القدرية أولئك الفلاسفة الاسلاميين
 الذاهبين الى أن البشر إنما هم الذين يحدثون أفعالهم واراداتهم
 وليس لله فيها من أثر البتة فمن ثم وقف المبدأ السنى بين بين
 حتى يخرج من شناعة أهل الجبر فيما ذهبوا اليه وجرأة الفلاسفة
 الاعتزاليين فيما تجرأوا به على الله تعالى ويوفق بين الآيات الدالة
 على تصريف الله في عباده بما شاء وشاء مبدأ الخلق له تعالى
 وفق العلم الازلى وأمر التكليف في الاعتقادات والعبادات

والشرائع وتركبة النفوس والجزاء بالثواب والعقاب الاخرين
خصوصاً في مقابل الطاعات وفي مقابل الذنوب .^(١)

فعمل العبد على مقتضى هذا المبدأ السني المتعدل وان
كان كسباً للعبد الا أنه في الحقيقة لا يخرج عن كونه بقضاء
الله تعالى وسابقاً في علمه تعالى للجزم في العقيدة عقيدة أهل
السنة والجماعة بأن ما يجري في الملك والمملوكوت إنما هو بقضاء
الله وقدره وعلمه فمنه تعالى الخير ومنه تعالى الشر ما شاء كان وما
لم يشأ لم يكن وهو معنى دقيق طالما زلت فيه أفهام وحارت
عقول على ان الآيات ناطقة به صريحاً فاعصى عاص ولا
اهتدى مهتداً الا بتوفيق الله تعالى وهدايته وسابق علمه فيه
وان كانت سبل الهداية قد بينت من قبله تعالى للجزاء عليها
بحق المهتدين كما بينت طرق الفوارة والشرور لتجنبها بحق
الضالين والله تعالى في خلقه شؤون وتصاريف تعجز عن كنهها
عقول القاصرين مع ان هناك آيات ناطقة به « ولو شاء ربك
لهدى الناس جميعاً » « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة »

(١) حكى في الصدد الامام ابن تيمية اقوالاً نفيسة في رسالة شرح
حديث أبي ذر كما فصلها غيره من الأئمة أيضاً أحسن تفصيل اه مؤلف

بيدانه مهما كان من هذا المبدأ الاعتقادي فليس للانسان وهو المكلف في حده ذاته إلا أن يعمل لما فيه الخير ليوافق مراد الله تعالى لمباداه منه كما نطقت به آيات اخر قال تعالى « قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها » (عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » « فاستبقوا الخيرات »

وقال تعالى في خطاب المؤمنين للملازمة التقوى « يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم » ويفر لكم والله ذو الفضل العظيم » وآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) وقال تعالى في آية اخرى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فقد وقع اجره على الله (والآيات في المعنى كثيرة .

ومن كمال الادب في الاعتقادات الاسلامية السنية أن يعتقد أن الله تعالى كما قد تفضل بالخلق وتفرّد بالانشاء تطول كذلك بتكليف العباد وتعريفهم طريق هدايته ولم يكن الخلق ولا التكليف واجباً عليه البتة كما ذهب اليه المعتزلة

وانما وجد للسابق في علمه الازلي وحكمته العظيمة ومشيشته
 الكريمة وانه يجوز لعموم التكليف الذي تفضل به تعالى لصاحبه
 العباد انفسهم أن يكلف العباد مالا يطيقون وبعبارة اخرى
 مالا حظ لهم من توفيقه وهدايته لهم فيه للسابق في علمه تعالى
 بحق بعضهم ولنا برهان ذلك في ابلاغ رسوله الكريم صلى الله
 عليه وسلم أن أباجهل لا يصدق ولا يؤمن به ثم أمره إياه
 بأن يأمر أن يصدق ويؤمن بالله العظيم . ونيس هذا في شيء
 من معنى الآية الكريمة القرآنية (لا يكلف الله نفساً
 الا وسعها)

ومن تمام هذا الادب في الاعتقاد عند أهل السنة
 والجماعة اعتقاد جواز أن لله تعالى إيلاء الخلق وتعليمهم من
 غير جرم سابق ولا ثواب لاحق لانه متصرف في ملكه ولا
 يمد المتصرف في ملكه ظالماً كما شاغب به المعتزلة في مقولاتهم .
 هذا هو مبدأ (الجواز) الواجب التسليم به اعتقادياً غير أن لله
 تعالى في مقابله مع ذلك الرحمة غير المتناهية كما قد نطقت به
 الآيات وهدت عليه الآثار بل أوشد اليه العقل السليم لان
 أفعال الله كلها مبنية على الحكمة التي تقصر دونها عقولنا وعلى

العدل والرحمة فهو تعالى لم يتفضل بالخلق عبثاً ولا كلفهم من
التكاليف بحسب المقصود بها هنا فوق طاقتهم وورع بالثواب
على الحسنات العملية أضعافاً مضاعفة وتوعد بالعقاب (وجزاء
سيئة بمثلها)

وهو تعالى مع ما غرز في عقولنا وأمرنا به من العمل
لمصلحتنا بمعونته ونوفيقه في حياتنا أثاب على ما قد نبقى به من
الحسن والآفات والأصراض وأرشد العقول وهدى القلوب الى
الوسائل العلمية والعملية لدورها وإزالتها مع التزام (الصبر) والتدبر
بالإناة والاطاعة لأمره وحكمته وقضائه وقدره في الأحوال
السيئة حسياً ومعنوياً بلا تسخط ولا تضجر حتى لا يبط
أجرنا ونال الثواب العظيم ثواب « الصبر » وجزاء الذي بشر
به في قوله تعالى « وبشر الصابرين » ولهذا المبحث بقية مستوفى
في آخر هذه الرسالة

والقرآن المجيد والسنة البيضاء كلها ملأني بهذا وأمثاله
الكثيرة فالله تعالى لا يضيع عمل عامل ولا جزاء صابر ولا يخل
بمعونة المستعين به على الخير اللاجئ الى بابه المستروح بامداده
ولتمام الرحمة الصمدانية جعل أن لا يعذب إلا بعد البلاغ وتمام

الرسالة « وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا » كما قد قيده
 الاهلاك وازالة الامم بالتزام الفساد والاسراف في الامور أو
 عدم الصلاح للخلافة الارضية (وما كان ربك ليهلك القرى
 بظلم وأهلها مصاحفون) و (ما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون)
 ومعرفة الله تعالى واجبة بإيجاب الله تعالى وشرعه وبالعقل
 فيما يقتضي الاستدلال المنصوص عنه شرعاً لا بالعقل فقط كما
 هو مذهب المعتزلة لان العقل وحده لا يؤدي الى التصديق
 بالله وبشرائعه بمفرده وأنت بأدنى تأمل في احوال الامم
 واختلافها في التقاليد والمعتقدات تر أن العقل لا يؤدي في
 الغالب الا الى السبل المتفرقة وان عرف الصانع فمن ثم بعث
 الله تعالى النبيين والمرسلين مبشرين ومنذرين للحكمة البالغة
 وسبق العلم الاذلي بان لا صلاح للعالم الا بهذا فلا يكون للناس
 على الله حجة بعد الرسل « ومع اختلاف الشرائع وطرق تأدية
 العبادة التي جاء بها الرسل ونحوها فان مبدأ الاعتقاد الذي أتى
 به الجميع واحد من حيث التوحيد وعدم الاشراك بالله وتزويده
 تعالى وتقدسيه وهو أعظم العبادة المطلوبة بل هو الاصل في
 النجاة الاخرية وهذه العبادة وما يتبعها من مراعاة الشرائع

والعمل بها بحسب مقتضيات الزمانية لم يكن شيء من ذلك
البتة الا في مصلحة البشر انفسهم لان الله تعالى غني عن
العالمين لا ينتفع بمعبادة عابد ولا يضره كفر كافر ، فالرسل في
البشر كالاطباء لانه كما احتاج الناس الى الاطباء لتطبيب
ابدايمهم وسلامتهم من المطب احتاجوا كذلك وعلى شكل أعظم
وأشرف الى اطباء النفوس من الرسل والنبين لان أمراض
النفوس شر من أمراض الابدان وهذا لا ينافي هداية المقول
البشرية التي جعلها الله لها لانها ممرضة للخطاء والضلال وهي
تلمس الحق لجولها به فمن ثم احتاجت الى مرشد مسموي
يريه الهدى والضلالات ضلالا وبمد هذا الارشاد وذلك
التبيين تصير غير معذورة بل تصير مسؤولة فيما أرشدت اليه
في مصالحها الدينية والدنيوية

واذ كانت بعثة الرسل جائزة ولازمة كما هو مبين باكثر
من هذا في كتب التتائد ومحقة بمن بعثهم الله تعالى من
الرسل السابقين والانبياء المتقدمين وقد قامت البراهين والحجج
على صدقهم وبالاستعداد من انوار شرائعهم استفادت الامم
مؤمنه وغير مؤمنه ، واذا كان هذا الامر أصر بعثة الرسل

جارياً في سنن الخليفة ومسلماً به لدى الآدميين في الجملة والذي
 يجب اعتقاده بحقهم على ما هو مفصل في كتب العقائد ، وإذا
 كان لكل شيء عند الله وقته والسابق في علمه تعالى من حاجة
 البشر واقتنارهم الى تجديد الاصلاح ونصب أعلام التوحيد على
 أمثـل أسـاس في الوقت الذي أراده واختاره سبحانه وتعالى لهذا
 بعث سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وأشرف
 المرسلين بشريعة الاسلام محبباً للايمان منادياً بالاسلام في
 الزمن الذي انتقاه والوقت الذي اختاره مؤيداً بالحجج البالغة
 والمعجزات الباهرة ولا سيما معجزة القرآن المجيد الذي بين فيه
 حقيقة الايمان وهداية النفوس باحسن الاقوال واشرف المبادئ
 الادبية والاجتماعية واصول التوحيد بمقتضى قواعد عامة تصلح
 لكل زمان ومكان فلما جاء الرسول بهذا ولما قام من بشارات
 الانبياء السابقين به لهذا لزم الخلق تصديقه والايمان بما جاءنا به
 من عند الله للفوز بالسعادة الحقيقية الابدية على نحو ما بشر الله
 به المؤمنين الذين يستمعون القول من عند الله فيتبعون أحسنه
 ولا أحسن ولا أشرف ولا أوسط في اعتبارنا معشر المسلمين
 مما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فرسالة هذا النبي

الكريم والرسول السند العظيم جاءت نعمة عامة من الله تعالى
كما قال سبحانه وتعالى « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »
« وأرسلناك للناس بشيرا ونذيرا »^(١)



أما السميات الواجب الاعتقاد بها وتصديقها من حيث
الحشر والنشر وقد ورد بهما الشرع ومعناها الاعادة بعد الموت
فهو في العقل ممكن لانه من مقدور لله تعالى ولان فيهما الجزاء
الحقيقي والحياة الصحيحة بعد مجاوزة عقبتها من الموت قال تعالى
« كما بدأنا أول خلق نعيده » وقال تعالى « قال من يحيي المظالم
وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة » وقال عز من قائل
« ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة »^(٢)

ومن السميات الواجب التصديق بها سؤال الملكين
في القبر فقد وردت به السنة وهو ممكن في نفسه إذ ليس

(١) يراجع في الفضائل الشفا للقاضي عياض وبالنسبة لتقرير امر
الرسالة الجواب الصحيح لابن تيمية اه مؤلف (٢) يراجع تفسير
الرازي والفصل لابن حزم في مسألة الحشر والنشر والاعادة الخ
اه مؤلف

يستدعي ذلك غير اعادة الروح الى جزء من اجزاء البدن التي
 يفهم بها الخطاب وعدم سماع الاحياء للسؤال هو كما لا نرى
 من النائم غير سكونه بظاهره مع انه قد يكون مدركاً بباطنه
 لآلام والمذات قد يحس بها ويشعر عند تنبهه ، ولقد كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع كلام جبريل عليه السلام
 ويشاهده ومن حوله لا يرونه ولا يسمعون كلامه .

وعذاب القبر حق وقد جاء في الحديث : القبر إما روضة
 من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار ، ولا يمنع منه تفرق
 اجزاء البدن مثلاً في بطون السباع وحواصل الطير ونحو
 ذلك إذ المدرك للذة أو ألم العذاب من الانسان إنما هو جزء
 يعلمه الله من نفس الانسان

والميزان حق ويجب التصديق به . قال تعالى : ونضع
 الموازين القسط ليوم القيامة ، وقال عز من قائل : فمن ثقلت
 موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه ائله ، وكذا
 الصراط يجب التصديق به لورود الخبر به أما صفته وصفة
 الميزان فما لا يعلم حقيقتها الا الله تعالى .

ويجب التصديق بالجنة والنار وانهما مخلوقتان قال تعالى

« سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض
 أعدت للمتقين » وقال تعالى « ومشى الكافرين النار » والآيات
 في الجنة والنار والجزاء بهما على الاعمال إن خيراً فالجنة ونعيمها
 وإن شراً فالنار وسعيرها كثيرة وكذلك الاحاديث للترغيب
 والترهيب « فلك هدي الله يهدي به من يشاء من عباده
 والماقبة للمتقين »^(١)

(١) يراجع على هذا الفصل تفسير الرازي واحياء الغزالي
 والاقتصاد في الاعتقاد له اه مؤلف



﴿ الباب الثاني ﴾

(أدب العبادات)

العبادات - الطهارة - اقسام الطهارة - الوضوء - الغسل -
 التيمم - طهارة الثوب واجزاء البدن - النظافة من الايمان - الصلاة
 عماد الدين - خمس صلوات كتبهن الله - عدد الركعات واوقات الصلوات -
 اركان الصلاة - المندوبات تسبيح الركوع وتسبيح السجود - القدوت -
 مكروهات الصلاة - فريضة الجمعة - النوافل - الآذان والجماعة -
 روح الصلاة - فرض زكاة الاموال - على من تجب الزكاة ومقدارها -
 مقدار زكاة النعم - زكاة الزرع - لمن تصرف الزكاة زكاة الفطر - الاوقاف
 والحبوس - الصوم وفضله - لوازم الافطار - سنن الصيام - آدابه
 الجميلة - ذكرى البيت الحرام - اركان الحج - فضل الحج - زيارة
 قبر النبي صلى الله عليه وسلم - القرآن المجيد - ادب تلاوته الذكر
 والدعاء والصلاة على النبي .

قال الله تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدوني »
 فعبادة الله تعالى في شريعة الاسلام فرض على كل مسلم عاقل
 وهي تتركب من معتقد وقد تقدم بيانه وأفعال إما بدنية وإما
 مالية وكلها راجعة الى فائدة البشر ومصلحتهم أنفسهم إذ الله تعالى
 أجل وأعز من أن يفيد عبادة عابد أو أن يضره كفر كافر
 كما سبقت الإشارة اليه وإنما مرجع الفائدة والمضرة الى الناس

بل الحكمة في المباداة وأسرارها الأدبية التي هي روحها وقوامها
ترجع كلها إلى الخلق من ثواب وعقاب وقرب وبعد كما قد
نطقت به الآيات القرآنية والآثار النبوية .

*
* *

ولنبداً بالطهارة أي نظافة أجزاء البدن من النجاسات
والاقتدار بالماء الطاهر للدخول في المباداة من الصلاة التي هي
أهم أركان المباداة وعماد هذا الدين لأن ذلك تزيين للظاهر
ولأن من يدخل في حضرة الملك يجب عليه أن يكون نظيف
الظاهر فكذلك الله تعالى ملاك الملوك فإن من يقف بحضرة
وبين يديه في الصلاة لا بد له من أن يدخل هذا المدخل
ويقف ذلك الموقف نظيفاً طاهر الظاهر كما يدخل نقي الباطن
مخلص القلب « والله يحب التوابين ويحب المتطهرين »
والطهارة عندنا مباشر أهل الإسلام تنقسم إلى طهارة
« خبث » وهي طهارة بدن المصلي وتوبه ووسائله من
أعيان مستقدرة ، وطهارة « حدث » وهي طهارة البدن من
أحوال اعتبارية تسمى أحياناً يعتبر قيامها في بدن الإنسان
عند حدوث أمور مخصوصة ، وهي تنقسم قسمان طهارة صغرى

وتسمى « وضوءاً » وكبرى وتسمى « غسلاً » والتميم بالمصميد الطيب من التراب أو ما في حكمه يقوم حكماً مقام الماء في إباحة الصلاة لضرورة كما سيأتي بيانه بعد ، ففتاح الصلاة الطهور وهي لا تقبل الا به كما في الحديث الشريف « لا تقبل صلاة بغير طهور » والحديث الآخر « لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ »

والوضوء كما تراه مبسوطاً في كتب الفقه ^(١) منه فرض ومنه سنة ، فالفرض بعد التسمية ما ذكر الله تعالى في الآية المتعلقة بالوضوء من الكتاب العزيز « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين » وما بقى من المضمضة والاستنشاق والاستنثار والتكرير ثلاثة والاسباغ فسنة . والوضوء ركن من أركان الصلاة وهو لا يقع الا في الحدث الأصغر من مثل خروج خارج من أحد السبيلين عينا كان أو

(١) كتب الفقه بحسب المذاهب الاربعة عندنا كثيرة في كل مذهب قرر أئمتّه وعلماءؤه في قروع العبادات والمعاملات الامورالكثيرة وكلها لا تختلف عن بعضها والبعض الا اختلافاً يسيراً اه مؤلف

ريحاً وباقي النواقض الموجبة لتجديد الوضوء خروج دم أو
قيح أو قيء ملء الفم أو النوم مضطجماً أو مستنداً إلى آخر
ما تراه مستوفي الشرح في كتب الفقه الاسلامي ، وللوضوء
فضائل ومزايا جليلة حتى لقد يستحب تجديده ولو لم يكن ثم
موجب من ناقض عند القيام إلى الصلاة وفي الحديث الشريف
« ان أمتي ليدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء
فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل »

أما الفصل وحكمه من القرآن المجيد قوله تعالى « وان
كنتم جنباً فاطهروا » وقوله عز وجل « لا تقربوا الصلاة وأنتم
سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى
تغتسلوا » ويبدأ الفصل بالوضوء ثم بإفاضة الماء على عموم
الجسد والدلك وتخليل الشعر إلى آخر ما في الباب مما قد
تكفلت بتفصيله كتب الفقه والسنن وكذا حكمه بالنسبة إلى
الحيض عند النساء وفي النفاس مما هو من أهم شروط حفظ
صحة البدن في جميع أحواله^(١)

(١) راجع الشرح الصغير للشيخ الدردير وصحيح البخاري ومسلم

وغيرهم اه مؤلف

والتيمم فرض إذا تمذر استعمال الماء سواء للوضوء أو
للغسل إما لفقده وإما لشدة الحاجة إليه لسد المطش أو كان
بالإنسان مرض من جراحة ونحوها يخاف عليها منه إذا
استعمل الماء والتيمم لا يتناول غير المسح على الوجه والأيدي
مرة واحدة بالضرب على الصعيد الطيب الطاهر أو مافي
حكمه ولا يجزى إلا في صلاة واحدة ، وربما أن التيمم ما شرع
إلا لدفع الخرج الذي ينشأ عند فقدان الماء أو عدم القدرة
على استعماله ، وحيث أن الصعيد الطيب أي التراب الطاهر
أو مافي حكمه من حجر صلد ونحوه لا سبيل لفقد شيء منه
البتة فمن ثم فرض التيمم به لدفع هذا الخرج من فقدان الماء
في الطهارة ليقوم مقامه في إباحة الصلاة مع اضرار النفس
بالخضوع للخالق تعالى الذي أوجدها من هذا التراب الذي
نصادفه أو مافي حكمه أني ذهبنا وحيثما كنا فتستعوض به عن
الماء في أداء هذا الركن من أركان هذه الصلاة من حكم
الطهارة ورسمها بلا حرج وكل هذا من أمر التيمم وحكمه
وكيفية وسببه يفهم من آية التيمم التالية لآية الوضوء والطهارة
« وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط

أولاً مستم النساء فلم تجددوا ماء فقيموا صميحاً طيباً فامسحوا
بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن
يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون»

وطهارة الخبث في الثوب من النجاسات الطارئة وكذا
اجزاء البدن واجبة، والحكمة أى التي ليس لها جرم مخفى
يكفى اجراء الماء على مواردها، وطهارة مكان الصلاة من
النجاسات والاخبث واجبة أيضاً

ولقضاء الحاجة آداب وخصال جميلة من التستر وإزالة
الفضلات الباقية على الاعضاء من بول أو غائط بالاستنجاء بالماء
والتجمر من البول للتنشيف ويجرى كله باليد اليسرى

أما النظافة المستحبة فالأول منها إزالة ما يتجمع في الشعر
من درن وقمل بالتنظيف فيه مستحب بالفضل والترجيل
والتدهين لإزالة الشئ عنه، كان صلى الله عليه وسلم يدهن
شعره ويرجله ويأمر به. وجاء في الحديث عنه عليه الصلاة
والسلام (من كان له شجرة فليكرمها) أي يصبها من الأوساخ،
وكذا نظافة اللحية للتجمل والتزين المحبوبين والأمر بالخضاب
بالحناء مشهور

الثاني ما يتجمع في الآذان والأنف والأسنان من الأوساخ فيستحب فيه التنظيف بالإزالة والغسل والمضمضة وما سنّ السواك الذي جاء في الحديث أنه مطهرة للنم لهذه الحكمة الكريمة فضلا عن أنه يطيب النكهة ويقوى المثة

الثالث غسل (البراجم والرواجب) وهي ظهور الأنامل ورؤوسها وما تحت الأظفار مما يلتصق بها حتى تبدو نظيفة . كانت العرب على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا تكثر من غسل الأيدي قبل الطعام ولا بعده فيجتمع عليها الوسخ فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسلها وتنظيفها وأمرهم كذلك بتقليم الأظفار وتنظيفها وتنف الأبط وحلق المانة وقص الشارب وإحفاف اللحى وعدم نتف ما فيها من شيب وجواز خضابها بالحناء أو ما في حكمها ولهذا كله وختان الأطفال تلك السنة الشرقية القديمة مزية وفضله كما هو مبين في مظانه من كتب الإسلام وآدابه العملية

الرابع الاستحمام لازالة ما قد يهترى البدن من الدرن والأوساخ والفبار وذلك يزيله الحمام ولدخول الحمام آداب من ستر العورة وكراهية النظر إلى الغير وتقديم النية في التزيين

المحبوب في العبادة وعدم الاسراف في الماء الى آخر ما هناك
من الحاصل والآداب الجميلة^(١)

أما الصلاة فهي عماد الدين كما جاء في الحديث الشريف
ومن أعظم فرائض الله على العباد قال تعالى (ان الصلاة كانت
على المؤمنين كتاباً موقوتاً) وهي باستيفاء شروطها وأركانها
الحسية والمعنوية تنهي عن الفحشاء والمنكر كما قال تعالى في الآية
الكريمة ولذلك جاء في الحديث الشريف (من لم تهه صلاته
عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعداً) ويدل على مزيد
فضلها وعظيم اهميتها في العبادة الأولية في الذكر غيب الشهادة
كما في الحديث المرتب لمباني الاسلام (بني الاسلام على خمس
شهادة أن لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان
وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً)

والمفروض من الصلاة في الاسلام خمس صلوات كتبهن
الله في اليوم والليلة على المسلم البالغ العاقل بشرط استقبال
القبلة وستر الذورة والطهارة التي سبق شرحها والائتيان بالاركان

(١) الاحياء للامام الغزالي اه مؤلف

الآتي بيانها قال النبي عليه الصلاة والسلام (خمس صلوات
 كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً
 استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهداً أن يدخله الجنة ومن لم
 يأت بهن فليس له عند الله عهد أن شاء عذبه وإن شاء أدخله
 الجنة) ولله ما أجهل ما شبهها به صلى الله عليه وسلم في حديث
 آخر قال « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر باب أحدكم
 يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون يبقى من درنه قالوا
 لا شيء قال صلى الله عليه وسلم فإن الصلوات الخمس كمثل نهر
 عذب تذهب بالذنوب كما يذهب الماء بالدرن ، وفي حديث
 آخر « الصلوات كفارة لما يذنبن ما اجتنبت الكبائر »

وعدد ركعات الصلوات الخمس المكتوبة سبع عشرة ركعة
 اثنتان للمصبح ووقته من طلوع الفجر الصادق الى طلوع الشمس ،
 وأربع للظهر ووقته من الزوال الى وقت العصر من امتداد ظل
 الانسان قد قامته ، وأربع للعصر ووقته من امتداد ظل الانسان
 قد قامته الى قرب غروب الشمس ، وثلاث للمغرب ووقته من
 غروب الشمس الى قرب غياب الشفق ، وأربع للعشاء الآخرة
 ووقتها من غياب الشفق الى قبيل طلوع الفجر

هذه هي الصلوات المفروضة التي أمرنا بالمحافظة عليها
والثابرة على أدائها كما قال تعالى «حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى وقوموا لله قانتين» وهي لا تستغرق من وقت الإنسان
كله ساعة زمنية او ساعتين على الاكثر

أما أركانها فاربعة عشرة خصلة فرضاً وأربع عشرة خصلة
سنناً فالأولى : النية ، تكبيرة الاحرام ، القيام لها ، قراءة الفاتحة ،
القيام لها ، الركوع ، الرفع منه ، السجود ، الجلوس بين
السجدتين ، التسليم ، الجلوس له الطمأنينة في جميع الأركان ،
الاعتدال بعد الركوع والسجود على الجهة وحال السلام ،
الترتيب أي مراعاة الأركان بحسب الترتيب السابق

أما السنن الأربعة عشرة فهي : قراءة ولو آية واحدة بعد
الفاتحة في الركعة الأولى والثانية ، والقيام لها ، والجهربها في
الصبح والجمعة والركعتين الأوليين من المغرب والعشاء ، والاسرار
بها في الظهر والمصر وهذه السنن الأربع مخصوصة بالقرض ،
وكل تكبيرة بعد تكبيرة الاحرام ، وقول سمع الله لمن حمده
لامام وقد حال رفعه من الركوع لا مأموم ، وقراءة التشهد
ونصه « المحفوظ للمؤلف المالكي المذهب » (التحيات لله ،

الزكيات لله ، الطيبات الصلوات لله ، السلام عليك أيها النبي
ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباده الصالحين ،
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (وجلس
له ، والصلاة على النبي بعد التشهد الأخير وافضل صيغتها
(اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى
آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم
وعلى آل إبراهيم في العالمين انك حميد مجيد) والسجود على صدر
القدمين والركبتين والكف ، ورد المقتدى السلام على أئمة
وعلى من على يساره ويجزي فيه (سلام عليكم وعليكم السلام)
بالاجهر ، والجهر بتسليمية التحليل ، وانصات المقتدى في الجهر ،
والزائد على الطائفة بقدر الواجب

والمندوبات . هي نية الاداء ، ونية القضاء ، والخشوع ،
واستحضار عظمة الله تعالى وامتنال أمره ، ورفع اليدين حين
تكبيرة الاحرام حذو المنكبين وارسالهما بوقار وكره القبض
في فرض ، إكمال سورة بعد الفاتحة وكره تكريرها بذاتها في
الركعتين في الفرض ، وتطويل القراءة في المصبح ثم في الظهر
لقنوا امام جماعة معينين طلبة منه وتقصيرها في العصر والمغرب ،

والتوسط في المشاء ، وتقصير الركعة الثانية عن الأولى والمساواة
جائزة ، وإسماع النفس في السر ، والقراءة في السرية خلف الإمام ،
والتأمين لئلا بعد الفاتحة ، وتسوية الظهر حال الركوع ، ووضع
اليدين على الركبتين وتمكينهما منهما ، ونصب الركبتين

وندب التسبيح في الركوع والسجود أي ان المصلي يقول
« سبحان الله العظيم وبحمده سبحان ربّي الأعلى » وندب في
السجود الدعاء كما جاء في السنة ، والتوسط في المبادأة بين
المرفقين عن الجنبيين ، وقول الفذو المأموم « ربنا ولك الحمد » بعد
قول « سمع الله لمن حمده » حال القيام اذ يمر الرفع بقول « سمع
الله لمن حمده » والتكبير حال الخفض وحال الرفع من السجود
الا في القيام من التشهد الاول حتى يستقل قائماً فيكبر

وندب : تمكين الجبهة من الارض أو ما اتصل بها ،
وتقديم اليدين على الركبتين حال الانحطاط للسجود وتأخيرها
عن الركبتين حال القيام منه للقراءة ، ووضع اليدين حذو الاذنين
حال السجود وتوجيه الاصابع لجهة القبلة ، والحجافة بين المرفقين
عن الركبتين والحجافة بين الضبعين (ما فوق المرفق الى الابط)
والجنبيين بخلاف المرأة فتكون منضمة في جميع أحوالها هذه ، ورفع

المجزة عن الرأس بأن يكون محل السجود مساوياً لمحل التقديس
والدعاء في السجود بأمور الدين أو الدنيا له وتغييره خصوصاً وعموماً
بلا حرج كالتيبيح وقد تقدم، والافضاء في الجلوس كله وهو جعل
الرجل اليسرى مع الالية للأرض وتقديم اليسرى نحو اليمنى قليلاً
ونصب قدم اليمنى عليها وجعل باطن ابناءها الى الأرض ، ووضع
الكفين في الجلوس على الفخذين بحيث تساوى رؤس أصابعهما
الركبتين وتفرج الفخذين بخلاف المرأة ، وعقد ماعدا السبابة
والابهام أى الخنصر والبنصر الوسطى من اليد اليمنى في حال التشهد
بجعل رؤسها باحمة الابهام ماداً السبابة لجهة الامام كالمشير ،
وتحرك السبابة في التشهد الى اليمين واليسار تحريكاً وسطاً

وتدب القنوت في الصبح قبل الركوع الثاني ونفذه عند
المالكية « اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوكل
عليك ونثني عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك ونخضع لك
ونخضع من يكفرك ، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك
نسعى ونخمد ، نرجو رحمتك ونخاف عذابك ان عذابك الجد
بالكافرين ملحق »

وتدب الدعاء بأسرار وتعميم قبل السلام وبعد الصلاة على

النبى السالف ذكر صيغتها وصيغته المشهورة عند السالكين كما في الشرح الصغير للامام الدوير « اللهم اغفر لنا وارادينا ولائتنا ولمن سبقنا بالايمان مغفرة عزماً اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منّا، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »

ونذب التيامن بتسليمة التحليل اذا كان المصلي مأموماً أما الامام والقائد فيشير عند النطق بها للقبلة ويثنيها بالتيامن عند النطق بالكاف والميم من « عليكم » حتى يرى من خلفه صفحة وجهه ونذب سترة الامام والقائد لمنع المارين بعمل سجودهما ويأثم المصلي اذا تعرض بصلاته من غير سترة في محل يظن به المرور وللصلاة مكروهات ومبطلات قد اضربت عنها لعدم

التطويل كالضحك والقهقهة والكلام في الصلاة ونحو ذلك ولقد ورد جواز الصلاة والمرء قاعد لمرض أو علة كما جاء جواز القصر والجمع فيها في حال السفر وحكمها في ذلك وبيانها مفصل في كتب المذاهب والسنة فليرجع اليها وكذا بالنظر الى السهو وسجوده « وتوقيع الصلاة » به

وصلاة « الجمعة » فرض وخطبتها كذلك قال تعالى في

فرضها « يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع » وخطبتها قد يستحسن فيها مع الاختصار والوضوح بيان المراعظ الوقتية والمهام المصرية مما يتعلق بالشؤون والمصالح الدينية والدنيوية ولا أقبح من حال خطباء المصر الجامدين فيما يتلون من خطاب محفوظة عن أقوام مضت أيامهم وسلفت مصالحهم المبينة للمصالح المصرية وبذلك لا تحصل الفوائد المطلوبة والثمار المقصودة من خطبة الجمعة ولا تؤثر أثرها الذي سنت من أجله . وجملة القول أن فضل الجمعة كبير وأجرها عند الله عظيم بل يومها كله يوم كريم مبارك يجب أن يصرف بعمل من العبادة مرضي من مثل تلاوة القرآن والذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والغسل فيه للخروج إلى الصلاة صلاة الجمعة واجب والتزين والتجمل والتطيب مستحب ، وشروط الجمعة من الوقت والجماعة والخطبة وباقي سننها وآدابها الجميلة مستفيضة بها كتب السنة والفقه فلا أطيل فيها في هذا المختصر .

والنوافل من الصلاة منها سنة مؤكدة ومنها مستحب ومنها تطوع وهي تختلف باختلاف المذاهب واستنباطات الأئمة

المقتدى بهم مما لا يمد في الحقيقة اختلافاً يذكر فلا ذكر منها
ما هو على وجه المسموم من أوكدها وفضلها كركعتي الفجر
والسنن الرواتب عند كل صلاة ما عدا المصن فإنه لا صلاة
بعده ، وكذا ركعة الوتر في العشاء والتهجيد بالليل فإن له فضلاً
كبيراً قال تعالى مخاطباً الرسول للتشريع « ومن الليل فتهجد به
نافلة لك عسى أن ينسبك ربك مقاماً محموداً »

وصلاة العيدين عيد الفطر وعيد الاضحى بسبع تكبيرات
في الركعة الاولى بما فيها تكبيرة الاحرام وخمس في الثانية بعد
تكبيرة القيام والخطبة بعد اداء ركعتيهما سنة
وصلاة الكسوف والخسوف للشمس والقمر ركعتان
يطيل القراءة فيهما .

وصلاة الجنازة بأربع تكبيرات وبلا ركوع ولا سجود
والدعاء للميت

وصلاة القيام (التراويح) في رمضان عشرون ركعة
بعد العشاء

أما الصلوات المستحبة والتطوعات الجميلة في الليل أو في
النهار فغير داخلية تحت حصر أو قيد فالمرء شأنه بمقدار مندوحة

حاله ومبلغ رغبته فان شاء فعل وان شاء اكتفى بما فرض الله
واكدته السنة .

والآذان للصلاة سنة مؤكدة بكل مسجد والجماعة ولا
سيما في المساجد تفضل صلاة الفجر بسبع وعشرين درجة كما
جاء في الحديث الشريف والامامة شروط وآداب جليلة

هذا وقد تقدم ان من اجل السنن في الصلاة حضور
القلب في الصلاة والخشوع والخضوع والمحافظة على ادائها
بأوقاتها « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله
قانتين » وقد جاءت الآيات والاحاديث الكثيرة في تفضيل
ذلك كله وفي كراهة الذمور في الصلاة وعدم مراعاة روحها
من الحضور القلبي حتى لا ينال المرء من صلاته سوى تعب
القيام والقعود دون نوال اجر او ثواب او ظهور أثر في تهذيب
الاخلاق وتطهير الوجدان المقصود بالذات وما الصلاة الا
الصلة بين العبد وبين الرب تعالى فلا يفوتني مسلم العناية بهذه
الصلة وليحسن ربطها بالخشوع والاخلاص فيحسن الله تعالى
كل حاله الحسى منه والمعنوى .

أما فرض الزكاة زكاة الأموال على أفراد المسلمين والتي يريد جماعة من الاشتراكيين المصريين أن يرجع إلى مثلها في ضرائب الأموال الأميرية والثروات القومية في الأمم المصرية فقد كلف الله بها عباده المسلمين للمصلحة لهم والنفع العائد اجتماعياً عليهم «نيا وأخرى» ففي الدنيا صلاح الأمور الدنيوية والعمومية^(١) وضبطها والبركة والبناء في الأرزاق وإعالة من تصرف إليهم بعض الزكاة من الفقراء فقراء الهيئة الإسلامية، وفي الآخرة ثواب الله العظيم لعباده المحسنين العاملين للخير. والزكاة فرض عين على كل غني قادر بشرطه قال تعالى في الأمر بالزكاة «أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» وقال تعالى في الأمر بأخذها من المسلمين لمصالحهم «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم» وقال تعالى فيما يكسب الراحة والبر الاجتماعي «إن تناولوا البر حتى تنفقوا مما يحبون» وقال تعالى في مدح من يعرف حق الفقير من زكاة ماله «والذين في أموالهم حق للسائل والمحروم» ولقد ضرب الله تعالى أحسن مثل لمخرجي زكاة أموالهم فيما يخافهم به عليها

(١) راجع في هذا الصدد كتاب حجة الله البالغة للشيخ أحمد

من خير وبركة وثواب عظيم قال تعالى «ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بصير بما تعملون» وقال تعالى «ومثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء» وجعل تعالى إخراج الزكاة والصدقات كالإقراض له تعالى المضاعف أجره «إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم» : «واقترضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم تجددوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً» وجعل عقاب مانع الزكاة شديداً «والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بمذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون» والله ما أبلغ هذا التقرير لما نهي الزكاة في الهيئة الاجتماعية

وتجب الزكاة على كل مسلم حر ولو غير بالغ ووجوبها هي والخراج والجزية قديماً على غير المسلمين للعول كالأموال الأميرية والضرائب الشخصية في النظم المالية الحديثة

وهي تنحصر في النقود وعروض التجارة والنعم من الماشية وما يخرج من الحبوب أو الثمر أو المعدن أو الركاز فما يخرج من النقدين سواء كان ذهباً أو فضة ربع المشر (أي اثنين ونصف في المائة) ففي المائتين درهم خمسة دراهم وفي العشرين ديناراً نصف دينار وفي عروض التجارة وتقوم بما اشترت به إذا بلغت قيمتها نصيباً^(١) ربع المشر أيضاً.

أما النعم فإذا كانت ابلاً « فشاة » في كل خمس وهكذا إلى خمس وعشرين فتكون زكاتها « بنت مخاض »^(٢) من الأبل إلى ٣٦ ففيها « بنت لبون »^(٣) إلى ست وأربعين ففيها « حقة »^(٤) إلى ٦٦ ففيها « جذعة »^(٥) إلى ٧٦ ففيها « بنتا لبون » إلى ٩١ ففيها حقتان إلى ١٢٠ وفي ١٢١ إلى ١٢٩ إما حقتان أو ثلاث بنات لبون فإن زادت على ١٢٩ ففي كل عشر تتغير الفريضة أي الواجب فيجب في كل ٤٠ بنت لبون وفي كل خمسين حقة

(١) أي المقدار الذي تجب فيه الزكاة ويقدر الآن باثني عشر جنيهاً إنكليزياً في الذهب وتقدر المائتي درهم باثنين وعشرين ريالاً مصرياً أي ٤٠ قرشاً صحيحاً (٢) التي دخلت في السنة الثانية (٣) وهي التي دخلت في الثالثة (٤) وهي التي دخلت في السنة الرابعة (٥) وهي التي دخلت في السنة الخامسة من سنها

ففي ١٣٠ حقة وبنات لبون وفي ١٤٠ حقتان وبنات لبون وفي
 ١٥٠ ثلاث حقاق وفي ١٦٠ أربع بنات لبون وفي ١٧٩ حقة
 وثلاث بنات لبون وفي ١٨٠ حقتان وبنات لبون وفي ١٩٠ ثلاث
 حقاق وبنات لبون وفي ٢٠٠ إما أربع حقاق أو خمس بنات لبون
 وإذا كانت النعم بقراً ففي كل ٣٠ منها « تبيع » دخل في
 السنة الثالثة وفي ٤٠ « مسنة » دخلت في السنة الرابعة إلى ٦٠ ففيها
 « تبيعان » إلى ٧٠ ففيها « مسنة وتبيع » إلى ٨٠ ففيها « مسنتان »
 وفي ٩٠ ثلاثة أتبعه وفي ١٠٠ « مسنة وتبيعان » وفي ١١٠
 « مسنتان وتبيع » وفي ١٢٠ « ثلاث مسنقات أو أربعة أتبعه »
 والجاموس كالبقرة في حكم الزكاة

وإذا كانت النعم غنماً ففي كل ٤٠ رأساً منها « شاة جذعة أو
 جذع » فوسنة إلى ١٢١ ففيها « شاتان » إلى ٢٠٠ وفي ٢٠١
 إلى ٢٩٩ « ثلاث شياة » إلى ٤٠٠ ففيها « أربع شياة » ثم في
 كل مائة شاة « والمعز كالضأن . وليس في الخيل والبغال والحمير
 زكاة لحكمة أنها معدة للنفع الدائى أو لأنها من رأس المال
 المساعد وليست مصدر استغلال في حد ذاتها ولأنها لا ينتفع
 بلحومها ولبانها وأشعارها كغيرها من النعم التي كانت مصدراً

الثروة العرب ولم تزل في أنحاء كثيرة من العالم الاسلامي وغيره مصدراً ومستقلاً للثروة العظيمة .

وزكاة الزرع مما اخروجه الارض بالسيح أو المطر فقيه العشر أو نصفه اذا سقى بآلة وبلغ نصابه اى خمسة اوسق (٩٠ صاعاً) بشرط ان يقصد منه الاستغلال فالحطب والتعصب والحشيش والسعف لا تدخل في الباب لفقدها الشرط الا اذا قصد بها الاستغلال بالتجارة ، وكل حب لا يصلح طعاماً كبذر البطيخ والقش ، فلا زكاة فيه لكونه غير مقصود بنفسه وإنما المقصود به البطيخ والقش وكذا كل تابع للارض كالنخل والاشجار لانه بمنزلة جزء الارض والشريعة لم تقرر في مبدأ الزكاة بحسب مقتضيات ذلك الوقت الزكاة على الارض والمقار (ما عدا الخراج على الاراضي الخراجية) لحكمة ان المتفع بالاكثر من الزرع هو الزارع المستغل للحب ونحوه مالكا كان المزارع او مستأجراً ولان في محصول الشجر من غير التمر والعنب مالا يقوم بمثل مستغلات الحبوب وما في حكمها مثلاً ولان زكاة الاموال عامة وهى في نظر الشرع تؤخذ من مالك نصابها فالمالك متى ما توفر لديه نصاب الزكاة من مستغل

ما يملك من عقار أو نحوه وجبت عليه الزكاة والمزارع تؤخذ
منه عشرًا أو نصفه من مستغلاته عند حصادها أو بمقتضى
قاعدته المتبعة حتى الآن في طريقة اخذ الضرائب في بلاد
الدولة العلية

أما المدين من الذهب والفضة فيؤخذ منه ربع العشر
ويؤخذ عند استخراجها كالزروع عند حصاده أما الركاز ففيه
الخمس والركاز الدفائن ما لم يطلب بمال ويحصل بكبير عمل
أما من تصرف اليهم الزكاة من أصناف الخلق فثمانية
فص عليهم في القرآن المجيد :

(١) الفقراء الذين لا يملكون إلا شيئًا قليلًا

(٢) المساكين الذين لا يملكون شيئًا ما

(٣) العاملون على الزكاة لتصرف في وجوهها من عمل

الامام أو الحاكم المخصصين لجبايتها وتحصيلها وتوزيعها بمعرفته
على مستحقيها

(٤) المؤانة قلوبهم على الاسلام لتقريرهم وترغيب غيرهم فيه

(٥) المساكين من الارقاء لاداء نجومهم (ديون وعقدهم

تدفع مقسطة في اوقات معينة) فتفك رقابهم من ذل الرق

(٦) الفارمون الذين عليهم ديون استفرقت في الطاعات

فيعطون من الزكاة بمقدار ما يسدون به غرماءهم

(٧) الفزاة في سبيل الله المدافعون عن الاسلام والذابون

عن بيضته وبلاده ولو كانوا اغنياء يعطون منها إعانة لهم وتنشيطاً

لهمهم

(٨) أبناء السبيل من المسافرين الذين انقطعوا عن

أموالهم فيعطون منها بمقدار ما يعيدهم الى أوطانهم^(١)

وزكاة الفطر في رمضان نصف صاع^(٢) من بر أو دقيق أو

زبيب أو صاع من تمر أو شعير وهو ثمانية أرطال أو ما يقوم

مقامها من نقود ويخرجها من ملك نصيباً من اى مال عن

نفسه وعن أولاده الصغار وعبيده وتصرف هذه الزكاة زكاة

الفطر في مصرف الزكاة الاصلية

أما الصدقة صدقة التطوع فسنة جميلة ومن أوكداعمال

البر الاسلامى وهى تصرف الى الفقراء في اى وقت بلا قيد

الملة والنحلة ولقد جاء في فضلها آثار جليلة قال عليه الصلاة

(١) الصراط المستقيم للشيخ زناى والشرح الصغير وغيرها

(٢) الشرح الصغير وغيره (٢) يساوي قدحا وثلاثا بالكيل المصرى الآن

والسلام « تصدقوا ولو بشق تمره فانها لتسد من الجائع وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار » وقال عليه الصلاة والسلام « ان صدقة السر لتطفى غضب الرب » وقال في حديث آخر (اتقوا النار ولو بشق تمره فان لم تجدوا فبكلمة طيبة) وقال عليه الصلاة والسلام (ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيباً - الا كان الله اخذاً بيمينه فيريها كما يري احدكم وصيله حتى تبلغ التمرة مثل احد) وقال في حديث آخر (الصدقة على وجهها واصطناع المبروف وبر الوالدين وصلة الرحم تحول الشقاء سمادة وتزبد في العسرو تبقى مصارع السوء) وفي حديث آخر (اذا أردت ان يلين قلبك فاطم المسكين وامسح على رأس اليتيم)^(١) وفي القرآن المجيد « ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير »

وهناك في الاسلام ذلك المبدأ الخيري العظيم من الصدقة الجارية بحبس الجبوس والأوقاف على المساجد والمدارس والمستشفيات والملاجئ وما أشبه ذلك وهي من أجل انواع

(١) الجامع الصغير للسيوطي وغيره من كتب الاحاديث والسنن

الصدقات الجارية والتقربات المفيدة في الهيئة الاجتماعية ولها
 احكامها وشروطها الحسنة في الشريعة ^(١) كما ان لزكاة
 والصدقات على انواعها حكمتها في اصلاح احوال الهيئة الاجتماعية
 واذا كان الامر كذلك فلا احسن من مراعاة روح العصر
 في تقريرها وصرفها في وجوه البر والمنافع العامة فالضرائب
 الشرعية سواء على العقار كالخراج والاعشار أو على الاموال
 كالزكاة ونحوها تعتبر من اهمها لانها يمكن اقامة المصالح
 الحكومية في الهيئة وعمار بيت المال والتضافر بالصرف على
 امداد المدارس والمستشفيات والمساجد والملاجئ ليفضل
 صرفها اى التصديق بها على الكسالى والمطلقة من الشحاذين أولئك
 الذين يسألون الناس الخافاً وأولئك الذين يتخذون من مندوحة
 ذلك المبدأ الاسلامي وسيلة وفرصة لاحتراف الشحاذة
 والكمدية مخالفين في ذلك أوامر الدين نفسه والهيئة حيال هذا
 حقها للضمان حتى لا تصرف صدقاتها الا في وجوه البر التي
 تصلح من شأن فقرائها وعجزتها لا ما يكثر من كسالىها وعطالتها

*
* *

(١) تراجع كتب الوقف الحصيصة وأبوابه في كتب الفقه الجامعة

أما الصيام فن أعظم وأشرف العبادات البدنية وأجل الفرائض التي فرضها الله تعالى على عباده المسلمين في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، وهو إمساك الانسان عن الاكل والشرب والجماع من وقت طلوع الفجر الصادق الى غروب قرص الشمس وفرض الصيام مأخوذ من الآية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر)^(١)

والاحاديث في فضل الصوم كثيرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلوف فم الصائم وثوابه العظيم (والذي نفسي بيده خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يقول الله عز وجل إنما يذو شهوته وطعامه وشرابه لاجلي فالصوم لي وأنا الذي اجزي به) وما شرف الصوم بالنسبة الى الله تعالى وان كانت العبادات كلها له تعالى كما شرف البيت الحرام بالانتساب اليه والارض كلها له الا للمؤمنين أحدهما ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع

أعمال الطاعات بمشهد من الخلق وصرأى والصوم لا يراه أحد ولا يطلع عليه إلا الله عز وجل لأنه عمل في الباطن بالصبر المجرد وفيه قمع الشهوات التي هي وسائل الشيطان إلى النفس وواجبات صوم رمضان للمسلم العاقل الصحيح القادر منها دخول شهر رمضان وتبييت النية ويجزى فيها عند المالكية أول ليلة منه وعدم ادخال شيء إلى الجوف عمداً والامساك عن الجماع والامساك عن اخراج القيء عمداً .

ولو ازم الافطار ثلاثة القضاء والكفارة والقدية . أما القضاء فوجوبه عام على كل مسلم ترك الصوم لعذر من مرض وحيض وسفر ولا يشترط في القضاء التتابع ، أما الكفاره فتجب في الجماع عتق رقبة فان أعسر فصيام شهرين متتابعين ، أما القدية فتجب على الحامل والمرضع والشيخ الهرم اذا أفطروا عن كل يوم مد حنطة أو ما في حكمه بشرط القدرة

أما السنن في الصيام ففدية سنن منها تأخير السحور وتعجيل الفطور وترك السواك من بعد الزوال وقيل بجوازه النهار كله عند المقتضى الشرعى والجود في رمضان لحديث (انبسطوا في النفقة في رمضان فان النفقة فيه كالنفقة في سبيل

الله) و (من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء) وهي من السنن الجميلة والآداب العرفية النبيلة ومن جميلات تلك السنن في هذا الشهر المبارك مداواة القرآن والاعتكاف في المساجد ولا سيما في الشهر الآخر منه التي هي مظنة ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر وقيام ومضان بالتراويح ونحوها من السنن الجميلة لحديث (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه في غير حقوق المباد) كما هو مفهوم كل الأحاديث التي على هذا النمط

ومن أجهل الآداب في الصيام وأشرف الخلال فيه أن يكف المرء جوارحه عن الرذائل الأصغر المطلوب في كل الأحوال فبالأحرى في رمضان — فيكف الانسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والخصومة قال صلى الله عليه وسلم (إنما الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل وإن أصر وقاتله أو شتمه فليقل اللهم اني صائم) ولقد كره الاستكثار من الطعام عند تناول الإفطار لانه كيف يتدارك أمر كسر الشهوة المقصود من الصيام اذا كان يعوض المرء على نفسه في الإفطار ما فاتته من الطعام في نهاره

كله فضلاً عن ان الاكثار مضر بالصحة بعد خلاء الجوف
نهاراً كاملاً^(١)



تحفظ التقاليد الاسلامية وبعبارة أخرى التقاليد العربية
السامية لمكة والكمبة البيت الحرام مقاماً سامياً وذكرى كريمة
ألا وهي ذكرى حادثة إسكان ابراهيم خليل الله ابنه اسماعيل
عليهما السلام وأمه هاجر تلك البرية المريّة ثم بناء البيت بيت
الله الحرام وادّانه في الناس بالحج كما نص عليه القرآن المجيد ،
ولقد بقي أمر الحج الى البيت شائئاً في العرب الى ان جاء
الاسلام فاقره فريضة على كل مسلم قادر مراعيّاً في ذلك
المصلحة الاسلامية العامة الدينية والسياسية من اجتماع خلق
كثير من المسلمين سنوياً في صعيد واحد للقيام بهذا النسك
وذكر الله واداء هذه الفريضة ذات الفوائد الكثيرة وزيارة
قبر النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة يثرب
الفاخرة الزاهرة

والآثار في فضل الحج كثيرة قال تبارك وتعالى اشهدوا

(١) الشرح الصغير والاحياء للغزالي وغيرها

لاصر البيت وفضله وقدمه في البيوت المقدسة (ان أول بيت
وضع للناس الذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات
مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حجج البيت
من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فان الله غني عن العالمين)
وقال تعالى في أمره ابراهيم بالحج (وأذن في الناس بالحج
يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا
منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من
بهيمة الأنعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا
نفسهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق)^(١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثواب الحج (من
حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)
وقال صلى الله عليه وسلم (حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها
وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة) والاحاديث في باب
فضل الحج والعمرة بالنسبة الى صلاح النفوس والاحوال اكثر
من ان تحصى في مثل هذا المختصر

(١) يراجع الطبري والرازي ونحوهما والتفت الوسخ يقال قضي

نفسه اي ازال وسخه

أما شروط وجوب الحج وأركانه وآدابه . فشرط صحته الوقت والإسلام والحرية والبلوغ والعقل والاستطاعة ، ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ، والاستطاعة حكمت وجود الراحة والزاد وأمن الطريق . أما الأركان الخمسة الأحرام والطواف والسمي بين الصفا والمروة بمسده والوقوف بعرفة في يومه ، وأركان العمرة كذلك خلا الوقوف بعرفة ، ويجوز للأفراد بالحج والأفراد بالعمرة واجمع بينهما ، ومن آداب الحج أن يقتسل المرء عند الأحرام في ميقاته المشهور ويلبس ثوبي الأحرام الأبيضين تاركاً ثيابه المحيطة وينوي عند السير غب ذلك الأحرام بالحج أو بالعمرة أو بهما معاً ويكفي مجرد النية والسنة أن يقرن بها لفظ التلبية (لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) وندب تجديد التلبية بحسب تغير الأحوال وخلف الصلاة مع التوسط وعدم رفع الصوت حتى لا يسمع

وهناك آداب وسنن لطيفة في دخول مكة وكيفية الطواف والسمي والوقوف في المناسك كلها من عرفة ومنى ومزدلفة والنحر ورمي الجمرات لا يحتملها هذا المختصر وترى مبسوطاً

في كتب الفقه وأسفار المناسك مناسك الحج الاسلامي .
 أما زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة
 مدينة يثرب دار هجرته ومكان قبره الشريف ومسجده المبارك
 وحرمه المنيف فسنة يحسن القيام بها عند القيام بأداء فريضة
 الحج خصوصاً على نحو ما سبقت به المادة الاسلامية ولقد
 قال النبي صلى الله عليه وسلم (من حج وزار قبري فقد وجبت
 له شفاعتي) وفي حديث آخر (من زار قبري بعد وفاتي
 فكأنما زارني في حياتي)



القرآن عندنا مشرأهل الاسلام كتاب الله الينا الذي
 أنزله على رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بالوحي اليه به
 منجماً اي مقطعاً مجزأ في بضع وعشرين سنة هي سني النبوة
 الاسلامية وقد جمع فيه أصول شرعنا وإيماننا فهو عندنا كما
 وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم جبل الله المتين والهدى
 والنور والصراط المستقيم ، وإذا قد جمع لنا الله فيه كل ما يهمننا
 من أصول الدين ومبادئ الخير في الدنيا والآخرة ومدد
 العقول والقلوب في الامور الاعتقادية والاجتماعية والادبية

والعلمية فلا جرم كانت واجب التلاوة والتعلم على كل مسلم
 للاهتمام به في الدين والدنيا ولقد جاء في فضل القرآن وتلاوته
 بالتدبر والتمن آيات واحاديث جمة قال صلى الله عليه وسلم
 (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله
 وسنتي) وقال عليه الصلاة والسلام (من قرأ القرآن ثم رأى
 ان أحداً أوتي افضل منه فقد استصغر ما عظمه الله تعالى)
 وقال عليه الصلاة والسلام (افضل عبادة استقي تلاوة القرآن)
 وقال صلى الله عليه وسلم (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) وعن
 ابن مسعود قال (اذا اردتم العلم فانثروا القرآن فان فيه علم
 الاولين والآخريين) وقال عمرو بن الساص (من قرأ القرآن
 فقد أدرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه) ولا غرو
 فالقرآن فيه الهدى والشفاء كما قال تعالى (ونزل من القرآن
 ما هو شفاء ورحمة) وكما قال تعالى في آية أخرى (ان هذا
 القرآن يهدي للتي هي أقوم)

ولتلاوة القرآن آداب وفضائل جليلة لا على قاعدة من
 يتخذ تلاوته مهنة ومحترفاً مما قد يدخل في تلاوة الغافلين ولا
 على قاعدة من يتخذ بعض آياته ويدونها رقي تماشيم ووصفات

عجائز فان هذا كله ليس في شيء من المراء بتلاوة القرآن بالتدبر
والعمل بحلاله واجتناب حرامه بل هو كما هو مشاهد فيه من
امتهان كلام الله تعالى القديم ما فيه وانما المقصود بالتلاوة التلاوة
الاسلامية الصحيحة المبنية على العبادة والاستفادة والاستعداد
بروح القرآن في كل الشؤون لانها من افضلها واقربها للمبدء
الاسلامي ولهذا التلاوة عشرة آداب أو قواعد ضابطة :^(١)

(١) ان يكون قارئ القرآن على وضوء واقفاً أو جالساً
على هيئة الادب مستقبلاً للقبلة خصوصاً

(٢) ان يراعي الاكثار أو الاقلال بحسب ظروف
الاحوال التي تتاح له وخير الامور الوسط للتأني المطلوب للتدبر
والذكر سمعت عائشة رضي الله تعالى عنها رجلاً يهذر بالقرآن
هذراً فقالت : إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت ، وما ورد
عن بعض السلف من ان بعضهم كان يختم القرآن في الليلة أو
نحو ذلك فهذا بحسب مبلغ اجتهادهم وتفرغهم .

(٣) وللسهولة لزممت قسمة القرآن في التلاوة بان ينحصر
المراء لكل يوم منه جزءاً أو أكثر أو أقل والقرآن كما لا يخفى

مقسم بحسب الرسم العثماني الى اجزاء واحزاب أحدثت في المصاحف لهذه الغاية من التسهيل في التلاوة .

(٤) الترتيل لقوله تعالى « ورتل القرآن ترتيلاً » لأن الترتيل مفيد على العموم للتفهم والتفكير ، ولقد وصفت أم سلمة زوج النبي عليه الصلاة والسلام قراءته للقرآن فإذا هي تنعت قراءته وتصفها منسرة حرفاً بحرف . وقال ابن عباس رضي الله عنه « لأن اقرأ البقرة وآل عمران ارتلها وأتدبرها أحب اليّ من ان اقرأ القرآن كله هذرمة » أي مسرعاً في القراءة

(٥) إحضار القلب خشية ورهبة وشوقاً وهو المقصود لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم « اتلوا القرآن وابتكروا فان لم تبتكروا فتابوا » فاحضار القلب عند آيات الوعيد والزواجر خشية قد يملأ القلوب خشوعاً وعظماً كما قد يملأ هذا القلب فرحاً ونشاطاً وشوقاً عند آيات الوعد والبشارة وان الله لا يضيع اجر العاملين في خيري الدنيا والآخرة وهذا كله يتبع أحوال المرء في قوة نفسه وأخذه واستحضار فكره وذهنه عند التلاوة وقوة الايمان .

(٦) مراعاة حق الآيات المختصة بالسجدة فيسجد لها

سجدة السجدة وفي القرآن كله أربع عشرة سجدة ولا يسجد
الا على طهارة

(٧) افتتاح القراءة بالاستمادة والبسملة : « أعوذ بالله
من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم » واختتامها بقول
القارئ « صدق الله العظيم » وفي تضعيف القراءة اذا صرَّ
بآية دعاء دعا إما بقلبه وإما بلسانه ، وكذا في آيات الاستغفار
اذا صرَّ بآية منها يستغفر وإن صرَّ بآية رجاء سأل الله وإن صرَّ
بآية خوف استعاذ بالله تعالى ، ولختم القرآن دعاء مأثور مشهور
عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مثبت في آخر المصاحف
الثمانية المتداولة .

(٨) الجهر بالقراءة لحد أن يسمع نفسه إذ القراءة عبارة
عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد من صوت فأقله ما يسمع
به المرء نفسه

(٩) تحسين القراءة وتزيينها بالصوت الحسن قال صلى الله
عليه وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم »

(١٠) القراءات المشهورة سبع فلمره ان يختار منها ما شاء
ليقرأ القرآن بها وإن كانت أكثر المصاحف الحالية قد قصرت

على احدها وهي قراءة ابي حنص عمر فلذلك يفضل لغير الفقيه
الاقتصار عليها ناهيك وانها من افصحها .

ولا أطيل في الآداب الباطنة اذ القرآن كله مواعظ
وحكم وعبر وبشارة ووعد ووعيد ودلائل آيات في خالق الكون
بينات وكله متى التزم المرء فيه أدب التلاوة ولذة التدبر والتأمل
بشوق وعزيمة وجد من نفسه لنفسه خشية وخشوعاً وحسن
نظر وتدبر في صفات الله تعالى وافعاله وعظيم قدرته وابداعه
لمصنوعاته وجميل افعاله وتصرفاته في خلقه ولطفه ومننه ورحمته
وحكمته وعدله في ربوبيته ووحدانيته وتنزهه عن الشريك
والمثيل والند والنظير وسيأتي مزيد افصاح عن القرآن وتفسيره
في باب أدب العلم

وليس بعد تلاوة القرآن ومدارسته في أدب العبادات
اجل ولا افضل من ذكر الله - ولذكر الله اكبر - والذكر
باللسان والجنان وليس المراد بالذكر هنا تلك المجالس التي انحط
فيها المسلمون الى البدع والرقص على نشيد المنشدين أو نقر
الدفوف فان هذا وامثاله من اعمال جهلة المتصوفة خارج عما

أنا بصدد البتة لانه ناد عما كان عليه السلف الاول ولا يناسب
روح عصرنا الحالي وانما المقصود بالذكر الذكر الذي أمرنا الله
تعالى به من أحضار القلب عظمة الرب وذكره وتسبيحه بالقلب
الخالص سواء في السر أو العلن وسواء على انفراد او في جماعة
ولا سيما عقب الصلوات مستحباً المرء فيه الخشية والخضوع
وطهارة الباطن اما ذلك الرقص والتغني بالقصائد المملوءة
بالفزل والنسيب البارد والشجر والنحر والطبل والزمر فما هو
الا البدعة بعينها والضلالة كل الضلالة

وأنت ايها المسلم المصري اذا تأملت بشاقب الفكرة قوله
تعالى « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون
في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه
فإن عذاب النار » علمت حقيقة هذا الذكر الذي عناه الله بقوله
تعالى « ولذكر الله أكبر » وفهمت سره ومراد الله تعالى منه
في امرنا به « واذكروا الله » و « اذكر ربك في نفسك تضرعاً
وخيفة » لا ما أخذ القوم به من قشور وبدع وضلالات لم
يجن منها الاسلام فائدة ما

ومن افضل الذكر التهليل عند الوضوء والتسبيح عقب

الصلوات والاستغفار» وبالليل هم يستغفرون» «ومن يستغفر
الله يجهده الله غفورا رحيمًا» والدعاء والضراعة إلى الله تعالى لقوله
تعالى «أدعوني استجب لكم» «أدعوا الله مخلصين له الدين»
وقوله تعالى «فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون»
وأفضل الدعاء المأثور والمرء أنه يدعو بما شاء من خير
له ولغيره بشرط أن لا يتخطى ما أحل الله لعباده أو بما لا يخرج
عن حد المحقول كما دلت عليه الآثار الشريفة خصوصاً عقب
الصلوات وبالإسحار أي في الليل الذي هو متجلى الرحمت
ويدعو المرء بأي اسم شاء من أسماء الله الحسنى «أيًا ما تدعوا
فله الاسماء الحسنى»

والدعاء شروط وآداب كاستقبال القبلة ورصد الاوقات
القاضلة والاحوال الشريفة وخفض الصوت بين المخافة والجر
وعدم تكلف المحسنات اللفظية من السجع والترصيع والتزام
الحشوع والخضوع واستحضار القلب والتوبة من الذنوب ورو
المظالم إلى أهلها وتكرير الدعاء . كان صلى الله عليه وسلم إذا
دعا دعا ثلاثا لحكمة التشريع في إلفات النفس إلى ما هي بصدد
من الأمر والموقف العظيم فلا تغفل عن موقعها وتوقن بالاجابة

وهو واجب الاعتقاد بشرطه — ويصدق الرجاء والامل وتمنم
الرجبة والشوق ، قال صلى الله عليه وسلم « ادعوا الله وأنتم
موقنون بالاجابة وأعلموا ان الله عز وجل لا يستجيب دعاء من
قلب غافل »

وورد في الكتاب والسنة الاصر بالصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم ، قال تعالى « ان الله وملائكته يصلون على النبي
يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » والصلاة من الله
تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار (يستغفرون لمن في الارض)
ومن الناس الدعاء وجاء في الحديث « من صلى على علي واحدة صلى
الله عليه عشرين » ومن صلى على عشرين صلى الله عليه مائة » وصيغ
الصلوات كثيرة افضلها المأثور في كتب السنة المعتمدة .



❦ الباب الثالث ❦

❦ أدب العلم ❦

شرف الانسان - فضل العلم - فضل التعليم والتعلم - العلم في
الصغر - تفاضل العلوم - ابتداء أمر العلم في الاسلام - العلوم التي
اشتغل بها المسلمون - المقدار اللازم من العلم الذي هو فرض عين -
أدب التوحيد - الفقه - علم التفسير - علم الادب - العلوم الآلية -
ما يلزمنا الآن معاشر المسلمين بالنظر الى الجمهور

يمتاز الانسان عن الحيوان الاعجم بقوة العقل والفكر
والنطق وهذه الميزة والكرامة من الخالق جل شأنه للانسان
جعلته أهلاً للخلافة أى السيادة على الارض يستمرها ويسود
عليها ويستخدم يدايها وقواها الطبيعية في شؤونه بالعمل
والكدح ولذلك كان من أهم واجباته أن يستزيد مما يقويه
ويسهل عليه مهمته هذه ولا شيء ينيله ذلك غير العلم والمعرفة
ولهذا جاء الدين الاسلامي حاثاً على العلم أمراً به موجباً له
كفرض عين على كل مسلم في أمرى الدين والدنيا حتى يعلم
الانسان المفروض عليه في اعتقاداته وعباداته وأمر معاشه في
الهيئة وأدب الاجتماع البشرى واصلاح هذه الدنيا التي ينتفع

بها واتقان ذلك كله بالعلم والمعرفة وفي هذا منتهى الشرف والرفعة
 لنوع الانسان وتفاضله من أجلها بمحضه على بعض وكتاب الله
 تعالى ناطق بفضل العلم والعلماء « قل هل يستوى الذين يعلمون
 والذين لا يعلمون » « انما يخشى الله من عباده العلماء » وقال
 صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة
 البدر على سائر الكواكب » وقال عليه الصلاة والسلام « الايمان
 عريان ولباسه التقوى وزينه الحياء وثمرته العلم » وقال أيضاً
 « اذا أتى هلى يوم لا ازداد فيه علماً يقربني من الله عز وجل
 فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم » وقال عليه الصلاة
 والسلام (العلماء ورثة الانبياء) وفي حديث آخر (من يرد الله
 به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده)

وقال الامام هلى رضي الله تعالى عنه الكميل (يا كميل العلم
 خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم
 والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على
 الانفاق) وقال الزهري (ما عبد الله بشيء أفضل من العلم)
 هذا قليل من كثير مما قيل في فضل العلم على الاطلاق
 وما قيل عند أهل الاسلام في فضل التعلم والتعليم بالتبعية لذلك

كثير ايضاً قال تعالى (ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً) ولا شك ان الدعوة الى الله تعالى لا وسيلة لها الا بالعلم والتعليم اللذين ثمرتهما العمل ولقد حث القرآن المجيد على نشر العلم وطلبه قال تعالى (فلو لا نفر من كل فرقة نفر ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وقال تعالى (واذا أخذ الله من النبيين ميثاقهم لتبينه للناس ولا تكتُمونه) أراد به الله تعالى نشر العلم أو ما هو من أخصه معرفة الله تعالى وشرائعه

(وقال تعالى أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)

وما الحكمة والموعظة الحسنة الا العلم الشامل الجامع لخيري الدنيا والدين كالذي يطلب اليوم وينشد من (جامعات العلوم) و (كليات المدارس) وفي هذا منتهى الفخر والسؤدد الذي جاء للترغيب في الاستزادة منه قوله تعالى (قل رب زدني علماً) وجاء في الحديث على طلب العلم (طالب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وفي حديث آخر (اطلب العلم ولو بالهين) وفي حديث (طلب العلم أفضل عند الله من الصلاة

والصيام والحج والجهاد في سبيل الله عز وجل (وفي حديث
 (أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم)
 وهناك حديث آخر قال علي فضل العلم وطالبه (ان الملائكة
 تنضع أجنتها لطالب العلم)

والآثار في الباب باب مدح العلم والتمتع كثيرة لا يكاد
 يحصيها مثل هذا المختصر ولقد شبه بعض العلماء حاجة الإنسان
 الى العلم بحاجة المريض الى الدواء قاله ضروري للنفس والتعلم
 واجب على المرء ولقد قال الامام علي كرم الله وجهه (ليس
 الخير ان يكثر مالك وولذك ولكن الخير ان يكثر علمك) ومثل
 ابن شهاب أفضل العلم أم العمل فقال (العلم لمن جهل والعمل
 لمن علم) وقال الشافعي رضي الله عنه (طلب العلم افضل من
 جملة الذنابة)

وأفضل العلم ما لقن في الصغر لانه يكون كما قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم (العلم في الصغر كالنقش في الحجر)
 وقال عليه الصلاة والسلام في الترغيب في تعليم الاطفال
 (ما نحل والد ولده نخلة أفضل من أدب حسن يفيد إياه او
 جهل قبيح يكفه عنه ويمنه منه) وقيل (من أدب ولده فقد

ارغم ضده ومن لم يجلس في الصغر حيث يكره لم يجلس في
الكبر حيث يحب (لكن اذا كانت هذه الدنيا من المهمل الى
الاحد دار عمل وكدهج وتجربة وتعلم لذلك لم يكن لاصري بد
من الاستزادة فيها من العلم والنور وقد صر بك قوله تعالى
(وقل رب زدني علماً) والحديث الشريف (اذا أتى على يوم
لا ازداد فيه علماً فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم)
مع ان مقامه صلى الله عليه وسلم ارفع من ان يحتاج فيه الى
التعليم النبوي وانما حكاية للتشريع ككل ما جاء مثله للتشريع
الامة وتعليمها وارشادها حتى لا يقصد بالكبير والعظيم هتما
دون الاستفادة والاستزادة من علم ينفع وحكمة تلتقط وعمل
جليل يختار ، ولقد سأل بعض الناس عالماً عظيماً من السلف
الصالح (أحسن بي أن أتعلم وأنا كبير - فقال له ذلك العالم على
الفور - اذا كان يحسن بك أن تعيش فانه يحسن بك أن تتعلم)
وكان عطاء يقول وهو في التسعين من سنه (ووددت لو اني
أحسن العربية)

فالعلم والعمل به هو السعادة الابدية لانه وسيلتها المظهي
ونقطة ارتكازها الكبرى في الدنيا والآخرة بل هو مطية

السعادة الدائمة ومنتهى لذة الحياة وتقدمها ولقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حديث شريف (من طلب الدنيا
فطليه بالعلم ومن طلب الآخرة فطليه بالعلم) وقال في حديث
آخر (إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم من يطلب الخير يؤثـ^(١)
ر ومن يتق الشريعة) ولا شر شر من الجهل



والعلوم البشرية تتفاضل بحسب الفوائد التي تحصل منها
والثمار التي تجنى وزيادة النفع بالنسبة الى الظروف المحددة
والمقتضيات الزمانية غير ان ما كان على المعلوم من العلوم
والمعارف أمس بأحوال الناس الاجتماعية وألصق بأمورهم
النفسية كالشرائع والآداب ونحوها عد أشد وجوباً من غيره
في التعليم ثم يأتي بعده الامثل فالامثل من العلوم والمعارف
البشرية مرتبة بحسب مراتبها النفسية كالطب لحفظ صحة
الابدان والحساب والهندسة للزومهما في قيام المصالح وعمارة
هذا العالم ثم العلوم الكونية الطبيعية لمعرفة ما في الكون من
عجائب وغرائب وقوى وامرار ومنافع ناهيك بأن فيها وفي

(١) الاحياء والجامع الصغير وغيرهما

نواميسها الدقيقة المحكمة النظام والترتيب اجل براهين وجود
الصانع تعالى وبديع حكمته

ولقد جعلت الشريعة الاسلامية العلوم والمعارف درجات
بعضها فوق بعض فكان منها بمقتضى هذا الترتيب ما تعلمه في
نظر الشريعة (فرض عين) كالمقائد والشرائع التبعية وبعض
التعاملية والآداب النفسانية ومنها ما هو (فرض كفاية) اذا
قام به البعض سقط عن الآخرين كالهندسة وكالطب الى
اشباه ذلك فترى من هذا ان الدين الاسلامي قد أحكم الاختيار
في تحرى العلوم بالنظر الى مصالح البشر الصحيحة مما يمتنى به
وينشده علماء العصر في تبسيط أمهات الشرائع والآداب
العملية الى اشباه ذلك لانهم يرونها كما رأتها من قبل مبادئنا
الاسلامية من لوازم البشر في اجتماعاتهم وحاجتهم الى العلوم
بحسب تفاوتها في درجة نفعها ولزومها لسير العمارات من
أصول الآداب الاجتماعية والشرائع ثم وسائل ذلك من
أصول المعارف الاخرى الضرورية ثم تخصيص العلوم العالية
والتعمقات الفنية بفئات مخصوصة كالتى هي في حكم الفرض
الكفائي في شريعتنا الاسلامية

ولما كان المسلمون قلالاً ولأول عهدهم بالحضارة الإسلامية
 كان تحصيل العلم بينهم قاصراً على فهم أمور الشريعة وآي القرآن
 واستنباط الأحكام منها ومن السنة بالتلقين والرواية والحفظ
 دون اهتمام بتدوين علومهما في الأسفار والكتب ولكن لم
 يلبث الحال طويلاً على ذلك حتى غيروا تلك الحال بأرقى منها
 فكثرت تعلم الخط العربي بينهم ودونت من ثم الكتب والأسفار
 الجليلة في سائر العلوم وصار تعليم العلم صناعة من الصناعات
 تكبر وتقل بحسب الظروف المحدقة بالهيئة الإسلامية في
 تقلباتها المختلفة

وأكثر أصول العلوم التي يشتغل بها المتأخرون قد أولاهها
 المسلمون من قبل عنايتهم واشتغلوا بها بقدر طاقتهم ومبلغ
 ما اقتضته تقدمات عصرهم وورقي أزمته وسعة ممارفهم ولكل
 أيام دولة ورجال وعال من الرقي يناسب الحال .

أما العلوم الفقهية فقد وفوها حقها بما لا مزيد عليه لمستزيد
 أصولاً وفروعاً بالنظر إلى ما ناسب وقائع زمانهم وظواهر حوادثه
 وكذا العلوم الكلامية من العقائد والآلهيات ثم علم التفسير
 تفسير القرآن المجيد وعلوم الحديث حديث رسول الله صلى الله

عليه وسلم ثم علم الاخلاق وآداب النفوس والسلوك على طريقة الصوفية أو على طريقة الفلاسفة اليونانيين ثم علوم اللغة العربية من النحو والصرف والمصاني والبديع والبيان والانسنة والشعر وأدواته ثم المنطق والفلسفة والجدل ثم الطبيعيات والرياضيات والطب والفلك أو الهيئة مما يدلنا على ان قومنا وسلفنا الصالح الاول لم يفهم شيء مما يشتغل به أهل الغرب اليوم من العلوم والمعارف الا بمقدار ما توسع فيه أبناء المصور المتأخرة بمقتضى ناموس الارتقاء في الاساليب والاكتشافات والاختراعات التي انبنى عليها نسخ كثير من آراء المتقدمين واقوالهم لا في الاصول الحقة الثابتة ولكن في الآراء الطارئة بحسب تلك المكتشفات في العلوم الطبيعية خصوصاً .

وحيث اني هنا بصدد بيان ادب الاسلام وبعبارة اخرى بصدد ما بنى عليه من الاصول الحقة والامور العامة الداخلة في الادب الاجتماعي الانساني والتمدن البشري وبيان ما اشتغل به المسلمون قديماً وما تأدبوا به او ترقوا بتحصيله من فروع العلوم البشرية اللازمة وفاق ما رأوه في ترتيبها وأهميتها من الوجهة النفعية والمكانة العملية بحسب أحوال الهيئة الاجتماعية

الاسلامية في تلك المصور الماضية خصوصاً فلنكتف اذن
بسرده بيان أهم فروع تلك العلوم التي اشتغل بها المسلمون مبتدئين
بالعلوم الخبيصة منها بالاصاق بالدين فأقول .

الاول التوحيد - اختلف علماء الملة قديماً في بيان العلم
الذي هو فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل فقال الفقهاء هو
الفقه المبين للشرائع المبينة للحلال والحرام وسائر المعاملات ، وقال
أهل التفسير وأهل الحديث هو علم الكتاب وعلم السنة إذ
يهما يتوصل الى العلوم كلها ، وقال المتصوفة والاخلاقيون هو
علم العبد بحاله ومقامه من الله تعالى والاخلاص له وآفات
النفوس وتركيتها من الارجاس والرفائل ، وقال العالم أبو طالب
المكي هو العلم بما تضمنه حديث بني الاسلام على خمس شهادة
ان لا اله الا الله الى آخره وهذا الذي اختاره اكثر أجلة
المتكلمين فيكون من أدب الاسلام ان أول ما يجب معرفته
من الفروض العينية « التوحيد » ثم « الفقه » وهذا وذاك
يقتضي النظر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه
وسلم فوجب « التفسير » ووجب « الحديث » واذا كان كل
هذا فيا ظن من أفعال العباد والمقصود بها جميعاً تزكية الباطن

مع الله تعالى ذلك الذي جاء فيه الحديث الشريف « من أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح سريره أصلح الله علاقته » فمن ثمَّ لزم الوقوف على آداب النفوس والممسل على تزكيتها لتتال السعادة الحقيقية ونحن إذا نظرنا الى باقي العلوم الشرعية وما بني عليها من العلوم الآلية التي جعلت كالوسيلة اليها وجدنا انها كلها متسلسلة الحلقات مفتقر بعضها الى بعض في أدب الاسلام بالمقدار المناسب للكافة في صلاح احوالهم وبالقدر الواجب للخاصة من أربابها في صناعاتها وهذا بعينه ما نراه في احوال المتأخرين فيما رأوه ضروريا من انواع العلوم والمعارف فالشرائع والآداب والمعارف الضرورية لاستصلاح احوال العالم لا بد من ان يلم أبناء الهيئة كلهم باليادى الأولية الضرورية منها من الوجهة العملية خصوصاً على مثال ما نراه في التربية العصرية عند المتأخرين فيما يحتاجون اليه من العلوم والمعارف النافعة في التربية العمومية أما التعمق والتبحر في الاصول والفروع منها فيختص بأرباب الفن القائمين به والذين هم قادة وهداة لغيرهم فيه

لقد تقدم في اول هذا الكتاب في باب « أدب
 الاعتقادات » جملة مما فيه الكفاية من الوجهة العملية والنظرية
 في « التوحيد » فيما يتعلق بمبدئه اسلامياً أما تعلمه والتأدب به
 عند الكفاية من المسلمين كعلم يجب تعلمه لانه فرض عين على
 كل مكلف فينحصر في معرفة العقائد الدينية واجبها وجائزها
 ومستحياها بحق الذات العلية ذات الله تعالى القدسية ثم ما يتبع
 ذلك من العقائد وحكمه كما ترى الوجوب الميني على كل مكلف
 من ذكر واثني واولها معرفة الصفات العشرين الواجب اعتقادها
 بحق الله تعالى وهي ^(١)

الوجود ، القدم ، البقاء ، مخالفة الحوادث ، قيامه تعالى
 بنفسه ، الوجدانية ، القدرة ، الارادة المتعلقةان بجميع الممكنات
 العلم المتعلق بالجائز والمستحيل ، الحياة ، السمع ، البصر المتعلقةان
 بجميع الموجودات ، الكلام الذي ليس بحرف ولا بصوت
 ويتعلق بما يتعلق به العلم ، وباقيها وهي سبعة تتعلق تعلق ملازمة
 بالصفات السبع الاخيرة منها ويقال لها الصفات المعنوية وهي
 كونه تعالى قادراً ومريداً ، عالماً ، حياً ، سمياً ، بصيراً ، متكلماً

(١) الاحياء للغزالي وشروح السنوسية في التوحيد

أما الصفات المستحيلة في حقه تعالى فهي المشرونة صفة
التي تضاد الصفات السالفة من : المدم • والحدوث • والفناء •
والمائلة للحوادث • وعدم القيام بالنفس • والتعدد • أو التركيب •
والمجز وعدم الإرادة • والجهل • والموت • والعمى • والصمم •
والبكم الى آخر ما يقع مضاداً للصفات العشرين الواجب التأدب
باعتقادها في الاسلام بحقه تعالى

أما ما يجب اعتقاده بحق الرسل عليهم الصلاة والسلام
فالصدق والامانة وتبليغ ما أمروا بتبليغه الى الخلق ، ويستحيل
في حقهم اضداد هذه الصفات من الكذب والخيانة بنقل
شيء نهوا عنه نهى تحريم أو كراهة أو كتمان شيء مما أمروا بتبليغه
الى الخلق وقد نص القرآن في غير موضع منه على تلك الاحوال
لرسل وامثالها « وما ينطق عن الهوى » « ولو تقول علينا
بعض الاقاويل لاخذنا منه بالوتين » الى اشباه ذلك من الآيات .
ويلحق بذلك تصديق ما اخبروا به من احوال الآخرة
من الحشر والنشر والجنة والنار الى آخر ما تراه مبسوطاً في
كتب العقائد الموضوعة للكافة والمبرهن عليها عقلياً ونقلها وقد
تقدم شيء منها في اول الرسالة

أما الفقه من العبادات والمعاملات الشرعية فلازم أيضا
لأبناء الهيئة لزوم التوحيد أصولاً للتشريع وفروعاً للعمل لأن
الإسلام إيمان وتصديق بالقلب واللسان ثم عمل بالأركان وحكم
هذا الفقه الرجوب العيني في فروع العملية بقدر ما يعرف المرء
به تصحيح عباداته وما في حكمها من معاملاته وأحواله الشخصية
اللازمة لكل إنسان في الهيئة أما ما زاد على هذا القدر أصولاً
وفروعاً فحكمه الرجوب الكفائي ولعمري الحق أن هذا هو اسمي
ما يطلب لإصلاح أحوال الكافة لأن تفرغهم ذلك التفرغ العظيم
المطلوب لمساهم بصدده من الأعمال الحيوية والمهن المأشوية
وطاب الأرزاق والسعي بهذا كله في عمار العالم موجب كله
لهذا قاض به بطبيعة الحال فصار انقطاع الفقهاء والمتشرعين من
العلماء لمساهم بصدده من الأصول الفقهية والفروع المستنبطة
وتسهيل ورودها على الناس في حل مشكلاتهم ومعضلاتهم
وتنظيم شؤونهم مهنة لهم لازمة للهيئة الاجتماعية في كل عصورها
على حسب مقتضيات أحوالها كما صار ما هو فرض عين من
الفقه لازماً لكل مكلف لإصلاح أمر دينه ودنياه بحسب تلك
المقتضيات الزمانية حتى تكون الهيئة الإسلامية على الدوام في

ترق مستمر تبعا للاحوال والظروف ولهذا على ما يقول الفقهاء
والاصوليون اصل كبير في الدين

ولقد مرّ بك جملة صالحة مما هو في حكم القروض المبنى
من الفقه في باب ادب المبادات من هذه الرسالة بمقدار
ما وسعه نطاقها ولا حاجة بي هنا الى المزيد وهناك من الكتب
فيه على اختلاف المذاهب ما لا يقع تحت حصر وان كان
ينقصنا منها (كتب عصرية) تناسب روح الزمان في اساليبه
واذواقه و (احواله) حتى يسهل ورود الشرع حيا على كل
وارد من الكافة من المسلمين المتعطشين لذلك المحتاجين اليه
أيما احتياج ولا إخال أحداً من أبناء العصر المهدين الا وهو
يشعر بحاجة الأمة الى ذلك ويأرم القائلين بزعماء العلم الشرعي
على جمودهم واكتفائهم بالحواشي والتقارير والشروح القديمة التي
لا تناسب في تطبيقاتها احوالنا الحاضرة ولقد قال بعض قضاة
الجزائر الحاليين ان الشرع الاسلامي غير واقف وانما هو
ككل اشياء هذا العالم في ارتقاء مستمر على ان الذي ينقصه
انما هو اللمعة والمزينة من اهله حتى يجلي عن شأنه ويستوفي
حقه في الاخذ بيد الأمة في تقدماتها واشيائها الحالية ولا يري

بالنقص عن الكمال من جماعة الباحثين الغربيين
أما التفسير تفسير كتاب الله تعالى القرآن المجيد والذي ذكر
الحكيم الذي لا يفرغ جسديده بالكشف عن معاني آياته
وأسرارها الصالحة لكل زمان ومكان لأنها قد استوفت
الأصول العامة للشرع والمقائد والآداب الاجتماعية السامية
وتأويلها بحسب ما يظهر منها لدوى النهي وأرباب البصائر من
الراسخين في العلم والحكمة من أبناء الأمة الإسلامية فحكمه
الوجوب الكفائي لأهل العلم الاختصاصيين وبعبارة أخرى
لأولئك العلماء المتبحرين في كل فن من اللغة والشريعة والمعلوم
الطبيعية والفلسفية بحسب مبلغ اطلاعهم في أزمتهم على الحقائق
والوقائع العمرانية والحوادث الكونية ^(١) ولهذا حذر الشارع
الحكيم من تأويل القرآن بالرأي وقال تعالى تنبيهاً على هذا
المبدأ (لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) حتى لا تصرف
معاني الآيات إلى آراء وأحوال قد ترى بدهشة العقول ومواقع
الآيات وتناسبها وأسباب نزولها أنها قد صرفت في غير حقها
من المعنى الصريح أو التأويل الرجيح كما قد وقع فيه الكثير من

(١) قد حاز قصب السبق في الباب الامام الرازي في تفسيره الكبير

الصوفية وأرباب الاشارات الاصر الذي يسدوا عين كل ناقد بصير مطلع على تفسيراتهم وتأويلاتهم

على ان هذا ليس بمائع ان يكون في الآيات القرآنية معان غير ما فهم منها بظاهر التفسير أو معان أخرى تناسبها منه وقصدها الله تعالى حتى تتساوى المصوّر في الاخذ والاستنباط من القرآن حكمة من الله تعالى وفضلاً والقرآن كما قيل (هو السهل المتنع والقديم الذي لا تفرغ جوده) قال حجة الاسلام الغزالي رحمه الله تعالى ^(١) (من زعم ان لا معنى للقرآن الا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة الى دوجته التي هي حده ومحطه بل الاخبار والآثار تدل على ان في معاني القرآن منسماً لأرباب الفهم . قال على رضى الله تعالى عنه (إلا ان يؤتي عبداً فهماً في القرآن) فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذاك الفهم ، وقال صلى الله عليه وسلم (ان للقرآن ظهراً وبطناً ومطلماً) ^(٢) وفي هذا كفاية لقوم يعقلون

(١) الاحياء للغزالي (٢) راجع أيضاً الاثنان السيوطي فيه

شيء كثير يؤيد ذلك او يخالفه اه

ونحن بأشد الحاجة الى تفاسير تطبق فيها المكتشفات المصرية
والحقائق العلمية على الآيات القرآنية ثم تأويل بعض آيات يفهم
منها بحسب الظاهر ما يخالف المهود المؤلف تأويلاً يشفي
الصدور ويقنع العقول مما هو من مصلحة الامة وشده أزر
دينها تبعاً لسنة الارتقاء التي شملت كل العناصر خلا امثال
هذا الباب على نحو ما اشرت اليه بالنظر الى الفقه وحاجة الامة
الى كتب عصرية فيه مما هو من أشد موجبات الاسف ولو
كان فسخ الله تعالى في اجل الامام المرحوم الشيخ محمد عبده
لأتم تفسيره المصري ذلك الذي لم يظهر منه غير قطع ونقف
قليلة ولبل بهذا الصنيع صدى الاعم الاسلامية في جميع
أقطار العالم

أما علم الادب - أدب النفوس وتهذيب الاخلاق العملية
فهذا ايضاً مما يجب مدارسته على افراد وان كان مندجاً في
الاخلاق الدينية للوقوف على الرذائل لاجتنابها والوقوف على
الفضائل للعمل بها . وهو يقسم الى أدب مع النفس وأدب
مع الخلق وأدب مع الخلق وسيأتي في باب ادب النفس من
هذا المختصر جملة صالحة منه بقدر ما يحتمله المقام .

ويدخل في هذا الباب علم التصوف من مجاهدة النفس
وتزكية القلوب والاعراق بطريق الرياضة والتأدب بحضرة
الرب تعالي وتصفية الباطن والظاهر من الاكدار في جميع
الشؤون والاطوار كما قال الشاعر ملجاً

ليس التصوف لبس الصوف ترقمه

ولا بكائك ان غنى المفضونا

ان التصوف ان تصفو بلا كدر

وتتبع الشرع والقرآن والدينا

فالتصوف على هذا فرع علم ادب النفوس لهذا طلب
قديمًا لانه كما قال احد مشايخه الشيخ قاسم الخالي (انه الوقوف
مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا) على ان القوم لما غيروا
وبدلوا وتوسعوا وتطرفوا وتشددوا وتعمقوا لهذا كله خرجوا
عن المبدأ الصحيح والغاية الحميدة خصوصاً متأخروا والتصوفة
فانهم نهجوا نهجاً مخالفاً للشرع وخبطوا خبط عشواء في دياجير
البدع والجبر المحض مما جعل الادب والكمال الشرعيين المطلوبين
في علوم هذا في واد وهم باعمالهم وافانينهم في واد آخر غير ذي
زرع ولقد جاء في الحديث الشريف هذه الحكمة المأيلة الكاشفة

(ياكم والتعمق في الدين فان الله جملة سهلاً نخذوا منه ما تطيقون فان الله تعالى يحب ما دام من عمل صالح وان كان يسيراً)
أما العلوم الآلية التي هي وسائل ووسائط لفهم أسرار الدين ومعاني القرآن وبلاغاته وحكمه واحوال النبوة واحاديث سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ثم تسهيل فهم العلوم الدنيوية فقد حدثت بالضرورة بعد عصر النبوة وتطلب العقول والرقى الاسلامي للمتسع من الاحوال والتقدسات العلمية فشاع الخط العربي والقراءة والكتابة تلك الاشياء التي هي ضرورية لكل انسان ووضع علم النحو والصرف والمغة والمعاني والبيان والبدع والعروض : القافية بالنسبة الى الشعر وتثبتت المقول بتعلم الحساب والجبر والهندسة والفلك لضرورتها في احوال الخلق وتصرفهم في الشؤون العمرانية الحسية والمعنوية والطب ذلك الفن الذي عليه مدار حفظ صحة ابدان افراد الهيئة ومداواتها من الامراض الطارئة والاسقام اللاحقة ثم العلوم الطبيعية لمعرفة اسرار مواليدها والتاريخ وتخطيط البلدان وتدوين الاخبار والآداب وقول الشعر وفن الموسيقى^(١)

(١) مقدمة ابن خلدون وغيرها

فهذه منها ما هو واجب تعلم مبادئه على كل إنسان ومنها ما يخلق بان يدخل في حكم الفرض الكفائي والكمال العمراني فيختص به ارباب الفن الاختصاصيون حتى تنتظم أحوال العمران البشرى والسلف من اهل الاسلام في كل منها آثار جليلة ومآثر غراء وايد بيضاء بقدر ما وسعه حاطم واقتضاه تفهم وصلاحتههم من معقول العلوم ومنقولها

والذي يلزمنا نحن ان نتأدب به بعاشر اهل الاسلام المصريين في هذا العصر من جهة اكتساب العلوم وتحصيل المعارف اللازمة لرقينا ورقى هيئاتنا هو ان نتحرى بسوادنا الاعظم الاحاطة بالمبادئ الدينية التي هي فرض عين ثم ان نتعلم مبادئ العلوم الآلية الضرورية من الخط ومبادئ اللسان والحساب وشي من دروس الاشياء وادب النفس حتى يدخل احدنا غمار هذه الحياة وهو على شيء ويحاول فنه الخصوصي وهو على جانب من المعرفة والعلم الضروري والعلم كما قال الشاعر :

العلم يحيي نفوساً فقط ما عرفت من قبل ما الفرق بين الصدق والمين
العلم للنفس نور يستمد به على الحقائق مثل النور للعين

﴿ الباب الرابع ﴾

﴿ ادب العمل ﴾

شرف وظيفة الانسان - فضل السعي في الدنيا - الخلق مسخرون
 في اعمالهم وليسوا مخيرين - مبدأ الصناعة البشرية - حكم الصناعة في
 الاسلام - الحث على اتقان الصنائع - امهات الصنائع - الفلاحة -
 صناعة البناء وفن العمارة - النجارة والحدادة - الوراقة حرفة التجارة
 - صناعة النقل - الخدم - صناعة التعليم - الطب - الغناء والموسيقى
 جمع المال من حلال .

خلق الله تعالى هذا العالم الارضى وجعل اعيانه كلها
 المنتفع بها من المواليد الثلاثة مذلة مسخرة للانسان الذى زانه
 بالعقل وحلاه بالفكر وسخره بالارادة ليعمر الارض تعميراً
 يوافق السنن الالهى المطلوب فى تنظيم العالم وتفسير اشياءه
 واستخراج مواد مماشه على اكل وجه ولقد نطق الكتاب
 العزيز بذلك فى كثير من المواضع منه ما هو على سبيل الامتنان
 للدلالة على شكر الصانع الحكيم ومنه ما هو على سبيل الحث
 لتجويد الاعمال والقيام بها فى اصلاح الارض على اكل وجه
 يقتضيه أمر الخلافة قال تعالى فى خطاب نبى اسرائيل « عسى
 ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف

تعملون» وقال في خطاب المسلمين «وعلم الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم» وجاء في تذليل الأرض وتسخيرها لبني آدم «ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش قليلاً ما تشكرون» «وسخر لكم ما في الأرض جميعاً» و «فللناها لكم» وجاء في تحرى أحسن العمل في الأرض «أنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً» وقال تعالى في السجدة «فانتشروا في الأرض وابتنوا من فضل الله» «واسمعوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور» «الله يبسط الرزق لعباده» «وانبتنا فيها من كل الثمرات رزقاً للعباد» وقال في تقسيم الأعمال والمساعى «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا» الى غير ذلك من الآيات البينات والحجج القاطعات مودة في معرض الامتنان تارة والحث على السعي في طلب الرزق أخرى سواء بالنظر الى الجماعات أو الافراد على أكل الوجوه وأتم الخلال المطلوبة مما سماه الله تعالى اصلاحاً حتى تتم بذلك وظيفة الخلافة الآدمية ويتم عمار هذا العالم ويكون

صلاح هذه الدار التي هي مزرعة الآخرة ودار التكليف في كل الاعمال الحسية من حيث الصنائع والفنون على انواعها والمعنوية من حيث الآداب والشرائع والمعلوم مما العمل له كله واجب على المجموع الانساني والله ما أجل الحكمة المودعة في الأثر الشريف « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » فالدنيا نعمة واستصلاحها واجب والشكر عليها فرض والقيام بحقوقها بالنظر الى السعى في طلب العيش بأوسط الطرق ضربة لازب قال النبي صلى الله عليه وسلم في مرض الحث على العمل والسعى على الرزق « ان من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة » وأنت اذا تأملت في حقيقة الذنوب التي تجلبها البطالة والفراغ رأيتها اكثر من ان تحصى. وقال صلى الله عليه وسلم « من طلب الدنيا حلالاً وتعففاً عن المسئلة وسعيّاً على عياله وتعظماً على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر » وهذا الحديث بما بني عليه من المعنى أصل في الاجتماع إذ العمل مطلوب فيه والسعى في تربية العيال مرغوب فيه بطبيعة العمران وصون النفس وتعففها من خير ما وهبت النفوس ومفيد المساعدة والرشد الى فقراء أبناء

الهيئة محبوب وقال عليه الصلاة والسلام « ان الله يحب السيد
يتخذ المنة يستغنى بها عن الناس » وقال كذلك في اتخاذ الحرفة
« ان الله يحب المؤمن المحترف » وقال ايضاً في الكسب الحلال
والبيع المبرور (أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع
مبرور) (أحل ما أكل العبد كسب يده الضائع) وقال في
فضل التجارة (عليكم بالتجارة فان فيها تسمة اعشار الرزق)

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في الحث على العمل
(لا يبعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد
علم ان السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة) وكان زيد بن سلمة
يفرس في أرضه فراه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له
مشجعاً على العمل (أصبت استغن عن الناس بكون أصون
لدينك واكرم لك عليهم) كما قال صاحبكم احية :

ولن أزال على الزوراء أعمرها إن الكريم على الإخوان ذوا المال
والآثار والاقوال في الباب باب فضل العمل والسعي
واكتساب المال الحلال يضيق عنها الحصر وتطول في سردها
الشروح ومجمل القول انه لا انتظام لامر هذا العالم الا بسعي
الافراد في طلب المعاش والجماعات حتى تعم الدنيا وفاق السنن

الآلهي المطلوب ولقد أوجدت الشريعة النظمات الكافلة في كل المعاملات من حق الملكية والبيع والشراء وحرية التجارة والاختلاف والمطاء وأتمت على الاختكارات وجعلت لكل ذلك قيوداً وحدوداً عامة صالحة لكل زمان ومكان حتى يستبان حرامها من حلالها وصحيحها من فاسدها واكثر الاسول تناسب مقتضيات كل زمان ومكان حتى ينتظم أمر الخلق ويسمدها فيما هم بصدد من الاعمال والصنائع والمخترفات وكل المهن الاجتماعية والاعمال المماشية التي الخلق مسخرون لها في صورة مخفين بطبيعة حال الممران البشري قال الامام الراغب الاصفهاني :

« لما احتاج الناس بعضهم الى بعض سخر الله كل واحد من كافتهم لصناعة ما يتقاطعا وجعل بين طبائعهم وصنائعهم مناسبات خفية واتفاقات سماوية يؤثر الواحد حرفة من الحرف ينشرح صدره بملاستها وتطبعه قواه بمزاوتها فاذا جعل اليه صناعة أخرى فرمى وجد متبداً او متبرماً بها وقد سخرهم الله تعالى لذلك لئلا يختاروا بأجمعهم صناعة واحدة فتبطل الاقوات والمعاشات ولولا ذلك لما اختاروا من الاشياء الا احسنها ومن

البلاد الا اطيها ومن الصناعات الا الطمها ومن الاعمال الا
 ارفعها ولتتاجزوا على ذلك ولكن الله تعالى بحكمته جعل كلاً
 مستخراً في صورة مخير فالناس اما راض بصنعتة لا يريد عنها
 حولا كالحائك الذي يرضى بصنعتة ويعيب الحجام والحجام
 الذي يرضى بصنعتة ويعيب الحائك وبهذا انتظم أمرهم كما قال
 تعالى «فتقطعوا أمرهم بينهم زمرأ كل حزب بما لديهم فرحون»
 واما كاره لها يكابدوها مع كراهيته ايها كانه لا يجد لها بدلا
 وعلى هذا دلّ قوله عليه الصلاة والسلام «كل ميسر لما خلق
 له» بل صرح تعالى بقوله «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة
 الدنيا» وقال «وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون وقل كل
 يعمل على شاكلته» ولهذا قال عليه الصلاة والسلام «ان يزال
 الناس ما تنافسوا فاذا تساوا هلكوا» والتفرق والاختلاف
 في نحو هذا الموضع سبب الالتئام والاجتماع والاتفاق
 كاختلاف صور الكتابة وتباينها وتفرقها التي لولاها لما حصل
 لها نظام فسبحان الله ما أحسن ما صنع وأحكم ما أسر وأتقن
 ما دبر ولهذا قيل من حق من قُض له صناعة مباحة فرزق
 منها ان يراعيها على ما يجب كما ما يجب وعليه قوله عليه الصلاة

والسلام « مَنْ ذُرِقَ مِنْ شَيْءٍ فَلْيَلْزِمِهِ »^(١)
 فترى من هذا ومن أمثاله الكثيرة في أقوال حكماء الأمة
 الإسلامية ومن استقرأ حال النذرين الإسلامي إبان ازدهائه
 واشراقه أن ما وُجِدَ في كتب القوم مما يخالف هذا بظاهره
 من الانقطاع عن العمل والتفرغ للعبادة جملة ليس من المبادئ
 الإسلامية البتة وقول بعض الباحثين الغربيين بالحمل على ذلك
 أن الصلاة الإسلامية لتتخلو حتى من طلب الممونة على الرزق
 استغراقاً في العبادة ليس بالذي يدل على ذلك الذي يطمنون
 به على الإسلام وجملة القول أنه لم يرد بهذا أمر من الله ورسوله
 بل كره الإسلام الكسل وحرّم التبطّل ومقت صاحبه وفضل
 عليه رجل العمل وصاحب الشغل وحكاية ذلك الرجل الذي
 كان يلزم المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدح
 الصحابة له بالفضل في العبادة حين مات وتفضيل النبي صلى الله
 عليه وسلم من كان يعمل عليه شهيرة في كتب السنة ولله ما أبلغ
 هذه الحكمة المعزوة الى لقمان الحكيم فيما وعظ به ابنه وقد
 أوردها مؤلفو العرب للنصح والارشاد قال « يا بني استغن

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة للامام الاصبهاني

بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه
ثلاث خصال رفة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروءته
وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به »

على ان قيام هذا العالم الانساني بطبيعة النظام الطبيعي
للعمران البشري وما ركب في الانسان نفسه من أجله من
غريزة التنازع على البقاء التي تفسرها تلك الخصال من الحرص
وخوف الفقر لينتج القيام بالعمل ويبحث النفوس على الجهد
والكد واحتمال كل التكاليف الادبية والاجتماعية لتحقيق
الاقوات والارزاق مما يفسره قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم : الناس من خوف الفقر في الفقر ، فالعمل والسعي واجبان
انسانياً والاسلام يحث عليهما والارزاق مع ذلك بالمعنى الاسمي
بيد الخلاق ومن تعطل او تبطل لاي سبب وبأية حجة فقد
انسخ عن الانسانية وصار في حكم الموتى او الاعضاء الشلاء في
جسم الهيئة الاجتماعية وكذلك الامة التي يكون هذا شأنها في
مجموعة تلك المجموعة من بني الانسان والاسلام أجل وأعظم
من ان يكون في مبادئه ما يجعلنا بهذه الصفة المحقرة والله تعالى
يقول مخاطباً لنا « كنتم خير أمة أخرجت للناس » لا بأجسامنا

واحسابنا ولكن بمبادئنا وجودة اعمالنا

والاعمال الدنيوية التي بمزاواتها الخلق مشغولون لتحقيق
الاقوات والارزاق وتقويم اود الحياة من المطعم والملبس
والمسكن ونحو ذلك وما يتفرع عنها من اسباب التمدين والتائق
في الحضارة هي الصنائع والحرف البشرية وامهات الاعمال
الانسانية لان الله تعالى للحكمة العظيمة في ايجاد الانسان
وعمله لم يخلق شيئاً من اتمعة هذه الدنيا وارزاقها واقواتها مهيناً
بحيث يستغنى عن صنعة الانسان لتلك الحكمة من ايجاد عمله
المبني على القتل واستخدام قوة الفكر وترفع الازواق والتائقات
وتوزيع الشؤون العملية بخلاف الحيوان الذي يتغذى من
النبات بغير معالجة او طبخ مثلاً ولا يحتاج في بدنه الى ملابس
او مسكن وقصر مشيد بل يقنع بالصحراء والكهوف مسكناً
ولباسه شعره وجلده بعكس الانسان ولا سيما الانسان المتمدين
او الراقى فانه يحتاج في هذا الصدد الى انواع كثيرة من الصنائع
المختلفة المرتبطة بعضها ببعض والتي يتكون من جملة اصول
التمدين وبالتالي دعائم العمران المادي والرقى وهي وان اختلفت

في ارتقاآتها بحسب الأزمنة والأمكنة فإن وجود أصولها
 ليمهد في الهيئة الاجتماعية منذ وجد هذا الإنسان وحكمها في
 النظام الاسلامي وبموجب الشريعة المحمدية أنها من الضروريات
 وبالتالي في حكم القرض الكفائي لحكمة تبادل المنافع ومنتجات
 الاعمال التي الخلق مشغولون بها قائمون عليها في تحصيل المعاش
 بالاضطرار في صورة الاختيار كما تقدم في قول الامام الراغب
 ولقد كان للسلف الاسلامي عناية بالصنائع التي اشتغلوا
 بها واعتمدوا عليها في رقيهم بقدر ما وسعه مبلغ تقدمهم وتحروا
 فيها بنسبة احوالهم الكمال والاتقان الذي ندب اليه الشارع
 الحكيم عليه السلام «ان الله يحب الصانع الحاذق» ولا معنى
 لهذا وغيره مما جاء بهذا المعنى سوى حث الهمم لتجري الاستجداء
 والاتقان في الاعمال والصنائع مراعاة لما تطلبه الاحوال
 العمرانية الارتقائية في تقدمها بنسبة التقدّمات اللاحقة الطارئة
 على أنواع الصناعات الانسانية عند أهلها واختيار أساليبها
 الجيدة واشيائها الجديدة على الدوام لنوال المزيد في الربح والرواج
 فضلاً عن بلوغ الكمال العمراني الذي هو ابعى ما يطالب
 من الإنسان بمقتضى قطره ووظيفته على ظهر هذا الكرة .

والصنائع البشرية التي يعتمد عليها أكثر الناس في
تحصيل العيش والكسب كثيرة لكثرة فروع الأعمال
المتداولة بين البشر بحسب أوساط بلدانهم وأقطارهم المختلفة في
أشياءها ومتطلباتها وأحوال ارتقاؤها وإن رجعت الأصول في
الصنائع إلى عدة فئات ترى لدى كل البشر على السواء وهاته
الأصول ترجع إلى أربع أو خمس صناعات ولنقص القول على
تلك الأصول الجامعة مما يناسب حال كل عمران فإن التكلم
على متفرعاتها ومتطلباتها التي تارة نكثرت وتارة تقل بحسب
أذواق كل عصر وكل مصر وحركته الاقتصادية وتقدمه
المادى والمعنوى مما لا يمكن حصره ولا ضبطه وإن أوجبت
النظم الاجتماعية بين شرعية ووضعية تحرى أشياءها ليستعمل
البشر فيما هم بصدد من الأعمال وأسباب السعادة والقبطة
الدنيوية.

ولقد قسم بعض العلماء قديماً كابن خلدون^(١) وغيره

الصنائع البشرية والأعمال الانسانية إلى ثلاثة أقسام

(١) الصناعة

(٦) التجارة

(٧) الأمانة

وأدخلوا في كل طائفة منها ما يناسبها من أنواع الصنائع التي من أمهاتها وأولاهها « الفلاحة » التي عليها مدار تحصيل الاقوات بالقيام على الزرع والضرع وتربية الحيوان الداجن المنتفع به . وقد جاء في مدح الزراعة آثار كثيرة واوجدت لها الشريعة والانظمامات الاسلامية القيود والحدود كحقوق الملكية والارتفاق والمزارعة والاستئجار والسقيا كما وضعت عليها زكاة الزرع والحيوان والخراج الى اشباه ذلك للصرف على المصالح العامة ولقد جاء في مدحها وفضلها في معرض الامتنان آيات من القرآن يينات وقال صلى الله عليه وسلم « التمسوا الرزق في خبايا الارض » على ان مما يجب ان يتنبه له المسلمون إنما هو ترقية أعمالهم الزراعية بحسب الأساليب الحديثة والطرق الجديدة لان ذلك بمقتضى ما هو مشروط من تحرى الحلق والمهارة في الصنائع وتجويد الاعمال في حكم الواجب الذي لا مندوحة منه حتى تفيض أراضهم المشهورة بجودة التربة في أكثر بقاع الاقطار الاسلامية بالخيرات العظيمة والفيوضات

المهمة ولا يجهلوا للكسل والضعف اكتفاء بالأساليب القديمة
المعملة القاصرة سلطاناً عليهم فيفوتهم استمدار الثروة المظيمة
من أكبر مصادرها وأهم ينابيعها بالنظر إلى أحوال بلادهم
الزراعية

ومن أمهات الصناعة البشرية صناعة « البناء » التي
احتاج إليها الإنسان منذ أن وجد تقريباً لإقامة المساكن
وتشييد الأماكُن التي يتخذها لمنافسه من الأواء إليها والانتفاع
بها في مصالحه. وفن العمارة تقلبت عليه أحوال كثيرة وتغيرات
جمة بحسب ادوار التمدن البشرى ولقد كان لأهل الإسلام
فيه اليد الطولى بقدر ما احتمله مبلغ رقيهم والآثار التي خلفها
أهل الإسلام في جميع أقطاره وما حوت من نقوش وزخارف
تشهد لهم بأنهم برعوا قديماً في فن العمارة بقدر ما وسعته أحوال
عصورهم وأنه لا يجدد بالمسلمين الآن أن يطلبوا ترقى ذلك الفن
عندهم لأنه من أعظم مظاهر العظمة الدالة على كمال الارتقاء
وسبيل ذلك ميسر لهم علياً وعملياً إذا أرادوا أن ينهضوا ليمشوا
الرقى العصرى جنباً إلى جنب في أشياءه النافعة وهذا الفن أو
تلك الصناعة تضم إليها عدة صناعات أخر متممة لها كما هو معلوم

مما ينبغي ان يشملها هي ايضاً الترقى المحبوب بالتبعية لذلك .
 وصناعة (التجارة) وصناعة (الحدادة) من الامهات ايضاً في
 الصنائع البشرية وهي تخدم صناعة البناء وصناعة الزراعة كما
 تخدم البشر في حاجاتهم الكثيرة الاخر من مثل الادوات
 والعدد المنتفع بها في كثير من الشؤون الحيوية والصناعية ،
 وقيامها بمعالجة الخشب والحديد والنحاس ونحو ذلك وهيئة تلك
 المواد بحيث ينتفع بها في تلحم الشؤون المختلفة سواء كانت عُدداً
 للعمل او ادوات للمنافع الحيوية . هذا وغير خاف ان تقدم
 هاتين الصناعتين في أوروبا قد بلغ أشده بخلاف الشرق
 لا كتفائه بما اعتاده من قديم بحيث صار الفرق بيننا معاصر
 أهل الاسلام وبين أهل الغرب في مضمار تينك الصناعتين
 كالفرق بين الطفل الصغير والرجل الكامل الشديد البطش
 والقوة فضلاً عن مهارة اليد والعقل وهذا لا يجيزه شرع ولا
 عقل والمصاحبة الذاتية للمسلمين قاضية بالترقى في مثل هذه
 الشؤون الحيوية للتساوى بأهل القوة طلباً للنجاح والفلاح في
 مضمار الحياة الانسانية بين الشعوب المصرية فمن يجب على
 المسلمين ان ينشدوا الكمال في الصناعة وينشطوا لتحري روحها

بواسطة الاكثار من انشاء المدارس الصناعية على الطراز
الجديد والمصانع والا اثموا ولحقهم وزر الحاملين وحرمان
المقصرين المهمين .

ومن أمهات الصنائع البشرية كما لا يخفى صناعة « الغزل
والحياكة » ثم « الخياطة » وكلها لولاها ما لبس انسان ولا
تألق متأنق في ثيابه أو فرشته المنجدة من الاصواف والاوبار
أو القطن والحرير والتيل ويلحق بها صناعة الصباغة والدباغة
بالالوان والنقوش وهذه وتلك كلها منخطة الآن عند المسلمين
بعد ان كان لهم فيها القدح المعلى والشأن كل الشأن فيخلق بهم
بالنظر الى تلك الاحوال التي نسبتهم فيها الغرب أيما سبق ان
يشمروا عن ساعد الجد ويطرحوا أسباب الكسل والتواني
ليحيوا أمثال تلك الصناعات عندهم على مقتضى ما جرى عليه
الفريون من الطرق والاساليب الجديدة والعدد المسهلة وأنه
ليعار عليهم أن يستغنوا بالمنسوجات الأوروبية عن احياء صناعة
الحياكة ومستلزماتها في بلدانهم وهي التي تخرج الى أوربامادتها
الأصلية من القطن والصوف والحرير وان نقصتها مادتها الثانية
من الفحم والعدد والالات العاملة فيها بحسب الطرق الجديدة

ولقد يدخل في هذا النقص نقص الصناعة في البلدان الشرقية
 « صناعة الوراقة » اي الكاغد المتعم به في المكتبة والطباعة
 ونحوها فان البلدان الاسلامية قد فقدت منها هذه الصناعة
 بالمرّة مع انه ليس من غنى عنها البتة لانه اذا احتيج الى الكتابة
 والخط احتيج بالبداية الى الورق ، وصناعة الطباعة الحديثة كما
 كفت العالم مؤونة الخطاطين والنساخ فقد زادت الحاجة
 بنسبة رواجها عندنا الى صناعة الكاغد ناهيك بمنافه الاخرى
 في الشؤون التي يتعلّق بها في التجارة

وحرفة « التجارة » من مهمات الصنائع البشرية والتجارة
 محاولة تنمية الاموال بشراء السلع بالرخس ويبيعها بالنلاء في
 مثل غلة زرع او حيوان او قماش او ما أشبه ذلك من عرض
 التجارة وذلك القدر النامي هو الربح ، المحاول اخذه وللتجارة
 بالنظر الى اعمالها المختلفة واحوالها الدقيقة القيود والحدود
 الضابطة في الشريعة في باب البيوع والشركة والمضاربة الشرعية
 وما أشبه ذلك وفي معاطاة التجارة مزلق قد يوجد بها الغرور
 والطمع ولذلك نبه الشارع الى الصدق في المعاملة وآدابها الجليلة
 من تجنب الغش والخديعة وتطفيف السكيل والاجحاف واكل

اموال الناس بالباطل ثم المكايسة في المعاملة ، واليقظة المطلوبة للربح غير مائمة على وجه ما من الصدق والامانة وملازمة الحق في الاخذ والمطاء على الوجه الشرعي المطلوب في كل الشؤون بموجب ادبنا الاسلامي

ومن الصنائع المهمة في العمران حرفة «النقل» للآدميين وأنواع الحاصلات والمستغلات والتجارات في البر والبحر وهذه الحرفة من الاهمية بالمكان العظيم بحيث أنها لو نقصت في بلد عن مقدار حاجته لتعطلت كل أحواله وحركاته التجارية وأيما بلد سهلت فيه وسائل النقل راجت أعماله وامت أشغاله وتقدم وأدنى بنسبة ما فيه من حركة ، ونظرة في التاريخ الاسلامي تكفي لان يعلم المسلم المصري منها ما قام في تلك الايام الماضية من مبلغ قوة حركة القوافل العربية والسفن الشراعية والاسواق المظيمة لتصرف أنواع التجارات والمحصلات في سائر الاقطار من أقصى الشرق الى السواحل الاوروية مما استلم القيادة فيه الآن الاورويون بعد انحطاط الدول الاسلامية ولقد زادت حركتهم التجارية بما اخترعوا من سكك الحديد وسفن البخار والتلغراف والتلفون والتلغراف اللاسلكي الامر الذي

يجدر بالاقطار الاسلامية على اختلاف بقاعها ان تنشط وتستفيد منه وتعتمد على مثله في جميع حركاتها العمرانية واعمالها الاقتصادية ولا عذر للمسلمين لا شرعي ولا عرفي يمنهم عنه وبحول بينهم وبينه الا اذا كان ما التزموا من كسل وركنوا اليه من خمول كاد يذهب بريحتهم .

ومن الحرف اللازمة « الخدم المتبادلة » في المنافع والاشغال المتباينة وكل الشؤون الحيوية المتنوعة وهي ذاهبة كل مذهب وبواسطتها أيضاً قام العمران ولقد اوجدت لها الشريعة بحسب الاحوال والمقتضيات الحدود والقيود في الاجور والكرآت كما دوت بصدد ها القيود في القوانين المدنية الحديثة . ومنها صناعة « التعليم » وهي من أشرف الصناعات في الهيئة بحسب الادب الاسلامي وفضلها ومن يتها في الهيئة اجل من ان يذكر ولها بالنظر الى المعلم والمتعلم آداب جليلة مشهورة ومن أمهات الصنائع والحرف اللازمة في الهيئة « صناعة الطب » اي ذلك الفن الذي يشارك صاحبه اهل العلم في فضلهم واهل الصناعة في تفهمهم وانتفاعهم ، وصناعة الطب ضرورية في الهيئة وتدخل في فروض الكفايات في الاسلام حتى يوجد في

الهيئة من يداوى استقام بنيتها ويسوس امورها الصحية وسلامة
أبدانها المطلوبة شرعاً وعرفاً بمقتضى قوانينها الصحيحة ويلحق
بصناعة الطب فن « الصيدلة » تركيب العقاقير والادوية
اللازمة للطبيب .

ومنها صناعة « الفناء وفن الموسيقى » وهذه قد وجد لها
أصل لإباحة ورخصة في الدين وقد برع فيها جماعة من أهل
الاسلام قديماً أيما براعة وهي ضرورية لتنشيط النفوس
وتطريب القلوب وانماشها في الاوقات المعينة وانه ليدخل فيها
بل هو من اجل مہذبات النفوس مع ذلك فن التمثيل ذلك
الفن الذى عرف الفرييون فضله فوفوه حقه اتقاناً وتحسيناً .
هذه هي أمهات الصنائع الانسانية بحسب ما اعتمد عليه
في التمدن الاسلامي وحث عليه في ادبه الاجتماعي ونظامه
العملي وما ينطوي تحتها من فروع الاعمال والمهن شيء كثير
جداً كان يكثر ويقل بحسب الظروف وانواع التأتقات في
الحضارة كما نراه الآن في الغرب ، ولقد استنبطت في الشريعة
الاسلامية كل القيود والحدود والآداب اللازمة لتمشية النظام
في كل الاعمال والصنائع وكسب المال وراحة الافراد فيما سخرها

فيه منها وما تعاملوا به من أجلها بمقتضى قواعد عامة وأصول
يجد فيها الخلف كما قد وجد فيها السلف ما يرقى حالهم وينظم
شؤونهم بحسب المقتضيات متى ما راعوا حسن الاختيار
وسلامة الآذواق العصرية ولكل عصر شأنه بلا حرج وكل
هذا يدلنا معاشر أهل الإسلام على فضل ما عرف من أدب
العمل عندنا وحث عليه من السعي والكدح في التماس العيش
وتحصيل الرزق بأي من أنواع الصناعات الشريفة الممهودة في
المجتمع بحسب ميل الشخص واستعداده منذ الصغر وليس
في الإسلام من حرج أو قيد وحائل يحول دون الترقى في
الصناعات على اختلاف أنواعها وتطلب المزيد من المهارة
والخلاق في الأعمال وتجويدها المطلوب شرعاً كما أنه ليس
هناك ما يمنع اكتساب المال بالسعي والتوفير في الدرهم والدينار
المكسوب من حلال إذ ذلك كله مطلوب مرغوب فيه شرعاً
طلباً لقوة الأفراد والجماعات ما دامت مراعي فيها الحقوق
والواجبات التي عليها، كما قد أوجدت الشريعة في الأرض فيها
أجود النظم الاجتماعية كما يرى في كتب الفقه والموارث
أو الفرائض .

فلكسب العيش وتحصيل الارزاق بل لنوال الفنى والسعادة
والنبطة في هذا العالم لا بد للرجء بحسب أدب الاسلام من
عمل يعمل فيه وحرفة يحترفها وصناعة يمارسها بحسب اختياره
للحرية المظيمة التي في المبادئ الاسلامية وإذا قد جعل الله في
الدرهم والدينار سرما به قوام كل الاشياء وتقدير قيمها وتبادل
منافعها فكأنه بحسب العرف القديم والحديث صار هذان
النقدان الكريمان نوعا من الثروة والمال العامل الدائر في كل
الشؤون الجالب لخير الاشياء الموفى كلا حقه بقدر عمله ومبلغ
ما اعطى من النفع لغيره من صناعة أو سلع وأخذ منه في مقابلها
وحيث صار من خصائص النقيدين الكريمين هذه الفضيلة
وتلك المزية من بين الاموال البشرية فلا جرم وجب على كل
اصريء عاقل ان يدخر ويوفر لنفسه منها ليزداد قوة في عمله
وحيلة للاحوال الطارئة في كل شأنه وايامه المستقبلية وعدم
صرفها إلا في حقها وبالمقدار اللازم ولقد ذم الكتاب العزيز
الاسراف والمسرفين في الاموال قال تعالى « والذين اذا أنفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » أي في الحد الوسط
المعتدل وقال تعالى مخاطبا الامة في خطاب النبي صلى الله عليه

وسلم « ولا تجعل يدك مفلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
فتقدم ملوما محسورا » فجمع بين النهي عن البخل والشح
المندومين المؤدبين الى الضن بالحقوق كما نهى عن بسط اليد
التي ينتهي الى السرف المضيع للمال الموجب للوم النفس والذم
والحرمة . وفي الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم « لئن تذر ورثتك أغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون
الناس » ولا وسيلة الى ذلك بغير اقتناء الثروة وادخار المال

ولم يكتف النظام الاسلامي والادب المحمدي بالحث على
هذه الفضيلة فضيلة التدبير والاقتصاد بل أوجبت الشريعة
الحجر على السفهاء حتى تحفظ عليهم أموالهم التي اتحت لهم
« ولا تمطوا السفهاء أموالكم الاتي جمل الله لكم » وجعلت
حكم السفه عن عته أو اسراف حكم الصبي الذي لا يحسن
التصرف وتجب الوصاية والقيامه عليه والله ما أجملها من حكمة
عالية في التشريع كتلك الحكمة العالية في الموارد وجودة
مبادئها في توزيع المال

وخلاصة القول ان العمل واكتساب المال على انواعه من
وجوهه المشروعة مع اداء الحقوق المفروضة على المرء فيه

والاعتدال في النفقة والصرف وادخار الاموال للايام وكبار
الاعمال هو القطب الذي تدور اليه رعى هذه الدنيا في عمارها
والمبدأ الذي رعى اليه الاسلام في أدبه المالي وتعاليمه السامية.
فتأدب أيها المسلم المصري بهذه الآداب وليكن لك حزم
وعزم في العمل والكسح واكتساب المال الحلال وحسن
تديره وتوفره والقيام عليه لانه قوة لك والبطالة والفقر
والسرف ضئف بل موت يتناول الشعوب كما يتناول الافراد
فليفتقه القوم وليأخذوا بقول الشاعر الحكيم الذي يقول :
للمال عندي جانب لا أضيعه وللهو مني والبطالة جانب



— ﴿الباب الخامس﴾ —

﴿أدب المعاشرة﴾

الانسان مدني بالطبع — أصل الاجتماع بحسب المبدأ الاسلامي —
 الزواج — فوائد الزواج — التربية — كراهة الزواج بلا قدرة بأكثر من
 واحدة — لزومه للجمهور — أركان الزواج — آداب الزواج — الحصول
 التي تحرى في الزواج — ادب العشرة بين الزوجين — تدبير المنزل —
 الادب مع الوالدين — أدب المعاشرة مع الاخوان وعموم الهيئة —
 حسن الخلق — الصداقة — اختيار الاصدقاء — حقوق الصيبة — حقوق
 وآداب الهيئة الاجتماعية — حقوق الجوار

قال الحكماء « الانسان مدني بالطبع » أى انه لم يخلق
 ليعيش افراده عيشة الانفراد كأكثر جنس الحيوان بل لا بد
 له من الاجتماع بني جنسه على الصورة المعهودة ليأنس بهم
 ويأنسوا به متكافلين في الاعمال متضامنين في المساعي بواسطة
 ما ركب فيهم من قوى عالية هي موهبة الآله لصفوته من
 خليقته على ان كثيراً من انواع الحيوان كما دل عليه الاختبار
 قد يشارك الانسان على نوع ما في فضيلة العيش جماعات الا
 انها تختلف عنه في الكيفيات والترتيبات المبنية على قوة الفكر
 والعلم والعمل المحكم فالقردة التي تعيش مجتمعة وأسراب الفيلة

وبقر الوحش والقطا والنمل والنحل لها كلها عيشة اجتماع تشبه على نوع ما اجتماع الانسان ولكنها مهما يكن من حالها فانها تختلف فيه في الاحوال المبنية على العقل الخصيص بالانسان في ترتيباته وحسن اختياراته ولا غرو وهو البالغ الذروة العليا في سلسلة الارتقاء

ولقد نبه القرآن المجيد على هذا الاجتماع الانساني وآدابه المختلفة في مواضع منه بذكر الاقوام الماضية والشعوب الغابرة قال تعالى في تفاضل الشعوب « وجعلناكم شموماً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وقال في التعاون الصحيح « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » وبين كذلك حال العشرة القريبة في النسب والمصاهرات والقراة وهناك أجمل حديث في أدب الاجتماع وحقيقة مبادئه في التكافل والتضامن بين ابناء الهيئة الواحدة وهو حديث « المؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضاً » وفي الآية القرآنية الشريفة « انما المؤمنون اخوة فاصالحوا بين اخويكم » ما يرمي الى هذا الفضل في المساواة والآخاء بين المؤمنين حتى لا يكون لاحد فضل على آخر الا بالتقوى وهي جماع الخير وهاك ايضاً حديث آخر جميل في

المعنى وهو الحديث الشريف القائل « مثل المؤمنين في تواددهم وتراحهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائرُه بالحمى » والله ما أجمل هذا التعبير في شمول الامة الحية وتقاطفها على ذاتها وحثها على ذلك



واول رباط في العشرة « الزواج » وقد جمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من سنته فقال عليه الصلاة والسلام « النكاح من سنتي ومن رغب عن سنتي ففقد رغب عني » والزواج أفضل ما يكون في الهيئة الاجتماعية وحفظ قوامها متى ما بلغ المرء سنه ووجد القدرة عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من كان ذا طول فليتزوج » وهو أفيد ما يكون بالنظر الى العفة المطلوبة والتحصيل المرغوب وقد نبه عليه في القرآن المجيد وجاء في الحديث « من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني »

وفوائد الزواج في الهيئة الاجتماعية خمس ^(١) « إيجاد الولد » بقاء للنسل وحفظاً للجنس وهو الاصل في حكمة الزواج حتى

(١) الاحياء للغزالي

لا يخلو العالم من جنس الانس وانما وجدت الشهوة بحسب
الطبيعة التركيبية المحسنة كالمستحث لذلك والباعث عليه كما
يلاحظ شوق التلقيح في الاشجار وجاذبيته بين الذكر والانثى
وكما يشاهد ميل الحيوان الى السفاد لهذه الغاية الحكيمة غاية
بقاء الاجناس لعمار هذا العمار الارضي وان كانت تلك الرغبة
لتوجد على اكرمها واعفها في الانسان وهو رأس الخليقة وسلطان
المخلوقات وخلاصتها المصطفاة ولذلك خوطب بالعفة والحكم
على النفس في حال عدم القدرة على الزواج في أدب الاسلام
« فليست بمنف الذين لا يجحدون نكاحاً حتى يفنيهم الله من فضله »
ولقد جاء في الحديث الشريف لتلك الحكمة حكمة تكثير النسل
(تناكحوا تناسلوا) وفي التوراة مثل ذلك أيضاً. ولهذه الحكمة
لم يخرج امر الزواج ويطلق من جهة ثانية على الفقر المخرج
فقال تعالى (وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم
وامائكم ان يكونوا فقراء يفنيهم الله من فضله)

ولمراعاة هذا السنن الالهي والواجب الطبيعي لم ير في
أحوال المسلمين ولا في شريعتهم أمر الرهبانية او العزوبة الدائمة
الا للمندر الشرعي بل قد وجد بالضد من ذلك لمصالح اجتماعية

وأدبية سامية اباحة ورخصة في (تعدد الزوجات) الى اربع
 للقادر الواحد حتى تسد الشهوات ونزعات النفوس ولا يكون
 لغناها وقوتها به سبيل الى الفساد والزنا وهو المحرم شرعاً وعرفاً
 للفساد لا حوال الاجتماع المردى بالهيئة المشين للافراد المضيع
 للأنساب وهذا السبب من سد الحاجة الطبيعية (هو الفائدة
 الثانية) للزواج حتى تكسر الشهوات وتحصن النفوس وتلزم
 العفة المطلوبة شرعاً وقد تقدم الحديث (من تزوج فقد أحرز
 شطر دينه) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من يستطع
 منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء)
 ففي الزواج فضلاً عن فائدة إيجاد النسل فهو غائلة النفوس
 وصيانتها من الوقوع في الفساد فساد الأخلاق والموبقات
 المفسدة لحال الاجتماع

الفائدة الثالثة (ادخال الراحة على النفس والهناء والسعادة
 بالناس والمداعبة والملاعبة وترويح القلب بذلك حتى ينصرف
 قلب المرء ولبه وسمعه وبصره عن غير حلاله وحتى ينشط
 ويتفرغ لعمله المعاشي في نهاره لان النفس ملول وترويحها
 بالسرور والهناء المائي ضروري لترتاح الى القيام بتكاليف الحياة

المطلوبة متى روت بأشكال تلك اللذات الدنيوية المرغوبة
ولذلك جاء في الخبر (لا يكون العاقل طامعاً إلا في ثلاث تزود
للماد وحرفة لعاش ولذة في غير محرم) وقال الامام علي كرم الله
وجهه (روتوا القلوب ساعة فانها اذا أكرهت عمت) وجملة
القول ان السرور العائلي الذي ينشده الآن أرقى المجتمعات
الحالية من آداب الاسلام وبالتالي من فوائد الزواج المقصودة
في تعاليم السامية ومبادئه العالية

الفائدة الرابعة - تدبير المنزل فان المرء لينصرف همه عنه
اذا وجدت له زوجة صالحة تعول هم خدمته من الطبخ واللباس
والفرش والكنس وتنظيف الاواني وبالجملة تهيئة كل لوازم البيت،
واذا كان ذلك من فوائد الزواج وحكمته في ادب الاسلام
فلا جرم وجب من أجله (تربية) الفتيات تربية منزلية صحيحة
تعلمن القيام بواجباتهن المنزلية عند ما يصرن نساء لرجال
الامة ومن بذلك يوفرن على الرجال أوقاتهم ويجلبن لهم
الراحة حتى لا تتعذر عليهم مهام أعمالهم وتذهب أوقاتهم ولهذا
جاء في الحديث الشريف (من كان له ثلاث بنات فانفق عليهن
واحسن اليهن حتى يفنيهن الله عنه أوجب الله له الجنة البتة

البنة) وما الاحسان اليهن هنا الا بحسن تربيتهن ، فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون للرجل من هذه الوجهة في سائر عمله ولقد فسر بعض المفسرين الحياة الطيبة في قوله تعالى (فلنجينه حياة طيبة) قال هي المرأة الصالحة أي المدبرة لأمور بيتها بما يجلب الراحة والهناء لأهلها ويدخل السرور على نفوسهم

الفائدة الخامسة - مجاهدة النفس وحشها على زيادة النشاط في السعي على الارزاق والكسب الحلال فان المروءة متى ما علم وشعر بحمل وثر البيت والأهل والولد على عاتقه زاد نشاطه واقدامه على الكسب والربح حتى يقدر على إعالة عائلته وتربية اولاده والعمل لمستقبلهم وفي الحديث تلك الحكمة الرامية الى هذا الغرض (كلهم راع وكلهم مسؤول عن رعيته)

واذا كان الزواج بهذا المقدار من الاهمية في الهيئة الاجتماعية وجب ان تتخذ له المائلات عدته من قبل باحسان تربية البنين والبنات والنظر الى مستقبلهم في الاعمال والواجبات من حيث ايجاد الاعمال الاولاد مما تقوم به حياة البيوت من المهن والصنائع النافعة ثم تويد البنات وتربيتهن على

الكمال البيتي بحسب الافواق المصرية علماً وعملاً وبذلك
تصفو الحياة للعائلات وتحصل السعادة للذرية . في الخبر (ان
اول ما يتطرق بالرجل يوم القيامة اهله وولده يوقفونه بين يدي
الله تعالى ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجعل
وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم) وفي الحديث ايضاً (لا يلقى
الله احد بذنب أعظم من جهالة اهله) وهذا صريح في وجوب
تربية الأهل والولد والعمل لمصلحتهم والتخفيف منهم بالاخلاق
الحسنة التي تقضى الى نفوسهم والشجر على اصولها تنبت
ولهذه الفاية الشريفة من حسن تربية الاولاد واعالة
العيلة كره السلف عادة التزوج اذا لم يكن للمرء قدرة على القيام
بإعلاء البيوت وتكوين العائلات لعجزه عن التكسب او لتفاهة
مادته او فقدان الثروة الكافية للقيام باثقال البيوت وتربية العائلة
بنسبة الاقدار والمقامات في الهيئة . فذلك الفقير الذي لا يسمه
غير تقويت نفسه ويحجز عن نفقة غيره يكره له التزوج الا بعد
التمكن من القدرة على اعالة الزوجه حتى لا يقع في (اثم من
يضيع من يعول) وجاء فيمن يتخلص من اهله ويهرب من نفقتهم
(ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق ان تقبل له

صلاة ولا صيام حتى يرجع اليهم) فالذي لا يقدر على القيام بهذا الواجب العائلي بنسبة حاله يكره في حقه الزواج وتحمل ائقال العائلة (وليستغفب الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله)

أما من لم يكن بهذه الصفة — وهم في الغالب الجمهور الاعظم من رجال الامة ذوي الاهمال وارباب الحرف والصنائع أية كانت — فلا شك ان الزواج بحقهم متى ما بلغوا سنه المستوفي واستوفوا حقهم من القدرة بنسبة يفتهم — أفضل لهم واحصن لنفوسهم وأصلح وأسد في أحوال الاجتماع البشري ولقد تقدمت حكمة ذلك وفوائده من بقاء الجنس وبمباودة أخرى تكثير عدد الامة وراحة النفوس وتدير مصالح البيوت وزيادة النشاط والتقوي في الاعمال .

وأركان عقد الزواج في الاسلام محل أي زوج وزوجة وولي وصيغة كما هو معلوم وشروط صحته صداق وشاهدان عدل والشروط في الولاية والرضا وصيغة المقد وباقي المندوبات مستفيضة بها كتب المذاهب والسنة^(١)

(١) راجع الخرشى والشرح الصغير

أما الآداب الإسلامية في الزواج ومنهوباته فكثيرة منها
تقديم الخطبة لا في حال «عدة» المرأة الممتدة (حتى يبلغ
الكتاب أجله) ولا في حال سبق غيره بها إذ قد ورد النهي
عن الخطبة على الخطبة كما نهى عن المواعدة سراً (ولكن
لا تواعدوهن سراً) ومنها أن يلقى أمر الزوج إلى سماع الزوجة
أي المخطوبة وإن كانت بكراً ويستحب النظر إليها قبل النكاح
للتأليف والتأديم بين الزوجين حتى قال بعض العلماء «كل تزويج
يقوم على غير نظر فأخره هم وغم» وهذا كثير ولكنه غير مطرد
أما الأخلاق فتستوصف للزوجين وتحري على قدر الامكان
وفي هذا من أمر الاختيار والانتقاء في الزواج سواء بالنسبة
إلى الرجل أو بالنسبة إلى المرأة جاءت آثار جليلة وسيأتي منها
بعض شيء

أما ما يحرم نكاحه في الإسلام بالنظر إلى الارتباطات المانعة
كما جاء في الآية (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم الأخ) فمعلوم
من الآية ومن فصل في كتب الفقه ومعمول به عند المسلمين
كافة غير أن البلوى عامة طامة من جهة الرضاع في هيئتنا
الاجتماعية الحالية فليحذر منها لضررها وإثمها

والخصال التي يلزم ان تتحرى في الزوج والزوجة كثيرة
فالرجل ينظر اليه من جهة خلقه وخلقه واقتداره وهو ما يعبر
عنه بالكفاءة التي ينبغي على الولي ان يتحراها فيمن يخطب اليه
قال صلى الله عليه وسلم « النكاح رقة فلينظر أحدكم أين يضع
كريمته ، أما الخصال في المرأة فهي ان تكون حسنة الخلق
جميلة الخلق حسنة التربية صحيحة البنية للولد عفيفة دينة لانها
اذا كانت شرسة الطباع اتعبت زوجها ونفصت عليه حياته ،
وان كانت دمية الحلقة جمعت نفسه تتطلع الى محاسن الناس
فربما وقع في المحذور المنهي عنه وإذا كانت فاسدة التربية لم
تصالح شأن بيته ولا تربية أولاده ، وإذا كانت غير ولود فآفته
الفائدة الاولى من مشروعية الزواج للولد ، وان كانت غير عفيفة
افسدت على نفسها وعلى زوجها واهلها وثلمت صيت عائلتها
وشرفها والبستها ثوب الخزي والعار بارتكاب المحرم ولهذا كله
ولتلافي شأنه ولتفادي الوقوع في الفتن في الهمة وجدد النهي
عن اظهار الزينة لغير محرم وتقرر الحجاب الشرعي للصيانة ثم
ملازمة البيوت إلا لضرورة في الخروج مع مراعاة الحشمة
وكمال الادب والوقار لدى الخروج الى الاسواق

على ان من يتأمل في احوال النساء الحالية عندنا ويشاهده
كثرة تبرجن وتزينهن عند الخروج من المنازل وهذا الحجاب
« الشفاف » الذي يضعنه على الوجوه فيزيدها حسنا وجمالا
ربما خلت منه وزينة وحلية ربما كانت مفقودة منها فضلا عن
كونه لا يستر منهن الا قليلا مما يخالف الحكمة في الحجاب
وآيته الصريحة المقصود بها الحشمة والصفاء ان من يرى هذا
كله للأسف على تلکم الحال الرديئة الدالة على نقص التربية
الشرعية الصحيحة وحبذا لو كانت وكان ما يطلبه حضرة العالم
الفاضل قاسم بك امين صاحب كتاب تحرير المرأة لانه لو
ربيت الفتيات المسلمات تربية صحيحة لما اندفعن بالقذوة السيئة
من الامهات والصويحبات في تيار التبرج « تبرج الجاهلية الاولى »
الفاضح مما ليس في شئ من الاذواق المصرية ولتحشمن
وعرفن قيمة الجمال الحقيقي في الخلق قبل الخلق وما الذنب في
هذا كله إلا على العادات الرديئة التي لصقت بالمقول والنفوس
فافسدت حال الجنسين عندنا فايالك ايها الشاب المسلم المصري
في مسألة الزواج وخضراء الدمن

ولثل هذا السبب حث الشارع الحكيم على تطلب ذات

الدين والحسب والنسب كما حث على الولود الوعود وما المقصود بالنسبة الى احوالنا الراهنة إلا الفتاة المتصنفة بالادب والكمال وهذا لا يكون على أفضله عند الفتيات والفتيان إلا إذا صحبه التهذيب والادب النفسي بالترية والقدوة الحسنة مما حث عليه في أدب الاسلام كثيراً.

واقعد كرهوا من جهة اخرى تطلب ذات المال عند الزواج طمعاً في مالها لانهم عدوا ذلك قلة صروءة من الرجل ولأن المال قد يأسر غالباً لطمع الزوج ارادته أو يجعلها أقل مما هو مطلوب لكمال السلطة في العائلات من ظهور سلطة الزوج أو التوقير لمقامه وحسن سميه بجده واجتهاده على أهله ومما يستحب في أحوال الزواج فلة « المهور » والاقبال مما يقدم عادة في مقدماته وبداياته من التحف والهدايا لأن التوسع في ذلك بعد من قبيل الاسراف الذي لا فائدة منه ولا موجب له ، وكذلك حفلة العرس ينبغي أن تكون على كل حال متوسطة في « ولیمته » لا كما هو متبع اليوم في الزواج والاعراس وحفلات أفراحها الطنانة الرنانة التي كثيراً ما نسمع بما يعقبها من الحسرات والندامات

والآداب المطلوبة من الزوجين وان كانت لتفهم مما
تقرر سابقاً من القواعد في الزواج وآدابه إلا أنني أذكر منها
هاهنا ما هو المطالب فيها بالذات لتمام الإلفة ودوام المحبة بين
الازواج ^(١) الامر الاجتماعي الذي أجمعت العقول وآداب
الاجتماع عند الامم قاطبة على وجوبه وأول ذلك تحسين الخلق
بين الزوجين لتصفو لهما المودة وتحسن بينهما المشرة ولقد حث
الشارع الحكيم الطرفين اى الزوج والزوجة على ذلك ورغب
في التساهل والتحاب باحتمال بعض الهفوات والسقاطات الماثلية
فيما يشجر عادة بين الازواج كما جعل لطاعة الزوجة عظيم
الاهمية لهذه الغاية حتي جعل نظر الزوجين الى بعضهما كفارة
للذنوب وان نفور المرأة من زوجها يوجب عليها عند الله الوزر
المظيم والذنب الجسيم وفي الآية الشريفة صريح الامر
بالمعاشرة بالمعروف بحق الرجال « وعاشروهن بالمعروف »
ولقد كان آخر ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم عند احتضاره
مما يتعلق بالعناية بالصلاة والرقيق والنساء

الثاني المداعبة والملاعبة بادب وحشمة لادخال الرجل

السرور على أهله في الاوقات التي تسمع له بالجلوس بين عائلته
وفي الحديث الشريف « اكمل المؤمنين إيماناً احسنهم خلقاً
والظنهم بأهله »

الثالث ان يتوسط في الانبساط فلا يجعل من مداعبته
وملاعبته سبباً لسقوط مقامه واحترامه في نظر زوجته ومهابته
من نفسها فالاعتدال مطلوب والتوسط محبوب وهذا أمر وبما
كان لكل امرئ فيه ذوقه انما على كل حال فان التكبر
والفطرية التي قد تلازم بعض النفوس غير المترية مذموم كما
ان الحط بالنفس والتدلى بها مع الزوجة لدرجة تجعل المرء
« مسخراً » مذموم جداً والحكمة بين الاطراف والمجبة
واطمئنان النفوس ثم

الرابع - الاعتدال في النفقة والصرف وهو مطلوب في
كل شيء من الرجال والنساء وما المرأة المدبرة في بيتها
الحريصة على أشياءها الحازمة في كل تلهم الشؤون الاربعة الدار
بالمعنى الحقيقي وما المرأة « الانانة » التي تكثر الانين والتشكي
وه المنانة ، التي تمن على زوجها بما تصنع معه في بيتها أو تلك
المرأة « الحداقة » التي تشتهي اليه كل شيء تراه أو تلك « البراقة »

التي لا هم لها الا تصقل الوجه وتزجج الخواجب وتكحيل الميرون
مما يشغلها عن مهام بيتها الا شر نساء هذا العالم قديماً كان
أم حديثاً مما لا يغير خلقهن فيه الا جودة تربيتهن

ويدخل في هذا الباب من أدب العشرة عشرة الزوجة
والنفقة مسألة الطعام فلا ينبغي للمرأة ان يتناول طعاماً مشترى
له أو نحوه الا ويطعم منه أهلها وولده أما في تناول الطعام
المادى اليومي فيفضل أن يجتمع المرء فيه بأهلها وولده على
مائة واحدة ليزداد سروره بهم وسرورهم به

الخامس - الفيرة وهو ان لا يتناقل عن مبادئ الامور
التي تخشى غوائلها ثم لا يبالغ مع ذلك في اساءة الظنون لان
سوء الظن الذي نهى عنه الكتاب العزيز ان بعض الظن
إثم ، لما يتخلله غالباً من الاوهام الباطلة فلا ينبغي ان يجسس
بواطن الامور بالتنقيب والمضايقة التي ربما أضرت من حيث
قد يراد بها المصلحة ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
تتبع عورات النساء أو ان تبغت وقال في امر الفيرة الكبيرة
« ان الفيرة غبره » لانها في الحقيقة تضر بالرجال والنساء معاً اما
الفيرة المتوسطة من الطرفين المشروطة آنفاً فمدوحة لانها من

الشهامة والمروءة الموجبة لصلاح الأمور واستقامتها ولهذا جاء في الحديث الآخر « ان من الفيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله »

السادس التعليم تعلیم الزوجية ومذاكرتها المعارف الضرورية الدينية والدنيوية ولا ريب في ان هذا من افيد ما يكون في الباب وقد سهل أمره في هذا العصر بانتشار الكتب والجرائد والمجلات ويستحب ان تكون المدارس والمطالعة بحضرة الاولاد لانه يكون ولا ريب من افيد ما يكون فيما يراد من أمر تربيتهم وتهذيبهم وتثقيف عقولهم الصغيرة على المبادئ القويمة الروحية والدنيوية

السابع - تأديب الاولاد وتربيتهم تلك التربية العائلية الكريمة فاذا جاء له مولود ذكراً كان او اثنى فينبغي له ان يفرح به ويسر على حد سواء (بمكس حال ما كان عليه أهل الجاهلية من كراهة البنات ووأدهن تلك العادة الوحشية التي أبطلها الاسلام) وأن يحسن العناية بشأنه ويعق عنه ويحتنه اذا كان ذكراً ثم يحسن تربيته والقيام بحقه الى ان يبلغ مبلغ الرجال وكذلك البنت حتى تبلغ مبلغ النساء والآثار والاحاديث في فضائل

الباب باب تربية الاولاد وافلاذ الاكباد اكثر من ان تحصى
 الادب الثامن - اصلاح ذات البين فيما قد يشجر بين
 الأزواج وهذا معلوم حكمه بالنسبة الى التحكيم تحكيم اهل
 في ذلك كما جاء في الآية الشريفة (فابشوا حكماً من أهله وحكماً
 من أهلها) وما أحكمه من مبدأ او قاعدة تراها جارية الآن في
 كل الشؤون عند أولئك القريين الذين أخذوا آدابنا وعملوا
 بها ونحن لا نعمل بها اللهم الا ما كان من قشور جامدة
 وبواسطة ذلك يمكن الصلح بين الزوجين في غالب الاحيان بعد
 النظر في شكايه الطرفين ومعرفة الحق من المحقوق منهما.

واصلاح ذات البين بين الناس عموماً وبين الأزواج
 خصوصاً من أعظم ما حث عليه الشارع الحكيم ونذب اليه
 الا اذا كان قد وجد بالنسبة الى الأزواج ان لا سبيل الى
 الاصلاح الا بالتفريق بينهم بالطلاق ذلك الذي أباحه الله شرعاً
 لاجزاف كما اعتادته عامة المسلمين الآن عندنا بل لاسباب
 قسرية ولهذا جاء في الحديث انقض (الحلال الى الله الطلاق)
 وهو قد يقع مرتين وفي الثالثة لا بد من الفراق البتة ولا يمكن
 الرجوع الا بعد زواج المرأة بآخر وفي أحوال المسلمين الحالية

في أمر الطلاق والزواج والنفقات ونحو ذلك مساوٍ لا تحصى
ولتفقهاء السوء فيها فتاوى يالها من فتاوى..

الادب التاسع - العدل بين الزوجات اذا كان للمرأة اكثر
من زوجة الى اربع كما ورد به الجواز بشروطه غير أن مسألة
العدل بين الزوجات من أصعب الأمور التي قل ان يتصف
بها على تمام انسان فلماذا كان الاختصار على الزوجة الواحدة من
افيد واحكم ما يأتي امرؤ في حياته الاجتماعية كما تقدم



اما الآداب بحق ذوي القربى^(١) من الوالدين (بالوالدين
احساناً) والاخوة وسائر القرابة وما لهم من حق على المرأة فمن
اوكد ما حث عليه الشارع وجاء به أدب الاسلام الشرعي فلقد
جاءت الآيات القرآنية حاثّة على ذلك آصرة به وكذا الاحاديث
النبوية الكثيرة الواردة في بر الوالدين وحسن القيام بحقوقهما
والادب مأمهما وصلة الارحام والتحبب اليها تودداً وتعطفاً قال
صلى الله عليه وسلم في حديث في فضل صلة الارحام (من سره
أن ينسأله في أثره ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه)

أما حقوق الوالدين وعدم القيام بحقوقهما وتوقيرهما
 ورحمتهما (ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً
 وانخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني
 صغيراً) وكذا جفاء ذوي القرابة وتقاطعهم وتدابيرهم وتشاحنهم
 فكل هذا من أمة الخصال والعيوب وشر الرذائل والسخائم
 التي ورد النهي الشديد عنها وبئست الخصال والادواء المتفشية
 الآن بين المسلمين هي



ثم انه لما كان لكل انسان في احوال المعاشرة والمخالطة
 والالفة الاجتماعية غير اهله وعائلته اخوانه واصدقاؤه وابناء
 هيئته الاجتماعية وهذه الخلطة والمباشرة الضرورية في النظام
 الاجتماعي الاسلامي حقوق وآداب جملة وجب لهذا على كل
 انسان الاتصاف بها لينتظم حاله وتحسن كل شؤونه والمرء كما
 قيل قليل بنفسه كثير باخوانه وما اخوان المرء بالمعنى الاعم الا
 أهله وناسه واخوانه ثم عموم بني جنسه

واعظم مؤثر في الالفة الاجتماعية على الاطلاق (حسن
 الخلق) كما جاء في الحديث الشريف انه ما عبد الله بافضل منه وقد

حث عليه الدين كثيرا لأنه موجب للتعاب والتآلف والتوافق في كل الاحوال الاجتماعية بخلاف سوء الخلق فإنه مؤدٍ الى التباغض والتدابير والتحاسد وانتقاص الاقدار ولقد مدح الله نبيه صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق الذي تؤلف به القلوب قلوب الامة بقوله تعالى (وانك لعلی خلق عظیم) وفي الحديث الشريف (اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سامة بن شريك حين سألوه عن احسن ما أعطى الانسان فقال عليه السلام (حسن الخلق) وسيأتي مزيد بيان لذلك في باب أدب النفس

فحسن الخلق بما يقصد به هاهنا من التواد والتحاب والتآلف والتجاوز والصفح في بعض الاحوال المعينة هو عين مكارم الاخلاق التي يمت بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو مثمر لا عظم أمور الارتباط وهذا يكون من التقوى النفسية الملازمة للنفس والاذواق الكريمة التي تكتسب من الاتصاف بأجل الاحوال التعاملية إما من طريق الدين وإما من طريق الآداب الاجتماعية قال الله تعالى (لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) وقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم في مدح أصحاب الاخلاق الفاضلة (أقربكم
 مني مجالساً أحاسنكم أخلاقاً الموطون اكنافاً الذين يؤلفون
 ويؤلفون) وقال أيضاً (المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن
 لا يألف ولا يؤلف) وقال عليه السلام فيما يحرم على المؤمن
 من المؤمن (إن الله قد حرّم على المؤمن من المؤمن دمه وماله
 وعرضه وإن يظن به ظن السوء) والاحاديث في الباب باب
 التحاب الاجتماعي في الله والمودة بين الناس والاخوة والصداقة
 كثيرة والآثار الاسلامية فيها عظيمة ونفعها في مصالح الهيئة
 الاجتماعية والامور الدنيوية والدينية اشهر من ان تذكر.



هذا هو الشأن العام في الإخاء القوي والمماشرة الاجتماعية
 بالمعنى الاعم أما الصداقة بالمعنى الاخص في الهيئة الاجتماعية
 الانسانية فقد تكون أدق وأمتن مايكون في الباب من حيث
 اتحاد المشارب والاذواق تبعاً لتلك الخصوصية او الجاذبية في
 النفوس المعبر عنها بالمناسبة والمشاكلة لان الناس أشكال وأمثال
 (وشبيه الشيء منجذب اليه) بحكم السن والمماثلة في العمل
 والمشاكلة في الذوق ونحو ذلك ولقد أوجد في أدب الاسلام

آداب في باب الصداقة والصحة تعتبر كقواعد عامة لصالح
 الاحوال ودوام المحبة واختيار الاصحاب والخلان لان للشروع
 النفسي بالظواهر الخداعة مفعوله في الصداقات الكاذبة فيندفع
 المرء في الشرور بتأثير هذه الصحة وتلك الصداقة فتكون
 المداوة بناء على هذا خيراً منها وأفضل ولهذا قد نبه على
 البنفس في الله كما جاء الحث على الحب في الله لانه من المعلوم
 ان من يحب شيء فبالطبع ينفذ لقيام ضده فاذا وجد
 للمرء صديق واقع في بعض المعاصي والرفائل الشائنة كره ذلك
 منه ووجب عليه شراً وعرفاً نصحه وحشاه على تركه والاقلاع
 عنه والا انتهى الحال بالطبع الى القطيعة والمجبران عادة هذا
 اذا كان للصديق المستقيم قوة اداة وعزيمة وأما اذا كان
 ضعيفاً فربما جره ضعفه وقوة صديقه الى ممالأة صديقه الواقع
 في الرفائل والمساوى فيسبح معه في تيار واحد وهو الغالب
 فيما نشاهد الآن من خداع النفوس وضرورها وسهولة طروء
 المدوى ولذلك جاء في الحديث الشريف « المرء على دين خليله
 فلينظر أحدكم من يخالل » ولهذا أيضاً وجبت صحة الاختيار
 ممن يتصفون بالإخلاق الكريمة والخلال الجميلة كاشتجار بعلم

أو أدب أو حسن خلق أو تقوى جامعة هؤلاء يكتسب المروءة من صحبتهم ويستفيد بقربهم في أخلاقه الفوائد الجليلة بعكس مصاحبة الخلق والمتطعين ولا سيما أرباب الفساد والشر والهمري ما أبلغ هذه النصيحة وتلك الحكمة في اختيار الصاحب التي فاء بها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال : عليك باخوان الصديق تمشي في أكنافهم فانهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع أصر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما بقلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الآسين من القوم ولا آمين إلا من خشى الله فلا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تطامع على شرك واستشر في أصرك الذين يخشون الله ، وقال جعفر الصادق : لا تصحب خمسة الكذاب فانك منه على غرور ومثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب واللاحق فانك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك والنجيل فانه يقطع بك أحوج ما تكون إليه . والجبان فانه يسلمك ويفر عند الشدة والفساق فانه يبيعك بأكلة أو أقل منها »

واللطائف في الباب باب اختيار الأصحاب وانتقاء الأحياب

ممن توفرت محاسنهم وكملت صروعاتهم كثيرة في كتب الادب
والمحاضرات الاسلامية المتداولة فلا نطيل فيها وقد صنف ابر
حيان التوحيدى المشهور في المعنى رسالة جليلة دعاها «الصدقة
والصديق» وهي متداولة وقال المتنبي في فضل الصديق الصدوق
وما بلد الانسان الا الموافق ولا أهله الا ذنون غير الاصادق
اما حقوق الصديقة وآدابها التي يجب الوفاء بها قياماً بحق
الصدقة فقد يمكن حصرها فيما يلي: ^(١)

(١) الحق في المال قال النبي صلى الله عليه وسلم « مثل
الاخوين مثل اليدين تتصل احدهما الاخرى » يريد المعاونة
في الشؤون المالية بالاقراض والمعاونة الى اشباه ذلك ولو
وصل الحال الى الايثار على النفس مما بلغت اليه حال المروءة
الاسلامية على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقد مدح حالهم
فيها في الكتاب العزيز «الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة» ولما فيما جرى من المؤاخاة بين المهاجرين والانصار
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشاركتهم لهم في
الاموال اعظم برهان على ما قام قديماً عند المسلمين من تلك

المروءات والذنيات الآلية مما لا يمكن تبعا للأحوال الاجتماعية والاصطلاحات الشرعية والعرفية أن يقوم مثله الآن لأن تلك الأعمال أحوالها التي كانت مطلوبة لها والتي كانت الأمة في حاجة إليها أما في مثل الأحوال اللاحقة والعرف الذي نحن عليه فلهذا الحق درجات لا تخرج إلا بالميزنة القليلة عن دائرة سائر المعاملات بين الخلق صراحة لشأن الصداقة واصر الاخاء وثقة النفوس وتوددها وسقوط التكليف بين الاصدقاء

(٢) الامانة بالنفس في قضاء الحاجات حاجات الاخوان ولها درجات في الفضل قد تبدى بسؤالها من الصديق وتنتهي على افضلها في قيامه بها ابتداء لمجرد علمه بها وقدرته عليها مع ابداء الارتياح والبشاشة وقبول المنة واظهار الفرح والسرور لتسر أفتدة الاصدقاء ويدخل في الباب السؤال عن الاخوان إذا غابوا وعبادة مرضاهم فانها كلها من أوكده الحقوق في الصحبة وأخرى ان تدوم بها المحبة والمودة .

(٣) السكوت باللسان عن القدر في الاصحاب فيما يده تنقيصاً لشأنهم وحطاً من كرامتهم او اغتيالهم بما يكرهون في

نفس او عرض او مال ولا يكتفي بذلك بل يجب رد غيبة
الأصدقاء بالدفاع عنهم فضلاً عن نشر الثناء عليهم بمسامحهم اهل
مع إبلاغهم بما يسرهم مما يكون قد اطرى عليهم به والمجال من
المدح والثناء الحق .

ويدخل في باب نصيح الصديق اذا رآه قد وقع بلسانه
في منكر من بداء او خنا فيها بلطف واين عنه ، وكذا ان
شاهد منه جنوحاً الى اقتراف محرم من شرب خمر او تدهور في
رفيلة فان هذا من اوكد الحقوق واجمل الآداب وافضاها مع
الاخوان والاصدقاء فضلاً عما فيه من ثواب عظيم عند الله
ويدخل في ادب الباب من باب اولي الامتناع عن
التشائم والتشاحن والمراء والمزاح الثقيل ، ثم التجسس والتجسس
واساءة الظنون فان تجنب هذا كله من موجبات زيادة الإلفة
وتوثيق عرى الصداقة والاخلاص ودوام المحبة . قال صلى الله
عليه وسلم « لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تداربوا
وكونوا عباد الله إخواناً »

وعلى الجملة فانه يجب معاملة الصديق بما يحب المرء ان
يعامله به صديقه وهو النصفة بالحق ولقد قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم حديثاً كريماً حب لا خيفك ما تحب لنفسك،
ولا شك ان الصديق انما ينتظر من صديقه الاخلاص وسر
المروات والنصح ورد النية والابتعاد عن التهمة المحرمة شرعاً
«أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً» والابتعاد عن المراء
والتسفيه قال بعض السلف (من لاحي الاخوان وماراهم قلت
صروته وذهبت كرامته) وفي الحديث الشريف (ذروا المراء
لقلة خيره وذروا المراء لان نفعه قليل وإنه ليهيج المداوة) ولا
شك ان المداوة تسقط صروته الانسان لان من يريد أن يظهر
بمزيد المقل والفضل على الاخوان واحتقار المردود عليه باظهار
جهله أو تجهيله وتسفيهه موجب للتضييع والقطيعة مورث
للمداوة ولقد قال الحسن رضى الله عنه حكمة جلية في المعنى
قال (إياك ومماراة الرجال فانك لن تقدم مكر حكيم أو مفاجأة
لئيم) أما المذاكرة والمجادلة بأدب والمسامرة والمناظرة بلطف
ورقة فمدوحة ومفيدة جداً

(٤) النطق بحلو الكلام وتعود محاضرة الاخوان بما
يذيع الحماد والحاسن وينشر بين الاصدقاء لطائف الحديث
وأطيب الكلام والسر بأدب وحشمة مع ترك هجر القول

وبذاء اللسان والتجھيل والممارسة على نحو ما سلف وبشاطايف
العلم والمعرفة والمطارحات والمجاورات فيها بعقل وكمال وتخليل
الحديث بشيء من لطيف المزاح ورقيق الملح والضحكات
الادوية بلطف وادب وهو مبدأ كريم من أفيد ما يتحرى لدوام
الانتفاع بالصحة والصدقات وإيناس الانفس المتحابة وتطعيمها
وانعاشها .

(٥) الافضاء عن صغير المفوات واعتقار تافه الزلات مما
لا يخلو منه انسان ولا يوجب قطيعة ولا يقتضى هجراً ولقد
تقدم ان النصيح عند وقوع الصديق في الرذائل لازم في السر
والخفاء وعدم التشهير والتسفيه له شفقة وحنانا واجب لانه
لا تشور ثائرة الكراهة والبنضاء في النفوس الا من هذا
الجنب فاذا قدرت على تقويم اود الصديق واقالته من عثراته
وزلاته وانتشاله من احواله على هذه القاعده فقد فزت بأجل
ما يشكره لك الناس والله تعالى . أما تلك السقطات الخفيفة
فيكفي فيها مجرد التنبيه عليها بكل لطف ورقة لتدوم المودة
وتوثق عرى المحبة واعلم أنك ان تستبق صديقاً قط اذا أنت
اكثر عليه من الملام والتعنيف في كل شيء وزدت في التائب كما

قال الشاعر مظهرآ لحال أكثر الناس في تلحم الصغار .

ولست بمسبق أخلاقه على شئت أي الرجال المذهب

(٦) الاخلاص والوفاء وهما من أوكد ما تدوم بهما

الصحبة وتعرف بهما المروءات في الهيئة الاجتماعية فإذا بلغ

امرؤ مرتبة أعلى من مرتبة صديقه فليداوم على مودته

واخلاصه له ولا يصرم حبال صحبته معه وإن بعدت بينهما الشقة

في المشرة صراحة للمقتضيات أما الوفاء فهو الثبات على الحب

حال الحياة وبعد الممات بالتططف والتلطاف على اولاد الصديق

وعليه قال النبي عليه الصلاة والسلام « قليل الوفاء بعد الممات

خير من كثيره في حال الحياة »

(٧) التخفيف وترك التكليف من أجمل الآداب وأعظم

الاصول حتى لا يشغل على الاصدقاء بالزيارات ولا بالتكاليف

ولا بالتغالي وإظهار مالا يقدرون على القيام له بمثله في الضيافات

والحفلات الاخوية خصوصاً قال بعض الحكماء « من جعل

نفسه عند الاخوان فوق قدره فقد أثم وأثموا ، ومن جعل

نفسه في قدره تمب وأتبعهم ، ومن جعلها دون قدره سلم

وسلوا » ولن يتم التخفيف الا باطراح التكليف خصوصاً وإن

عرف المرء فضل نفسه أو عظم ذات يده على صديقه وهذا هو التواضع المحبوب ومن تواضع لله رفعه

هذه جملة حقوق الصداقة وآداب الصحبة أما حقوق الهيئة الاجتماعية والآداب المطلوبة بين عموم أبنائها على حد سواء في كل معاملاتهم وأحوالهم فلها أصول ولها مبادئ أدبية واجتماعية بالنظر الى المعاشرات والمعاملات والجوار^(١)، فالخلطة التي تقتضيها مطلق المباشرة والمعاملة الاجتماعية أحسن ما يكون فيها أن تبني بحسب القواعد الإسلامية التي ساوت بين الطبقات في الحقوق والواجبات على كرم الاخلاق وحسن المعاملة بالبشر وطلاقة الوجه والمروءة في الفعل والتلفظ في المقال ومما يزيد الإلفة بين الناس إفشاء السلام ولين الكلام وتجنب الأذى باللسان والأفعال مصداقاً للحديث الشريف « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » والتجاوز عن بعض السقطات وتوقير ذوي المقامات والأعمار والبر والشفقة على الضعفاء والمساكين وإغاثة الملهوفين وإصلاح ذات البين

(١) الاحياء للغزالي ونحوه

بين المتشاجرين وإزالة المنكر للحديث المشهور من وأى منكم المنكر فلينزله الي آخر الحديث فهذا وأمثاله مما يدخل في باب المروءة الانسانية من الآداب الصحيحة الاسلامية وأفعال الخير الشريفة ليصدق على أفعال أبناء الهيئة وافرادها في شمارهم وكل معاملاتهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد تقدم ايضاً - « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائرُه بالحمي » وهو حديث كما تقدم كله حكمة ناطقة بلزوم التضامن والتكاتف بين أبناء الهيئة والتزام الشعور الراقى وكريم الاحساس أو الشفقة والرحمة والغيرة الانسانية والتضامن القومي مما ترى آثاره في الغرب تكاد تلمس باليد والشرق مع ذلك ابو عذرته والآثار في الباب وحقوق المسلم على المسلم كثيرة

أما المعاملات في مطلق الشؤون التعاملية - والدين المعاملة - فيجب فيها الصدق وأداء الأمانة التي حملها الانسان والابتماد عن الخيانة والعدل في الاخذ والمطاء والوفاء بالمهود والوعود كما نطق به الكتاب العزيز والانصاف من النفس وان يصحب الناس بما يجب ان يصحبوه به قال رسول الله

عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا بِي الدرداء « يَا أبا الدرداء احسن عجملة
من جاورك تكن مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن
مسلماً »

ومن الآداب الإسلامية الجليلة أن لا تدخل البيوت
في الحاجات إلا بعد الاستئذان من أهلها كما تراه اليوم في
الآداب الغربية وهو وأنتم الحق من المبادئ الإسلامية كما في
الآية الشريفة « لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم إلا أن يؤذن لكم »
وكذا الاطلاع على أسرار الناس في مكاتيبهم منهي عنه عندنا
جاء في حديث « من أطلع على كتاب أخيه بغير أمره فكأنما
أطلع في النار »

ومنها أن يبدأ بالسلام قبل الكلام حتى مع أهل بيته وأن
لا يبدى استهزاه بأحد من خلق الله ويتجنب البذاء في كلامه
والهجر والسخف في أقواله وأن يجالس الناس بأدب وحشمة
ووقار ويمطى كل إنسان حقه من الاحترام والتوقير ولا سيما
المطاء والعلماء والشيوخ وبفسح في المجالس لمن يقتضي الحال
والمقام اجلاسهم ولو مكانه كما لا يتصدر في المجالس ولا
يزاحم أحداً في الطريق ويسمى في اماطة أذاء باي واسطة

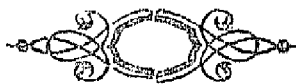
وان يفيث الملهوف كذلك ولقد جاء في الحديث الشريف
« من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثاً وسبعين منقورة واحدة
فيها صلاح أمره كله واثنان وسبعون له درجات يوم القيامة »
ثم الشفقة على الحيوان الأعجم ومنها مراعاة الأدب والكمال
في مخاطبة النساء وفض الطرف عن محاسنهن وعدم مشافهتهن
بقيبح وصيانة الاعراض والذود عن الحريم واحترامه ، قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حمى عرض أخيه المسلم
بمث الله تعالى ملكاً يحميه يوم القيامة من النار »

ومنها البر بالمساكين ومد يد الرشد والمساعدة الى الفقراء
والمموزين على قدر الطاقة واطعام المرضى وفوي الناقة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم « من أطعم مريضاً شهوته أطعمه الله
من ثمار الجنة » ومنها الأفراج عن المعسر وقد جاء في حديث
« من أراد ان تستجاب دعوته وان تكشف كربته فليفرج عن
معسر » ولقد تفضل في الصدقات صدقة السر على صدقة الجهر
كما يفضل البر المصري من اعانة الجميات الخيرية التي تتكفل
بحسن توزيع الصدقات طريقته القديمة حتى لا تكثر في الامة
طائفة الشحاذين من الكسالى والذين يسألون الناس الحافاً

ويفسدون أخلاقهم بأيديهم بالتسول والتكفف وهم بعد في غنى ومتسع من صحة البدن والقدرة على الشغل والعمل .

أما حقوق الجوار (١) -- ولقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً بالجار حتى كاد يورثه كما أوجد أصل الشفعة في الشريعة مراعاة لراحته -- فتهي من أشرف الحقوق وأجل الآداب الإسلامية وفي الحديث الشريف « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » ولقد جعل من تمام حق الجار ليس أن يكف المرء عنه أذاه فقط بل أن يتحمل ما يمكن أن يحتمل من أذاه وجملة حق الجار وآداب الجوار أن يبدأ المرء جاره بالسلام إذا لقيه ويسأل عنه إذا غاب ويصنع معه في الفرح والترح ما يصنع مع صديقه وينصحه في زلاته ولا يتطلع إلى عوراتاه ويحفظه في أهله ولقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث كله حكمة عالية بعض تلك الحقوق للجار حسبما نصت عليه الآداب الإسلامية الشريفة قال عليه السلام « أتدرون ما حق الجار إذا استعان بك أعتته وإن استنصرك نصرته وإن استقرضك أقرضته وإن مرض عديته

وانه مات تبت جنازته وان اصابه خير هنائه وان اصابته
مصيبة عزيمته ولا تستطل عليه بالبناء فتجب عنه الريح الا
باقته ولا تؤذنه واذا اشتريت فاكهة فاهد له وان لم تفعل
فادخلها سرّاً ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذنه
بقتار قدرك (راحة طعامك) الا ان تعرف له منها . ثم قال
أتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا
من رحمه الله »



﴿ الباب السادس ﴾

﴿ أدب الحكومة ﴾

النظام الطبيعي — العدل أساس الملك — الأصول اللازمة في
الحكومة — الحكومة النيابية في الإسلام — بسط رواق الأمن —
العدل وضبط احوال الرعية — ضرورة انتقاء العمال بالكفاءة —
الرشوة علة فساد الشرق قديماً — تنظيم الجندية من اهم دعائم
الملك — ولاية القيادة على الجند — مهمة الدولة في العلم — لضمان
سير الامور — آداب الملوك الخاصة — شأن الوزير — آداب الوزير —
اختيار العمال — حاشية الملوك ومقابلاتهم — طاعة السلطان —
احترام السلطان في شخصه .

إذا كان هذا الكون المحكم بموالمه من افلاك ومياريات
وكواكب ثابتة أو شبه ثابتة ونيازك ساجدة وعناصر مؤتلفة
ومختلفة أو شبه مختلفة إنما يقوم كله على نظام ويدور بمقتضى
تدبير محكم يحوطه بدقة وترتيب عجيب مع ان صانعه الله تعالى
قادر على ان يمسكه بقدرته بلا رجوع الى أسباب عاملة أو
نواميس ضابطة من حركات وسكنات وجاذبية عامة الى اشباه
ذلك مما هو تقدير العزيز العليم فاحر بالانسان وهو بشؤونه
الاجتماعية ذلك الكون الاصغر أن تكون كل أحواله واعماله

السامة جارية هي ايضا على نظام يدير شؤونه ويسوس اموره
تلك الشبهة بالاختيارية فمن ثم اقتضت ارادة الله سبحانه وتعالى
أن لا يصلح الناس فوضى بل لا بد لهم من سلطان وازع
وشرع نافذ منه سماوي ومنه ارضي بذات فضت سنة الله في
خلقه منذ القدم وفي كل الشعوب والامم ولن تجد لسنة الله
تبديلا ولهذا قيل السلطان ظل الله في الارض

بالمثل والنظام قامت السموات والارض وبالمثل والنظام
تكون الحكومات الانسانية على الارض في جميع ما هو مطلوب
من شؤونها اللازمة منها والواجبة عليها ومبدأ القرآن فيما يتعلق
بالنظام الاجتماعي دائر على محور اقامة العدل وحسن تدبير
الشؤون في سياسة الخلق لحب الله له فضلاً عن مبدئه
الديمقراطي في الحرية والمساواة بين المسلمين ، فسياسة المصالح
وتدبير الامور وفق مبادئ الحق ونواميسها الصحيحة بحسب
الظروف والمقتضيات في الماديات والادبيات مطلوب من
الراعي لرعيته وبعبارة اخرى انه بلا أدنى ريب أساس الحكومة
بمقتضى النظام الاسلامي ، ويرجع هذا من تقرير النظام الى
بسط رواق الامن وتعميد سبل استغلال الثروة في الهيئة ونصب

ميزان القضاء العادل بالشرع والقانون لانه الحقوق ورد المظالم
والفصل في الخصومات والقصاصات ثم الذود عن حياض
الملسكة والدفاع عنها ثم تعضيد العلم والعلماء وتسهيل أمر نشر
المعارف والأمر بالمعروف بين الرعية لتسمد في المنويات التي
توجب ولا شك السعادة في الماديات بالعمل الفردي على
مبدأ الحرية فيه

تلك هي أم الآداب المطلوبة وبالتالي أعظم الأمور
والحقوق الواجبة على الحكومة في نظر الاسلام المنوطة بها
مما حث عليه الشارع ونزل به الكتاب وقام به العرف الصحيح
فكان منه الضمان لسير الأمور على محور الاستقامة بما جاء
في الاسلام من مبدأ الشورى وأمر النبي بها للتشريع لان
مقام النبوة غير مقام الملك كما لا يخفى ، وغريب ان قد وفقت
الأمم الغربية الحديثة للمبدأ الدستوري النيابي في الحكومة
بمقدار ما بعدت عنه الأمم الاسلامية التي لها منه منهوحة
صریحة في تلكم الآيات البينات غير أن الأمر انعكس لان
حب الملك المضوض جعل أمر الحكومة مطلقة في الاسلام
بشروطها المعلومة التي لم تراعي هي أيضاً حق رعايتها في

تدير شؤون مصالح العباد مما حفظت مساويه الأيام في بطون
توارى عنها الا قليلاً .

واني لا اريد ان ادخل هاهنا في بسط نظام او ترتيب
الحكومات الاسلامية على حسب المصطلحات أو المرف من
الامامة أو الخلافة ^(١) أو السلطان ونحو ذلك وإنما اريد ان
ابسط آداب الحكومة في الاصول الاربعة الآتية وما يدخل
في هذا عرضاً من ادب الحكم والوزراء والقواد وتنظيم
الجندية والمال والقضاة وما أشبه ذلك على حسب ما هو
مسطر عنها في كتبنا الاسلامية ^(٢) وما يفهم من المبادئ
المقررة فيها والامور الملحوظة مما يرتبط بذلك خصوصاً فيما
نرتأيه نحن أبناء هذا العصر مما منه اكبر الفائدة على كل حال
فمن أؤكد ما حث عليه الشرع والادب الاسلامي في
سيرة السلطان بسط رواق الامن واقامة دعائم العمران بتسهيل
سبل الزراعة ووسائل التجارة واحياء الصناعة لتسمد الرعية
وتتعبط وتتعتي في أرزاقها وأقواتها وسائر مرافقها فتتعبط من ثم
الحكومة. وتزداد أموال الدولة بازدياد الخراج والاعشار وكل

(١) راجع الاحكام السلطانية للماوردي (٢) سراج الملوك ونحوه

الضرائب المأخوذة لاقامة دعائم الملك وفي هذا مبلغ القوة للدولة والوزة وعماريوت المال بمكس مالواهل السلطان امر اقامة تلك المنافع وتيسير سبل انماء الثروة على الرعية فان الجبايات ثقل بقدر تلك النقصانات في وسائل العمارة أو اختلال الامن أو تمدى أعوان السلطان بالظلم في الرعية والاجحاف وارهاف كواهلها بالمظالم والمغارم فان نفوس الرعية حيال هذا الحال المكروس بل الفساد المنهى عنه تكسل وتخور العزائم وتثبط الهمم في الاعمال إما للكساد وقيام الصعوبات في الاخذ والمطاء واما لفقدان الامن وكثرة التمدى على الاموال والارواح فمن ثم ثقل الجبايات والايادات لتلك الاسباب المانعة ، فتوطيد دعائم الامن وتأسيس المنافع وتسهيل سبل المرافق سواء في الزراعة أو في الصناعة أو في التجارة من أجل وأعظم ماحث عاياه الشرع الاسلامى وأوجبه المبادئ الاسلامية في آداب السلطان وبالتالي في مبدأ الحكومة الاسلامية

أما الامور العدلية وما فى حكمها من النظام والشؤون الادارية فمن أعظم متحراها وأجل مبادئها اسلاميا « العدل »

وهو أساس الملك ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولقد نص الله تعالى في غير ما آية من كتابه العزيز على إقامة قسطاس العدل في الشؤون المختلفة فيما يشجر بين الناس من الخصام والصدام في الحقوق وسائر المعاملات والاحوال الشخصية وضبط الشؤون والآداب العامة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشرائع الآلهية والنظامات الوضعية التي تستلزمها ظروف الاحوال والمقتضيات الزمانية بحسب المصالح المرسلة كلها تشهد ذلك في جوهره وتبني عليه للنصفة بين الخلق في الحقوق والقصاصات التي هي حياة الامة ولذلك أوجدت الترتيبات اللازمة لإقامة ذلك من انشاء دوائر القضاء المدنية والجنائية فضلاً عن ادارات الشرطة والمسس والحسبة^(١) تلك الوظيفة الاسلامية المهمة التي تقع في رقبة كل مسلم قادر لانها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجب في حق القادرين من المسلمين وقد حورها الفرييون الآن فقام على مبدئها عندهم مثل جمعيات منع المسكرات والتدخين وحماية النساء وصيانة الآداب العمومية والجمعيات الخيرية وجمعيات الرفق

بالحيوان الخ) المنوطين بالضبط والربط ورفع الجور والظلم ومنع الفساد والمحافظة على الأمن العام واستتباب الراحة بين الأنام وصيانة الآداب ومنع شرور الأسواق في بيوعها وغشها وتطبيقاتها الى اشباه ذلك فشان هؤلاء الموظفين كالأطباء الصالحين في اعمال الوقاية واتخاذ التدابير اللازمة لتجنب الوقوع في الامراض ومعلوم ان دفع الامراض ابتداء أسهل من دفعه بعد الوقوع فيه ، اما القضاة المنصوبون من قبل السلطان للقيام بالفصل في الخصومات وتوقيع العقوبات والقصاصات والاحكام فكالأطباء القائمين بوظيفة التطبيب في الامراض اللاحقة بالاجسام وكل ضرورى ولكل وظيفته في الهيئة الاجتماعية .

واذا كانت هذه التدابير بهذا المقدار من الاهمية والنفع في نظام الحكومة الاسلامية قديماً حيال اقامة المصالح العامة بين الافراد والامور المشتركة في الرعية فلا جرم وجب وتحتم ان يكون القائمون بها من قبل السلطان من ذوى الكفاءة والاستقامة ولهذا اشترط في نظام الهيئة الاسلامية وآدابها السامية في اختيار القضاة والحكام وسائر العمال ان يكونوا من أهل العلم والتقوى والنزاهة قال المرحوم قاضي قضاة مصر

السابق السيد عبد الله جمال الدين في كتابه الموسوم « بالسياسة الشرعية »^(١) بخصوص اختيار القضاة ما نصه « وما يعتني به كثيراً تولية القضاة فيجب ان ينتخبوا من الناس الذين هم أعلم الناس وأورعهم وأعقلهم ومن المعروفين بالنفقة والاستقامة والأمانة خصوصاً ولقد ورد في الحديث الشريف ان الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات ويجب العقل الكامل عند حلول الشهوات » ولقد جاء في الرشوة تلك الآفة التي تبطل المصالح وتفسد الشؤون والنفوس في الهيئة آيات بينات وأحاديث كريمة فقد لمن النبي صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي كما لمن شارب الخمر وبائعها . والرشوة كما لا يخفى من أمهات عطل الشرق وقد جعل لها المقاب الصارم في أصل الدين على الراشي والمرتشي وأنها هي والظلم والعسف والطغيان النفسي لمن أكبر الرذائل وأعظم الفضائح الضارة التي طالما جرت على الرغم من جودة النظام الاسلامي الى أشأم الظلم في المصالح وتقهقر أحوال الرعية واضمحلال أمر السلاطان ، والرشوة وما في حكمها هي السحت والربا المحرم وأكل أموال الناس بالباطل

ولكن الحكام لفساد الاحوال والاخلاق التي كانوا عليها
 شرهوا وعوتوا الناس عليها وأبوا قضاء المصالح غالباً الا بها مع
 انها من شر ما حصل اسروا من مال طالما أفسد حال صاحبه
 وأهلك الحرث والنسل وهي اذا اخذت لاحقاق باطل كانت
 من أشأم الظلم والجور الذي لا يفلت صاحبه من عقاب الله
 الشديد واذا تنزلت لتيسير مصلحة محق كانت من أعظم أكل
 أموال الناس بالباطل

على ان ما كان يفتحل في الرشوة من اسم الهدية هو من
 الكذب على الله والافتراء على الناس لان الهدية شروطاً
 وحدوداً وآداباً بين الاخوان والاصدقاء لمجرد المحبة الخالصة
 المتبادلة واتحائها بين حاكم ومحكوم ليس في شيء من ذلك
 البتة جاء في صحيح البخاري ومسلم عن أبي حميد الساعدي
 قال « استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الازد اسمه
 ابن اللثبية على الصدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدي
 اليّ فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما بال الرجل نستعمله على
 عمل مما ولانا الله فيقول هذا لكم وهذا أهدي اليّ فهلا
 جلس في بيت أبيه او بيت أمه فنظر أيهدي اليه أم لا والذي

نفسى بيده لا يأخذ منه شيئاً إلا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بغيراً له رفقاء أو بقرة لها خوار أو شاة تبهر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطه وقال اللهم هل بلغت ثلاثاً ، وقال الشاعر فى مثل تلك الهدايا :

إذا أتت الهدية دار قوم تطايرت الأمانة من كواها
وجملة القول إن من أعظم ما يفسد المصالح القضائية والإدارية فى المملكة إنما هو تمادى عمال السوء فى أخذ الرشوة وخيانة الدولة فيما اتهمتهم فيه مما جبر قديماً إلى أشأم المغاب والفساد وتضييع المصالح وتدمير الممالك الأمر الذى قد أوجدت له المنظمات الحديثة القوانين واللوائح الإدارية لقصاص العمال عمال السوء والضرب على أيديهم حتى تستقيم أحوال المملكة وتنظم شؤون الرعية ولقد قال المأمون الخليفة العباسى المشهور هذه الحكمة الحكيمة قال « ما فتق على قط من فتق فى مملكتى إلا وجدت سببه جور العمال »

ولا غرو فالتاريخ أصدق شاهد على أن تسلط العمال بما يعطون من السلطة غير المقيدة بقانون أو نظام أو كفاءة صحيحة موجب لعدم الضمان وموجد للجور والتماذى فى العسف

فيتحذرون الرعية خولاً وأموالها خولاً مما جر ويجر الى
 أشأم الظلم والفساد وانتقاض الاحوال في المملكة فاختيار
 المال واجب وتقييدهم بالنظام لازم وانتقائهم من ذوى
 الاستقامة من أبناء الامة المشهورين بالصدق والاخلاص
 والعفة والحزم ضربة لازب ولله ما أحكم ما قال الشاعر الحكيم:
 وما قادها للخير الا مجرب عليم باقبال الامور كريمها
 وما كل ذى لب يعاش بفضله ولكن لتدير الامور حكيمها
 وما سقطت يوماً من الدهر امة الى الذل الا ان يسود فميمها
 أما الاصل الثالث من دعائم قيام المملكة فهو تنظيم
 « الجندية » للحراسة والدود عن حياض الدولة والامة داخلاً
 وخارجاً ولقد كان لكل دولة من الدول الاسلامية بل لكل
 دولة من دول الارض قديمها وحديثها العناية التامة بتنظيم
 الجندية بحسب المقتضيات الزمانية والمكانية في هذا الزمان
 تخالف هذه النظمات العسكرية ترتيباً وعدداً واساحة نظمات
 العصر الذى تقدمنا وذلك العصر يخالف الذى سبقه وهلم جراً
 والرقى هاهنا مطلوب وواجب حتى يكون استعداد الممالك
 القائمة والدول ذوات السلطان مناسباً لمقتضيات الاحوال في

حفظ سياج الدولة وبعبارة أخرى مساوياً لما عند الدول القائمة
 والممالك المناظرة وكافياً لحفظ الأمن في داخلها والسلام خارجها
 وهذا أمر مطلوب ومرغوب فيه وداخل في حكم الآية
 الشريفة « راعوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل »
 والدول المعاصرة كلها تتحرى هذا الأمر وتنشده على أفضله
 واكمله كما ترى من عظم استعداداتها الحربية البرية والبحرية بهذا
 تكون الدولة بين الدول ذات سطوة وبحسب لها ألف حساب
 وتأمين جانب الطوارئ وتصد كل مناوئ لها بالمدون وتحصل
 لها من ثمّ الهيبة والاحترام بين الدول وفي عين الرعية بما
 يكون لها من وزن في القوى والسياسة وحسن الإدارة
 الداخلية مما يكون لها من ورائه ولا ريب السلم الحقيقي
 وبعبارة أخرى السلم المسلح إذا كان البشر قد صاروا في هذا
 العصر في حال من ارتقاء الشعور لدرجة قد زهدوا معها حقيقة
 في الحروب ومقتوا سفك الدماء وقتل النفوس مما له اصل في
 قول الله تعالى في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم بحق أعدائه
 « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »

لكن هذا المبدأ في مراعاة السلم وكف المدوان والشر

لا ينبغي البتة مبدأ تجنيد الجنود والاستعداد بها للطوارئ براً وبحراً لحفظ سياج المملكة في داخلها وخارجها لا سيما اذا كانت المملكة مترامية الأطراف متباينة الاقوام فيجدر بالمملكة الاسلامية علي كل حال بحكم المبادئ الاسلامية والدولية المصرية اخذ الحذر والسهر والمداومة علي انتقاء احسن الترتيبات العسكرية الفنية والعملية مما له أصل توغيب في القرآن « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » وكل هذا من أمر الجندية يقتضي اغداق الارزاق علي الجنود واختيار أجود العدد والسلاح واللباس لاستكمال الابهة والزينة العسكرية وتلك « الحيلاء » المخصصة بالجندية والتي لا تحمد الا في مشية الجنود بترتيبها الممهود وزيتها المعلوم ونظام آدابها العالية التي تحجب فيها النفوس .

قال الامام الطرطوشي في كتابه سراج الملوك في فضل الجندية والحث علي العناية بشأنها وما يطلب من الجند من الشجاعة والبسالة في الكر والفر بحسب اصطلاح عصره مانصه « الجند عدد الملك وحصونه ومعاقله وأوتاده وهم حماة البيضة والذابون عن الحرمه والدافعون عن المورة ، وهم جنن الثغور

وحراس الابواب والمعدة للحوادث واعداد المسلمين واحدا
الذي يلقى العدو والسهم الذي يرمى به والسلاح المدفوع في
نحره ، فبهم يذب عن الحرم وتؤمن السبل وتسد الثغور ، وهم
في الارض حماة الثغور والذادة عن الحريم والشوكة على العدو .
وعلى الجند الجدة عند اللقاء والصبر عند البلاء ، فان كانت لهم
القلبة فليمعنوا في الطاب وان كانت عليهم فليكسروا الاعنة
وليجمعوا الأسنه ويذكروا أخبار غد . وينبغي للملك أن يتفقد
جنده كتفقد صاحب البستان بستانه فليقلع المشب الذي
لا ينفعه فمن المشب مالا ينفع ومع ذلك يضر فهو بالقلع اجدر
ولا يستصلح الجند الا باقرار أرزاقهم وسد حاجاتهم والمكافأة
لهم على قدر عنايتهم وبلائهم ، وجنود الملوك وعددها وقف
على سموه الأئمة ونحوها ،

وولاية القيادة على الجند من أهم الخطط والوظائف
المشروط لها التضلع من الفنون الحربية وصفات الكفاءة المالية
من الشجاعة والشهامة فضلاً عن الاخلاق الاخرى التي تصلح
للقيادة وتناسبها من الشفقة على الجنود والحنو عليهم بغير ضعف
ولا تدلي لدوام الاحترام وحفظ النظام نظام الجندية وشرفها

الدالي مع حسن تبصر وتدير لأقواتهم وصرف أرزاقهم بكل
دقة وعناية حتى لا ينفرط عقد الطاعة ولا ينصرم جبل النظام
وهو عماد الجندية وسياجها وزوجها

وحيث كان الجند هو حامي الثمار والذباب عن الدولة
فأحر به أن يكون وقواده أميناً صادق الوطنيه والاخلاص
لسلطانه ودولته وبلاده لان في « الحيانة » فضلا عن الذلة
والمهانة ويبيع الشرف العسكري تلف الدولة وسقوطها سواء فيما
إذا وجهت سهامها نحو المصيان على السلطة العالية أو نحو
ما هو شر منها من خيانة الاوطان. والذي يقرأ التاريخ الاسلامي
يرى أن ثورات الجنود وكثرة قيامها وهياجها في الدول الاسلامية
على السلاطين قديما أو خيانتها لهم ميلا مع الظالمين في الملك
من الامراء والمنازعين فيه من المفتصبين انما كان من أقوى
العوامل على ذهاب ربح هاتيك الدول وسقوطها بسرعة باضافة
تلك الاسباب الاخرى اليها وسبب كل هذا عدم التقيد بنظام
متقن يرجع اليه في قصاصات الجنود على نحو ما نراه اليوم في
الاحكام العسكرية وقوانينها الصارمة مما لا يمنع منه شرع ولا
عرف حسن ولكن لم تكن الفكر لتذهب اليه في تلك الايام

لأسباب الجمة التي ألهمت الملوك بأنفسهم وحظوظهم فجامتهم
النكبات من حيث ظنوا النصر والتعظيم لتوجه أن صار الجند
كما كان الحال في دولة الأتراك بمصر قديماً هو الذي أن شاء
ولي وأن شاء عزل فكان قوله القول ورأيه الفصل ولكن هذا
ليس من جودة النظام في شيء ولكل أيام دولة ورجال إذ
للمساسة أساطينها وللجندية وظيفتها التابعة

وجملة القول أن الجندية ونظامها من أهم النظم المطبوعة
والزمها في الهيئات الاجتماعية والهيئة الإسلامية ومسؤوليتها
دقيقة عظيمة وعمؤها ثقيل وأدبها كبير بقدر ما شرفها عظيم
ومقامها لدى البشر مقام خطير .

أما تعظيم العلم ونشر المعارف في المملكة فلا إخال أحداً
يجعل مقدار عناية ملوك المسلمين العظيمة وحكوماتهم السالفة
ومبادئ نظامهم نفسه به وكل سيرة السلاطين والخلفاء
واهتمامهم بالعلم والعلماء واهتمامهم بالمدارس والمكاتب ومعاهد
العلوم والوظائف الخصيص بالعلم والتعليم مما هو من متعلقات
الدولة والتي يجب عليها انشاؤها بما لها من وظيفة القيامة على
الامة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها كلها معلومة من

التاريخ ولقد كان من الأقوال المأثورة وفرد الحكم المشهورة قولهم « الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك » وما كانت تلك الحكومة الا مصلحة الراعي والرعية ولذلك أوجدت من قديم الزمان في الاسلام تلك التأسيسات العلمية الجلية والتنظيمات المهمة مما كان من ورائه احياء معاهد العلوم وانشاء المدارس والحكايات واعداق الارزاق على العلماء والقائمين بوظيفة التدريس والتعليم فيها وفي المساجد والجامع في كل فروع العلوم المفيدة وتنشيط العلماء والمؤلفين قياما بواجب حق العلم ونشره لتتقيد عقول الامة وتهذيب اخلاقها وتنوير افهامها فيما ينفعها دنيا وأخرى على ان النظمات والاساليب المصرية في نشر هذا العلم بين الامة لها مزايتها المصرية وموافقتها الفوقية وليس في ذلك كله منها ما يخالف المبادئ الاسلامية بل يمكن ان يقال انها نعمت الوسائط كما يقال نعمت الغاية غاية تعليم الامة ما ينفعها ويفيدها بحسب مقتضيات وأمر صلاح الدنيا موكل فيه الشأن الى اختيار الامة وحسن الافواق والعرف المتداول كما لا يخفى » انتم بمصالح دنياكم ادرى مني بمصالح دينكم ،

هذه هي الاساطين الاربع التي يقوم عليها أدب الحكومة
الاسلامية وبالتالي الاساسات التي يبنى عليها ارتقاء أحوال كل
الأمم الاسلامية وغير الاسلامية متى ما روعيت على الوجه
الأتم وهو عين العدل والاصلاح المطلوب اقامته بين الناس
في الحكم والحكومة على أوسع المعاني واجملها بل هو الذي
جمل الأمم الاوروبية للضمان عليه والاستيثاق من تمشيته
على نسبه الصحيحة واصوله الحقنة تستنبط له شكل الحكومة
النيابية التي يشارك فيها الشعب حكومته في الحكم لا شيء آخر
سوى الضمان وراحة البال بالاشراف والمشاركة في الامر في
التشريع ومراقبة السلطة في التنفيذ مع معرفة حق الملوك مع
ذلك واحترامهم واجلال مقاماتهم وطاعتهم بما لا يقل عما اذا
كانوا مطلقي التصرف غير مقيدي الحكم بذلك النظام الجليل
النظام النيابي بل ربما زاد عليه كما هو مشاهد في ممالك
أوروبا الحالية ولقد مر بك ان روح المبادئ الاسلامية
ونصوص القرآن لتجيز بل تحتم على نوع ما اتباع هذه الخطة في
الحكم وأمر السلطة بما قد ندب اليه من الشورى في الامور
وامر النبي نفسه بها وبالنهى عن الظلم والاستبداد بالرأى دون

سؤال اهل الذکر من العلماء والحکماء اى اعيان الامة ورؤسائها
وتساوى المسلمين في الحقوق والواجبات العمومية ذلك المبدأ
الديمقراطي العظيم الذي قد يغبط عليه الاسلام من ابناء
الملل الاخرى بالنظر الى احوالها القديمة ولا غرو فقد جاء في
الآية « انما المؤمنون اخوة » وفي الحديث الشريف كما تقدم
تشبيه المسلمين بالبنیان يشد بعضه بعضاً ، ثم ان في المبادئ
الاسلامية التي بينها الأئمة المجتهدون في اختيار الخليفة
والامام والولاية والقضاة والحسبة ما هو أساس لمبدأ
الانتخابات العمومية وانتقاء الحکام الاداريين وما وزارة
التفويض وأمارته الا من قبيل الوزارات المسؤولة سواء أمام
الملوك أو أمام المجالس النيابية التي تشاركها في العمل في النظمات
الحديثة ، وجملة القول ان النظمات الاسلامية صالحة باصولها
لان ترقى الامم بشرط مراعاة روحها وقبولها للتكيف بحسب
المناسبات تحرياً للوظيفة العالية التي للحكومة من اقامة قسطاس
العدل في الحكومة الموجب للطاعة على أحسنها واطمئنان
النفوس البشرية على أكمله .

واكمل الآداب التي يجدر بالملوك والأمراء ان يتصفوا

بهافي خصوصياتهم بعد الاتصاف بالاخلاق العامة الفاضلة الواجبة
 عليهم نحو رعاياهم من العدل والسهر على المصالح العامة والرفق
 انما هو الترفع عن سفساف الاخلاق والبعد عن مواضع الريب
 والظنون والدنات والزهد في استصحاب كبير اللعب والمجون
 والمجاهرة بالمعاصي الامر الذي طالما اسقط ملوكا ولاشي دولا
 وفي التاريخ الاسلامي اكبر المبر لذلك — فيجب الترفع عن
 تلك النقائص واستصحاب الكمال النفسي والحلم والوقار والالانة
 والحزم لان من يجب ان يكون فوق الناس بسلطانه ينبغي له
 قبل كل شيء ان يكون فوقهم باخلاقه وآدابه ، وانخلاصة ان
 آداب الملك في شؤونه ينبغي ان تكون مرآة حقيقته في الشؤوف
 العامة لان السلاطين كالأفراد اذا ما استحكمت فيهم خصال
 النقص في النفس انتقصت معها امورهم مع سائر الخلق لم ينفعهم
 معه كرم ولا سخاء ولا عقل ولا دهاء ولقد بين الشاعر الحكيم
 أبو الفتح البستي حال السلطان الذي يميل الى اللهو واللعب فقال:
 إذا غدا ملك باللهو مشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب
 وهي حقيقة يريها اياها التاريخ البشري ذلك الفانوس

السحري للمبر أن هكذا كان مآل كل الملوكة من أرباب
اللب والهو.

وآداب السلطان والخلال التي ينبغي أن يتصف بها
ويكون عليها والخصال التي يلزم أن يتعمد عنها ويصون نفسه
منها كثيرة عددها المؤلفون ممن كتبوا في الملوكة وآدابهم
قديمًا وحديثًا ولقد عدد منها الفخرى عندنا في « الآداب
السلطانية » أمورًا كثيرة كما ذكرها غيره ممن صنفوا في هذا
الموضوع الخطير من المسلمين

أما آداب الوزير في مبادئ الحكومة الإسلامية
وآدابها فجيلة أيضًا لأنه إذا كان السلطان رأس الهيئة الحاكمة
فالوزير عضدها وساعده سلطانها قال الامام الطرطوشي في
سراج الملوكة مستشهدًا على فضل الوزير وعظم الحاجة اليه
بقصة موسى عليه الصلاة والسلام فيما حكى القرآن عنه « واجعل
لي وزيراً من أهلي هارون أخي » قال فلو كان السلطان يستغنى
عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران
ثم ذكر حكمة الوزير من تفسير الآية نفسها فقال اشدد به
أزرى وأشركه في امرى ، دلت الآية على أن موضع الوزارة

شهد قواعد المملكة وان يفضى اليه السلطان بمجره وبجره اذا
استكملت فيه الخلال المصودة ، ثم قال كي نسبحك كثيراً
ونذكرك كثيراً قلت هذه الحكمة على انه بصحبة العلماء
والصالحين وأهل الخير والمعرفة تنتظم أمور الدنيا وأمور الآخرة
كما ان أشجع الناس يحتاج الى السلاح وأوفر الخيل الى السوط
وأحد الشفار الى السن كذلك يحتاج أجل الملوك وأعظمهم
وأعلمهم الى الوزير . »

وآداب الوزير في نفسه أن يكون عادلاً حازماً مخاصماً
بصيراً بالأمور عارفاً بالمصالح والخطط المباشر لها والمشرف عليها
لانه مسؤول عنها أمام السلطان وأمام الله تعالى كما ان السلطان
مسؤول عنها أمام الله والامة وحلية الملوك كما يقال وزراءهم
بل هم واسطة عقد الممالك والدول والمحور الذي تدور عليه
امورها وسياساتها وتنتظم به كل شؤونها الهامة الداخلية
والخارجية ، ولقد قيل « نعم النظير الوزير » وقيل « أعظم
الاشياء ضرراً على الناس عامة والولاة خاصة أن يحرموا صالح
الوزراء والاعوان فتكون أعوانهم غير ذات جدوى وغناء
وليحذر الملك أن يولى الوزارة غير المتضامين كي لا تضيع الامور

كما يحذر أن يتطلب بغير طيب بغير مأمون ،
وكما يطلب من الوزير الحزم في الأمور وتدير المصالح
بمهارة ونشاط يطلب منه أيضاً أن يكون ذا راحة وشفقة على الرعية
مع السلطان ساهراً على مصالحها حتى تدور على محور العدل
والنجاح في جميع الشؤون المادية والمعنوية ، ورب أمر كرهه
الملك فتم لما فيه من مصلحة على يد الوزير وجنى من فوائده
الصغير والكبير ، وشر ما يكون بخلق الوزير نفاقه وخداعه
للسلطان ومداهنته له حباً بالمصاحبة الذاتية فان هذا خيانة بل
هو من أكبر الخيانات الموجبة لفساد حال الراعي والرعية
وعقباه سيئة جداً على من يؤثرون الوزراء على حب المصلحة
العامة ومحض الخدمة القومية قال المأمون لوزيره محمد بن زياد
« إياك ان نعصى الله فيما تتقرب به الى فيسلطني عليك » وفي
تاريخ الاسلام عبر كثيرة في أحوال الوزراء الذين أسقطتهم
عيوبهم بأيدي الملوك فراحوا ضحية مساوئهم كما راح ملوك
كثيرون ضحية ما ارتكبوا من ظلم وجور في رعيته أمام الله عز وجل
واذا استدلل أسر الوزير كان من دأبه العون على انتقاء
المال الا كفاء والاعوان ذوى الدراية والاستقامة ممن حسنت

أحوالهم واستقامت أعوادهم وغزرت معارفهم فلا يكون للصنعة ثم مدخل ولا للأثرة والمحسوبية وليجة وبذلك تنتظم المصالح وتدور خطط الدولة على محور العدل وحسن السير في جميع فروع إداراتها وهواوينها ولقد تقدم ما فيه الكفاية من حيث ما يجب أن تكون عليه صفة المال في المصالح الإدارية والخطط القضائية ونحوها كما ترمي إليه روح المبادئ الإسلامية وآدابها الجليلة بهذا الصدد العظيم وكما ترى من آثاره الجليلة في نظمات الدول الحديثة

أما حاشية السلطان وبطائنه الخاصة مما كان يمر عنه قديماً بالجلساء والقرناء فيجب أن يتحرى فيهم أكمل الأوصاف واجمل الخلال الجديرة بمثل هذا المنصب الرفيع والمقام العالي مقام الشرف بالحكمة في بلاط الملوك فيجب أن يكونوا في حظوتهم بالخلطة وشرف المشول بحضرة الملوك على أكمل ما تقتضيه حال الآداب السلطانية وأبهة الملك وعظمة السلطان وجلاله ووقاره بما لا ينزل بهم مع ذلك إلى أحقر منزلة وأخس مقام قد يكون فيه النفاق والرياء تخير الأمور مع احترام النفس اعطاء السلطان حقه من التوقير والتمظيم بحسب

الآداب السلطانية ولقد جاء في أدب الباب نصائح جمة في الكتب الخفيفة بأمر الملوك والسلاطين لا حاجة الى التطويل بها ها هنا

والسلطان في مقابلاته لعماله من الوزراء ورؤساء الدولة وعمالها ورجال الحاشية وموظفيها آداب جمة فالوزراء صفة في المقابلة وللعلماء والرؤساء صفة اخرى ولباقي النبال صفات تتفاوت بتفاوت الدرجات وللملك الرشيد والسلطان الحازم الحكيم ذي الاخلاق الكاملة حيل هذا كله حسن بصارته في مخاطباته ومكالماته وتعاطفاته وظهوره لرعيته بما له من الشأن الجميل والقُدوة الجليلة والموعظة الحسنة في مثل الحديث الشريف « أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم » ولهذا وجب على السلطان ان تكون له خلال خاصة كريمة وان تعدم منه خصال لا ينبغي ان يتصف بها تبعاً لرفعة مقامه ودقة مهامه



واذا كان لا قوام لمصلحة الخلق وانتظام أمورهم الاجتماعية الا بالسلطان الوازع والشرع الرادع فأول واجب على الرعية ومن أدبها ومصلحتها نفسها مع سلطانها ونظامها « الطاعة »

التي يتم بها شأن الاجتماع البشري وينتظم حال العمران، والطاعة فيما لا يخرج عما حرّمته الشرائع أو القوانين المعمول بها من الزم الاوازم لدوام صلاح الهيئة الاجتماعية وقد أمر بها القرآن المجيد في الآية «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» فقرن طاعة الرسول بطاعة الله تعالى ثم أرففه بطاعة أولي الأمر ليستبان أنه الأخيرة إن كانت فيما يخالف أسراً من أمور الشرع وحقوق الله والنظام البشري الحق فلا طاعة إذن كما جاء في الحديث الشريف «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»

قال الفخري في الآداب السلطانية بصدد الطاعة ما نصه «وأعلم أن الملك على رعيته حقوقاً وإن لهم عليه حقوقاً فأما الحقوق التي تجب للملك على رعيته فهي الطاعة وهي الأصل الذي ينتظم به صلاح أمور الجمهور ويتمكن به الملك من الانصاف للضعيف من القوى والقسمة بالحق ومما جاء في التنزيل من الحث على ذلك وهي الآية المشهورة في هذا المعنى قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» ومن أمثالهم لا إمرة لمن لا يطاع» ولقد فضّلوا بالنظر إلى حفظ النظام الملك القاهر المطاع على الملك الضعيف الذي

يهمل أمر الرعية فتفسد وينتقض أمر نظامها وطاعتها له مما هو عماد قيام الأمم وواسطة عقد حياة الشعوب

فطاعة السلطان واتباع النظام بشروطهما اذن من اوكد ما حث عليه الدين الاسلامي مراعاة للمصلحة العامة لان عدم الطاعة بخلاف النظام او بالمسيان والقيام في وجه السلطان من شر ما جر ويجر المصائب والويلات على الممالك وتفسد معه شؤون الهيئة وتضطرب له احوالها الخاصة والعامة أيما اضطراب وفي ذلك من الفساد في الارض الممقوت المبطل للمصالح ما فيه لان الناس لا يصلحون فوضى بلا نظام ولا وازع مهما ارتقت مداركهم وسمت عقولهم فلذلك وجب طبيعياً وسياسياً إقامة السلطان وقيامه بالمصيرية القومية والسياسية وجعله بمنزلة الرأس المدبر لجميع حركات الاعضاء الاخرى من البدن وهذه لا تصلح لوظائفها الا بالرأس فاذا لم يؤد الرأس وظيفته ويحترم في جميع اشاراته من سائر أعضاء البدن كانت الأمة كالساعية الى حتفها بظلفها ولقد شبه العالم الطرطوشي حال الأمة التي فقدت السلطان او دخلت في الفوضى فوضى النظام وانتقاض أمر السلطة والسلطان بيت فيه سراج منير

وحوله فئات من الخلق يبالغون صنائعهم فيينا هم كذلك طفيء
السراج فقبضوا أيديهم للوقت وتغطل جميع ما كانوا فيه فتحرك
الحيوان الشرير وخشخش الهام الحسيس فدبت المقرب من
مكمنها وفستت الفأرة من جحرها وخرجت الحية من ممدنها
وجاء اللص بجيلته وهاج البرغوث مع حقارته فتعطلت المنافع
واستطارت فيهم المضار كذلك اذا كان قاهراً لرعيته كانت
المنفعة عامة وكانت الدماء في أهلها محقونة والحرم في خدورهن
مصونة والاسواق عامرة والاموال محروسة والحيوان الفاضل
ظاهر والمرافق حاصلة والحيوان الشرير من أهل الفسوق
والدعارة خامل . فاذا اختل أمر السلطان دخل الفساد على
الجميع ، ولو جهل ظلم الناس حولاً في كفة كان هرج ساءة
أعظم وأرجح من ظلم السلطان حولاً وكيف وفي زوال السلطان
أو ضعف شوكته سوق أهل الشر ومكسب الاجناد ونفاق
أهل القباوة والسوقة واللصوص والمناهبة ، فبال تأمل في هذا
القول وما يرمي اليه من المبدأ والقاعدة الصحيحة من ضرورة
وجود الوازع ولزوم استقرار النظام في الامم والشعوب بالتطبيق
على أحوال سابقاتها ولاحقاتها نعلم ان ما يصلح الامم غير النظام

ووجود السلطة والسلطان بحسب استعدادها وقابليتها وان
 شر ما جلب على الناس ويجلب عليهم الوبال إنما هو الخروج على
 السلطان او عدم اطاعة النظام فيما جل منه او قل ما دام ليس
 فيه ما يحذف بحرية الافراد تلك الحرية التي راعاها روح
 الاسلام وايدها بقواعده الصحيحة وآدابه المنيفة أيما تأييد كما
 قد حافظ على مبدأ المساواة في الحقوق بما لا مزيد على فضله
 فيما يطنطن به اصحاب الآراء المصرية في العمران البشري وان
 تكن مجريات الحوادث كانت كلها تقريباً على العكس مما ترمي
 اليه آداب الاسلام واصوله الصحيحة

ومن احسن مظاهر الطاعة للسلطان من جهة اخرى
 احترامه في ذاته وتعظيمه وتوقيره في شأنه وكل شاراته
 وشارات الامة التي يمثلها في شخصه ثم احترام العمال في وظائفهم
 ومناصبهم ومرا كزهم وجملة القول انه كما وجدت في الاسلام
 الضمانات القوية والقواعد الاصلية لتنظيم احوال الامة في
 شؤونها العامة من قبل السلطان وعماله واستقامة احوالها
 واحواله خصوصاً باقامة العدل والسير على مصالح الامة وبذل
 الجهد في كل ما يؤول الى راحتها وغبطتها حساً ومعنى والبعـد

عن الظلم البتة باقامة الشرع المادل والممانون الحق فقه وجد فيه ايضاً
حيال هذا ولصالح الكافة ذلك الواجب المحتم على الرعية واجب
الطاعة للسلطان والرضوخ لمادل النظام وليس معنى هذا انه
ينبغي ان كل الناس يستشعرون الحب والميل الخالص للسلطان او
النظام بدرجة واحدة سواء بالنظر الى ذاته او بالنظر الى اعماله
العامة وعمله او المبادئ الصحيحة المعمول بها بل المراد به
ان الناس يجب عليهم مراعاة هذا النظام المستوفي وان يقوموا
بالادب الواجب والاحترام اللازم والطاعة الضرورية في الهيئة
للسلطان والنظام وكل ما وراء هذا من تعلق او لفظ وكلاهما
قديم في الهيئات الاجتماعية فربما كان من أولها الضرر ومن
ثانيهما فائدة للسلطان اليقظ لأنه يعلم من ذلك اللفظ او بعبارة
أخرى من ذلك الانتقاد مواضع الضعف والنقص التي تن
منها الرعية وتشتكي فيبادر باصلاحها ورتق فتوقها بمعاونة الحكماء
والعظماء من وزرائه وأرباب دولته ورجال مشورته وهو ما تمتلك
به القلوب حقيقة وتستصفي به السرائر وتصلح به الاحوال لان
الناس بموجب المبدأ الاسلامي احرار واخوة ماداموا غير خارجين
عن العمل بالشرع المشروع والنظام الحق الموضوع قامتلاك

التلويب إنما يكون بهد هذا كله بالمزيد مما يجلب عليهم أسباب الراحة والهناء والرفاهية مما هو في مصلحة السلطان نفسه لأنه يزيد الدولة قوة وثراء والسلطان عظمة ومجداً حقيقياً وإذا كان السلطان كما جاء في الأثر الشريف ظل الله في الأرض فاحربه أن يكون فيثاً وارفاً وضالاً ظليلاً

﴿ الباب السابع ﴾

﴿ أدب النفس ﴾

نفس الانسان المخاطبة - النفس والقلب والروح - الشرور ومداخلها جنود النفس واعوانها - فرق ما بين ادراكات الانسان والحيوان - استصلاح الارادة - أهمية تربية الوجدان - تقسيم أدب النفس
قال الله تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) وقال تعالى (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية) فدل تعالى بهذا على ان تلك النفس الانسانية الكريمة هي التي عليها المعمول في الخطاب وسائر التكاليف وانها القطب الذي تدور عليه عموم أفعال الانسان أي أعمال الجوارح الخادمة ، وكل خطاب القرآن الموجه الى القلب ونحوه « أنها لا تسمى الابصار ولكن تسمى

القلوب التي في الصدور « لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » إنما يراد به النفس الإنسانية الجامعة لمبادئ الخير كله والتي عنها تصدر جميع أفعال المرء الإرادية وما يبطنه في سره ووجدانه (تلك المضغة في القلب أو اللب التي إذا صلت صلح سائر البدن) في كل أعماله ولهذا افرد أدب النفس وتربية الوجدان وتهذيب الأخلاق بالعبادة التامة عنده المتقدمين والمتأخرين وفي الأديان السماوية حتى تستلح آداب الجوارح في كل شؤون البشر الاجتماعية وفي آدابنا مما شراهل الإسلام مما قد أتيت على كثير من أمورها المهمة بالإيجاز في الأبواب السابقة من هذا الكتاب كما رأيت

والنفس والروح والقلب والعقل كلها كما قال الامام الغزالي في الاحياء وغيره قد تراد مترادفة لمسمى واحد هو (حقيقة الانسان) المدرك العالم المخاطب والمطالب ، وعلاقة هذه اللطيفة من النفس الإنسانية واتصالها بالبدن وقيامها بشؤونها من الادراك والحس من أدق ما حارت فيه عقول الاقدمين وطارت له احلام المتأخرين فمن منقّب عن عملها بالدماع ومن قائل انها بالقلب ومن حاك انها جارية في عوم البدن مجرى الدم في

المروق والحقيقة التي لا مصرية فيها أنها « الإنسان » ذلك الكون الأصغر الكادح الى ربه كدحاً فلاقه إما بنفس زكية وإما بأعمال مردية ، ولقد شرح الامام ابن مسكويه من حال النفس وماهيتها وأدراكها وحسها وحركتها في كتابه « الفوز الأصغر » ما فيه متسع لأهل البحث والتنقيب عن حقيقة ذاتنا الانسانية .

ونفس الانسان هي التي تحفظ عليه صور المأومات وهي التي ترد به سائر الموارد في الافعال الاختيارية وما يبطن من كمال انساني وقوي نفسانية اقتضتها الفطرة الحكيمة التي فطر الله الناس عليها لحفظ بقاء النوع فجاءته الأهواء والنزعات الشيطانية من جانبها فكانت في أحوال كثيرة شروراً وأضحت وفائل للنفس شائنة ولقد شرح الامام ابن قيم الجوزية في كتابه « الجواب الكافي » تسرب الشياطين والأهواء الى النفوس ومدخلها اليها بأسلوب غاية في اللطف تفسيراً لقول الله تعالى في القرآن المجيد « رب بما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ولا آتينهم عن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين » فالأهواء والنزعات الشيطانية تأتي الانسان من

صوب كل عمل يأتيه أو قول ينطق به أو نظر يرعى اليه والشروع
أو الذنوب المستلزمة للمقوبات الشرعية والقدرية كثيرة ، أما
الشرعية التي إذا أقيمت رفعت القدرية أو خففتها فهي كثيرة
تتلم من أنواع القصاصات والتعازير الشرعية في حد مثل الزنا
وشرب الخمر والسرقه والقتل ونحو ذلك بحسب الشرع أو القانون
المبني على صحيح مفهومه من قصد الزجر والردع والتخويف
للتستقيم لأفراد الهيئة الامور بما يوافق روح الشرع من جهة
وذوق المصير من جهة أخرى .

أما المقوبات القدرية أو الممنوية فنوعان نوع على
القلوب والنفوس (وقد ذكر الله أمورها في غير ما موضع من
القرآن من الطمس والاعماء والتترك في الضلالة غضباً وسخطاً
الح) ونوع على الأبدان والأوصاف والأموال (وآثار هذه
ظاهرة في فقدان أرباب الشرور والفساد للصحة صحة الأبدان
وللشرف شرف السمعة وللأموال اسرافاً وبداراً) فالقوبة
القدرية تكون على هذا أشد على الانسان لان آثارها
الظاهرة في الدنيا شائنة ويطرصد صاحبها مع ذلك في الآخرة
القصاص الاخرى الشديد ولا سيما تلك الذنوب التي تتجم

عن معاملة الناس بالخيانة والنش والسماية والتميمة والغبية
واغتيال الحقوق لان الذنوب معها خفيت وصغرت لا تخلو من
عقوبة البتة ولكن لجهل العبد لا ينظر بل لا يشعر بما هو
واقع فيه من عقوبة للفيلة الرأكة والغواية الشيطانية المستحكمة
التي تجعله بمنزلة المخدر والسكران ولكن للسكر فكرة
وحسرة واي حسرة ، فيخاف بالعقل ان يستحضر المقوبات
التي رتبها الله سبحانه وتعالى على الذنوب ويجوز وصولها اليه
وهذا انجم واسطة لهجران النفس الرذائل واتقائها المساوي
والشرور ولمثل هذا فليعمل العاملون

فالنفس هي العاملة واعضاء البدن مسخرة لتلك النفس
التي يعبر عنها « بأنا » فهي جنودها الظاهرة وأعوانها المطيعة
من الحواس الظاهرة كالبصر والسمع والشم والذوق واللمس
ثم الحواس الباطنة من الحب والبغض والادراك وهذه وتلك
كلها جنود للنفس وأعوان لها بواسطة أعضاء البدن من اليد
والرجل والعين والاذن والانف والفم والدماغ والاعضاء وهي
إنما تعمل للنفس تحت إمرة النفس فتجلب لها على مقتضى
ذلك إما الخير اذا اعتمدت النفس على حكم العقل الرشيد وإما

الشر اذا كان الدافع هو الهوى لفساد حال النفس وهي كلها
انما تسعى بها منة النفس وتخرجها لأمورها في تحصيل اسباب
المماش والملاذ النورية في هذا العالم الارضى فبدافع الشهوة
المودعة في النفس تسمى الاعضاء في تحصيل الاقوات والارزاق
وسائر أمتعة هذه الحياة الحسية والمعنوية وبدافع «النفس»
المودع الى جنب الشهوة في هذه النفس يحصل النور والدفاع
عنها والحفظ لها وبالإدراك والمقل المسيطر على كل قوى النفس
والمهيمن عليها يتم التمييز والتميز أى العلم بالنافع والعلم بالضرار
قال الامام أبو حامد الغزالي في الاحياء ما يحصله ولقد
يعبر عن هذه القوى أو الجنود الباطنة للنفس من ذلك الباعث
والمستحث في الشهوة طلباً لجلب النافع ودفع الضرر «بالارادة»
للاول و«بالقدرة» للثاني لانه المحرك للجنود النفسانية المبثوثة
في الاعضاء ولا سيما العضلات منها والاوراق أما القوة الثالثة
قوة الإدراك فهي المدركة العارفة بالاشياء بواسطة وسائله
وآلاته من الحواس الخمس الظاهرة البصر والسمع والشم
والذوق واللمس وهي مبثوثة في أعضاء معينة مرتبطة بالاعضاء
الرئيسة التي تسكن قوى الإدراك الباطنة من تجاوىف الدماغ

وتلايف جوهره المكنون من الخ الانسانى والى هى مصدر
 حركات البدن كله وسبب ادراكاته العظيمة و « مستودع »
 معاوماته الثمينة ومستصدر ارادته وقدرته وتنفيذها بواسطة
 سائر أعضاء بدنه وهى مكان « نقد » افعاله وميزان اعماله
 بواسطة ذاك الوجدان الانسانى الشريف وضميره المنيف أو
 بعبارة أخرى عقله الرشيد الذى يميز بين الخبيث والطيب
 والعت والسمين والخطأ والصواب والخير والشر فاذا وفق
 الانسان الى اكساب هذا الوجدان وذلك العقل مبادئ
 الاشياء على حقيقتها واستفادها على صحتها وما يتجرى فيها
 لبوغ السعادة الحقيقية وصرف لحظاته وخطراته وامياله ومحباته
 الى الخير المحض استصلحت ولا ريب كل احواله واعماله
 واستقام عوده فصلحت من وراء هذا احوال المجموع فقلت
 المعاصى والشرور وتجنب مسترذل الذنوب والعيوب ولقد
 افاض الغزالي وابن قيم الجوزية فى كتابيهما السالف ذكرهما
 فى هذا المعنى بما لا مزيد عليه ، والخلاصة ان الانسان قادر
 بما وهب من قبل الخالق تعالى من موهبة العقل والادراك
 والاذواق الدقيقة العالية على اصلاح احوال نفسه المودع فيها

كل اسباب الخير وكثير من ذواعي الشر

وانه لئن شارك الانسان كثير من الحيوانات العالية في الادراك كما يتبين للناقد الحكيم في سلائق الحيوان وطبائمه فلقد يرى القرد الصغير الثعبان مثلاً فيرجف منه ويفزع « وترى الشاة الصغيرة الذئب فتضطرب وتهرب فهذا الادراك أو الشعور الفريزي وان شارك في كثير منه الحيوان الانسان الا ان مما يختص به الانسان وهو المشرف خلقاً وخلقاً إنما هو الاحساس الباطني المبني على الامور العقلية الخبيصة التي تدرج في ارتقاها العقل بارتقاء الانسان بكيفية مخصوصة وتقدم فيها بما وهبه الله من سمو المنزلة والقوة العظيمة التي أشرنا الى مستودعها العظيم من نفس الانسان وتركيب عقله فان هذه أمور وراء المحسوسات وما في حكمها من السلائق الحيوانية ولا يشارك فيها الحيوان الاعجم الانسان مهما رقى بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل البشري اذ يحكم هذا العقل الكريم مثلاً انه لا يتصور ان يكون الشخص في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض الاشخاص فحكمه على سائر الاشخاص

إنما جاءه بطريق الحل والقياس الصحيح وهو زائد على ما أدركه
 بالحس وإذا فهمت هذا في العلم الظاهري الضروري للعقل
 البشري فهو في سائر النظريات المدركة للانسان أظهر وأجلى .
 أما الارادة وما ينبغى أن تستصلح له من وراء العلم
 بالمبادئ على حقيقتها فانه اذا أدرك المرء بالعقل عاقبة الامور
 وطريقة الصلاح فيها انبعث عن ذاته شوق ورغبة وعزيمة
 بالميل التفريزى الى الخير المودع فيه الى جهة المصلحة والى تعاطي
 أسبابها وذلك غير ارادة الشهوة العمياء وبعبارة أخرى غير ارادة
 الحيوان الاعجم بل يكون ذلك على ضد الشهوة أو بالتالى بحسب
 ما هو الصواب فيها لما يجد من الزواجر النفسانية المستفادة
 من صحة المعلومات وحسن الافواق التى صارت له ملكة
 راسخة بحكم العادة فى مجتمعه واستشعر وجدانه بفضلها وثمرتها
 ولذاتها الصحيحة .

واذا تقرر هذا علمت مقدار أهمية تربية النفس وإشعار
 الوجدان منذ الصغر بمبادئ الاشياء على حقيقتها وحقائق
 الامور على أفضلها وانكشف لك المعنى السامي المودع فى قوله
 تعالى « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » فهذا

بخصوص ما أودع الباري تعالى في النفس البشرية من القوى
وركب فيها من الشهوات للحكمة المطلقة ثم « دقيق معنى
ما عطف عليه بقوله عز من قائل « قد أفلح من زكّاهها وقد
غاب من دساها » فهذا إشار وتنبية بضرورة القيام بتربية
النفس وتهذيبها حتى لا تخيب ولا يشقى المرء بها في الدنيا
والآخرة ولتمام الرحمة بعث تعالى الأنبياء والرسل الكرام
في الأمم مبشرين ومنذرين « لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل » ولقد تقدم في الحديث الشريف « بعثت لأتم
مكارم الأخلاق »

وتربية النفس تنقسم الى قسمين قسم يتعلق بالجوارح
ووظائفها وقسم يختص بما يقوم خاصة في السرائر والضمائر
وتظهر مع ذلك آثاره بواسطة الجوارح وفي أعمالها - وكل
أداء بالذي فيه يوضح - وهذا القسم أهم من الأول بل هو
الأصل في الباب وانه للغرس الذي يثمر كل الثمار إما فاكهة وأباً
وإما حنظلاً وشوك قتاد ، فاذا صلحت تلك المضغعة من النفس
أو القلب صلحت كل أعمال جوارحنا وان قلت « واذا فسدت
منا القلوب والنفوس فهذا لعمرى ما يفسد معه كل شأن

الإنسان وهما تعلم وسما وهما ارتفعت منزلته فانه ليكون الماسقط
في مهواة من الضعف والشر تقاوم آثاره عليه في الدنيا وانه
ليترصده عليه في الآخرة كما توعد الله تعالى المجرمين عذاباً
شديداً ولهذا قال عمر بن الخطاب «تأدّبوا ثم تعلّموا» وهو لا يعني
ولا ريب بذلك غير أدب النفس قبل أدب الجوارح :

هذا ولقد تقدم في الأصول السابقة جملة مما يختص
بأدب الجوارح في الاعتقادات والعبادات والمعاملات الى آخر
ما صر بك على مقتضى قواعد ديننا الاسلامي الحنيف وأصول
آدابه السامية وما جرى به حكمه الظاهري فيها أما هذا القسم
من « أدب النفس » الجميل القدير العظيم الخطور فيقسم الى
قسمين قسم يتعلق بشأن الخلق فيما بينهم لتصالح به كل أحواضهم
وقسم يجب ان يتحلى به المرء مع الخالق تعالى مصدر جميع الخيرات
ومفيض كل النعم.

رب ان الهدى هداك وآياك نور تهدي به من تشاء



﴿ القسم الأول ﴾

﴿ أدب النفس مع الخلق ﴾

قوى النفس الحيوانية والممتازة — العقل الرشيد وسلطانها في
 الدفع — مصادر ادب النفس والعقل — الاخلاق وتهذيبها — التربية
 النفسية — شؤم الذنوب والرزائل — آثار الذنوب اللاحقة — امهات
 الفضائل واطرافها من الرذائل — طائفة من الفضائل — الاخلاص —
 اداء الامانة — البشر — الترفع — التواضع — الحلم — الرحمة —
 السخاء — سلامة النية — الشجاعة — الصبر — الصدق — القناعة —
 كتمان السر — المحبة والود — المنافسة — الوفاء — الوقار — جملة
 الاخلاق الفاضلة ومحاسنها — استئصال الرذائل — رياضة النفس —
 هل يمكن تغيير الخلق — مطية النفس .

ترك نفسك يوماً وهوأها سعى لها في رداها

لقد صلب الانسان لكمال خلقه الحيواني ثلاث قوى كما
 تقدم الشهوة والغضب ثم حب الذات أي الاثرة لحفظ النوع
 وامتاز عن باقي جنس الحيوان وفضل وكرم من بينها بتام العقل
 أو عظم الادراك كما سلف ، فهذا العقل المخصيص بنا سلطان
 حاكم وباقي القوى مسخرة له فمن غلب على عقله شهوة شهواته
 البهيمية فقد التحق بافق البهائم الموصوفة بالشراسة (اولئك
 كالانعام) ومن غلب غضبه عقله فقد صار الى مرتبة السباع

الكاسرة والحيوانات المفترسة ومن خبثت نفسه وفسدت
سرائره واستعمل عقله واستخدمه في المكر والخداع والغش
والرياء (يخادعون الله وهو خادعهم) فقد انطوى على المردة
من الشياطين ، ومن ساد عقله الرشيد كما هو المراد منه كل
قواه الاخر فجري في تسخيرها بالاعتدال والحكمة فاز بكمال
الانسانية واتصف بأجل مبادئها وأجل صفاتها الممتازة وصار
من ثمَّ اخرى بأن ينتظم في سلك الملائكة المسكرمين والبررة
المقربين من الله تعالى «واولئك هم المفلحون» في الدنيا والآخرة .
واذا كان هذا العقل الرشيد هو السلطان الحاكم المدبر
لعموم الافعال الانسانية بالحكمة والسداد لهذا كان قابلاً ومستعداً
تمام الاستعداد لأن يؤتي الحكمة ولأن تنطبع فيه على اكمل
صورة صور المعلومات ووهب لهذا قوة التمييز والتفريق بينها
بحسب النظر الصحيح لتلك الهداية الصمدانية والنورانية الربانية
المودعة فيه وهي التي ترتب المعلومات وتزواج بينها وتقارن
وتبنى الاحكام وتحصل النتائج متسلسلة والافكار متناسبة آخذاً
بعضها برقاب بعض أو مختلفة بحكم اختلاف العلل والاسباب
ولهذا كره الوقوف على المعلومات الواحدة والاسباب الواحدة

بالتصلب فيها خصوصاً فيما يتعلق بالمعلومات المستفادة بالتقليد
الاعمى دون اطلاق العقل وتوسيع الفهم لارتياض الحقائق
واقتران الشوارد لأن هذا يوجب الجمود بل التفتقور لرسوخ
الامور التقليدية ونشرها العقول فلا تقدر على الخلاص من
ربقة الاسر والضيق وبالتالي لا تتوق ولا تنشط الى الاخذ بما
هو من مزايا اللب وفضائل هذا العقل البشري وتطلب العلم
وحسن الاختيار بحسب مقتضيات الظروف العمرانية
التي وان حصلت بالتدريج لكنها تظهر فيها الفروق العظيمة
بالنسبة الى احوال الجامدين بالقياس على احوال غيرهم من
الهيئات التي تشد الرقي ولا تأسر نفوسها الامور التقليدية مما
ذمه الله تعالى في حال الامم التي قالت « انا وجدنا آباءنا على
امة وانا على آثارهم مقتدون » وهذا باب واسع قد يطول فيه
الشرح فانرجع الى المقصود بالذات

لقد يكسب هذا العقل الرشيد بموجب الادب الاسلامي
حقائق المعلومات والمعارف النفسانية لينتفع المرء بها دنيا واخرى
في نفسه وجوارحه الاخذ بما جاء في الكتاب والسنة وفهم
معانيهما ثم استخدام العقل فيهما بالتدبر والتفهم ومعرفة ما ينطوي

طلي هذا من حكمة وأسرار وآداب ورقائق وهذا يقتضي دراسة
 مبادئ العلوم العقلية كما يقتضي الاستعانة بالمعارف الآلية وما
 الداعي الى عزل العقل البتة اكتفاء بالتقليد الا جاهل ، وما
 المكتفي بحجره العقل في مثل تلك الاحوال دون التنوير بانوار
 الكتاب والسنة الا مفرورا . وجملة القول أن العلوم العقلية
 والطبيعية فيما يقصد بها هاهنا لفائدة البشر كالأغذية والعلوم
 الشرعية كالادوية والشخص المريض قد ينقص بالفداء اذا فاته
 الدواء فلماذا كانت امراض النفوس لا سبيل الى معالجتها على
 أحسن حال وأفضلها الا بالادوية المستفادة من طب الشريعة
 وآدابها المستنبطة منها بالبصائر النيرة في امور الاعتقادات
 والعبادات والاعمال لتنظم أحوال النفوس وتصلح وتتصف بالخير
 قلوبا وقالباً وتحيط مع ذلك بالاشياء على حقيقتها الامر الذي يعود
 نفعه على المرء في نفسه وهيئته ومئات عمله فيها وارتباطه بها .
 هذا ما يختص باكساب العقل لدينا المعلومات الشرعية
 والعقلية اللازمة له حساً ومعنى والتي هي كالأساس للتربية وأمر
 ما يسمونه تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق التي افترق فيها
 لاهيتها الى فرق ومذاهب ولا غرو وهي أول متحرى الباب

باب ادب النفس عند سائر الخلق . ولقد عرفوا الخلق بانه عبارة
عن الهيئة الراسخة في نفس الانسان التي تصدر كل الافعال عنها
بسهولة من غير ما حاجة الى كبير فكير أو رؤية لسابق الاعتياد
عليها بالتكرار للنفس فيها وإفهامها فان كانت تلك الهيئة في
النفس بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا
بحسب العرف سميت « الخلق الحسن » واذا كانت بعكس ذلك
دعيت « الخلق السيئ » وانما اشترط الرسوخ لتلك الصفة أو
الهيئة ليحكم برسوخ الملائكة والعادة واسم الخلق ولا عبرة بالاعراض
الطارئة سلبا وإيجابا في الافعال إذ العبرة بالاتصاف الحقيقي
الملازم للنفس ، فالخلق اذن هو عبارة عن هيئة النفس وصورتها
الباطنة وجمالها وجلالها في كمالها الاتصافي فيما ترشح من انائها
على سائر القوى وافعال الجوارح بسهولة . واذا كانت الجمال
الظاهري للصورة الادمية يقتضي تناسب أعضائها واعتدالها
فلاجمال الباطني مثل هذه الحال أيضا من حيث لزوم التناسب
بين قواه حتى يتم البرء حسن الخلق ، وهاته القوى اذا اعتدلت
وتناسبت حصل ولا ريب حسن الخلق أو اعتدال المزاج أو
ملكه الاذواق السليمة ولحسن حظ النفوس انها قد جيلت

قابلة لهذا الحال من قبول التهذيب متى ما مهدت لها وسائله
وتدرجت عليه شرعياً وعقلياً على الوجه الآنف

وهذا ليس بالذي ينال على أحسنه الا بالتربية والترويض
على محاسن الاخلاق وكريم الشيم لكي تخدم سائر القوى ذلك
السلطان من قوة الفكر والعقل الرشيد فتحسن من ثم الارادات
وتمتاز الرغائب ، وأفضل ما يكون من هذه التربية ما يقع
منها في الصغر وزمن الحداثة ولدانة المود وهو الاسر الكريم
الذي أجمع على جودته وضرورته السلف والخلف لان نفس
الصبي جوهرة نفيسة وجمانة خالية من كل نقش واثار لصورة
ما فهو لهذا أسرع قبولاً واسهل ميلاً لما يمال اليه عوده، فان
عود الخير بالافعال والقدوات الحسنة العملية في العائلة والمجتمع
وعلم نظرياً وبين له حكمه وحكمته سعادته في الدنيا والآخرة
وشاركة أبواه ومعلموه في الاجر عند الله ، وان اعتاد الرذائل
والشرور وأهمل شأن تقويم نفسه شقي ووقع في الآثام والذنوب
وكان الوزر في رقبة أبويه كما في رقبة بل في رقبة الهيئة الاجتماعية
التي رضيت لاحد اعضائها به

وشؤم الذنوب ومصائب الرذائل النفسانية لها في النفوس

آثار رديئة من حيث عوقلة الأحوال ومغاب سميئة في سائر
الشؤون والأفعال فضلاً عما يتربص أصحابها من القصاصات من
الشرع القائم والوعيد بالمقوبات الأخروية مما يظهر أثره في
الحياة الدنيا أيضاً وما استندفعت النعمة بمثل الطاعة وتحسين
الأعمال والأخلاق مما هو مجلبة كل خير كما أن أضرار ذلك
من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر ، وقد رتب سبحانه وتعالى
حصول الخيرات في الدنيا والآخرة وحصول السرور والسعادة
فيهما في كتابه العزيز على الأعمال ترتيب الجزاء على الشرط
والمعامل على العلة ، فالأمر صريح والشأن ظاهر في ترتيب
الجزاء بالخير والجزاء بالشر لصالح أحوال البشر في دنياهم
واتمام سعادتهم في آخرهم (الآيات القرآنية في ذلك كثيرة)
ومن الجهل الفاضح والشر الواصل ارتكاب الذنوب ومغالطة
النفس في التلوث بالذائل انكلاً على عفو الله ومغفرته والتسويق
في أصراً لصالح حال النفس العائد نفعه على ذات المرء فالتوبة
النصوح وقوة الإرادة بالرجوع عما عنه نهى وزجر أمر صريح
الوجوب بنص الكتاب والسنة السمحة

ولقد عدد ابن قيم الجوزية الآثار القبيحة للذنوب والذائل

اللاحقة آثار اضرارها بالمقاييب والنفوس والأبدان وكل الشؤون الاجتماعية في الدنيا فضلاً عما هو مرتب عليها من القصاصات في الآخرة فمنها حرمان العلم وفساد العقول والنفلة في الشؤون، ومنها ظهور الفساد في الأرض وقلة البركة في الارزاق والاحوال، ومنها حلول النقم والخوان والذلة والصغار والاحتقار من الناس، ومنها التخاضل القوي وتفكك الروابط بين أفراد الأمة هذا فضلاً عن العقوبات المعنوية في النفس والوجدان من حقوق النعم والعكس وحلول الامراض البدنية والنفسانية ثم قطع الامداد والطرد من حضرة الله ثم العقوبات الاخروية من العذاب ودخول النار الى آخر ما فصل وبين وشرح من ذلك ابن قيم الجوزية والامام الغزالي وغيرهما

أما محاسن الاخلاق او الفضائل النفسانية فيجب أن تشدد على وجه عام لعموم أبناء الأمة بموجب المبدأ الاسلامي وبالحدوث الشريف « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » والآثار في الباب باب وجوب التخلي بالفضائل ومكارم الاخلاق في كل الشؤون وفي جميع الاحوال مشحون بها الكتاب والسنة ناهيك عما هي لازمة له في شؤون البشر بموجب كل المبادئ الانسانية

والاحوال الاجتماعية ليسعد البشر ويضطروا فيما هم بصدد من
الاسباب والاعمال مما يجعلهم رحماء بينهم متضامنين متكاتفين
في الشهور والاحساسات وكل العواطف الكريمة الفردية
والقومية حتى تشمل لهم أمور الحياة وتصفو لهم الموارد من
الاكدار والخبثات قياماً بالواجب الانساني لنوال الكمال
الانساني وتحريراً للعقل والفضل الانساني لان حد العقل كما قال
ابن حزم استهال الطاعات والفضائل وتجنب المعاصي والذائل
ولقد نص الله تعالى في غير ما موضع من كتابه على أن من عصاه
لا يعقل ومن شر العصيان الاتصاف بالذائل الاجتماعية بين
البشر خصوصاً فيما يتعدى ضرره الى الغير والدين المعاملة

وأهمات الاخلاق التي ذكرها اخلاقيو الاسلام^(١) اربع
« الحكمة » و « الشجاعة » و « العفة » و « العدالة » قال الشيرازي
وهي أوساط طرفاها البعيدان وذيلة « فالجزيرة والبله » طرفا
الحكمة و « الأهور والجبين » طرفا الشجاعة و « الشره والجود »

(١) يراجع أيضاً على هذا الفصل كتاب الاخلاق للشيخ محي

الدين بن العربي وتهذيب الاخلاق للحكيم ابي زكريا يحيى بن عدي
وتهذيب الاخلاق لابن مسكويه

طرفا العفة و « الجور والمهانة » طرفا العدالة . ولكل من هذه الفضائل والرفائل فروع وحدود وتعميمات وطرق استفادة واكتساب وطرق علاج في الاضداد وطرق لدوام حفظ صحة النفس كما تحفظ بالوسائل الصحية الحسية الابدان وتوقى من الوقوع في الاصرار والاصاب . ولقد استوفى ذلك كله في كتب الاخلاق الاسلامية وقال الامام الراغب الاصفهاني في كتابه الذريعة الى مكارم الشريعة حكمة نفيسة في اكتساب الفضائل قال « حق الانسان في كل فضيلة أن يكتسبها خلقاً ويجعل نفسه ذات هيئة مستعدة لذلك سواء أمكنه ان يبرز ذلك فعلاً أو لم يمكنه وذلك بان يكون على هيئة الاسخياء والشجعان والحكماء والعدل وإن لم يكن ذا مال يبذله ولا عرض له مقام تظاهر فيه نجده ولا معاملة بينه وبين غيره تبرز فيها عدالته فقد قيل لبعض الحكماء هل من موجود يعم الورى فقال نعم ان تحسن خلقك وتنوي لكل أحد خيراً وقال عليه الصلاة والسلام « انكم ان تسموا الناس باموالكم فسموهم باخلاقكم »

قلت ان للفضائل فروعاً ولوازم ولقد عدوا منها ما ينيف

على العشرين خلقاً حسناً لا يمكن للانسان ان ينكر فضلها في كل أين وأن أو أن يقدح في نعمها وثمرتها أو يدعى عدم لزومها والغناء عنها في الحياة الالهية والاجتماعية وإن تفاوتت فيها المهم وتباينت العزائم بعد ان أجمع الاولون والآخرون على ضرورتها ووجوب تحريرها من جهة العقل فذلك الذي هو حد الفضائل ومن جهة الشرع فذلك الذي يهدي الى المحاسن وهاك هي مع اضدادها مرتبة على حروف المعجم ليسهل تناولها والاستدلال عليها .

الاخلاص — هو عماد كل الأعمال واكرم أس في جميع الاحوال فمن أخلص في عمله وفي حاله كله بين أبناء هيئته كان الناجح في كل شؤونه الظاهر بمرغوبه الظاهر بين اخوانه باحسن الفضائل وأجمل الشيم الاجتماعية التي يجب ان يتحلى بها الانسان لتصفوا له موارد الحياة والموارد الانسانية وفي الحديث الشريف « ما من عبد يخلص لله العمل أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » وسيأتي مزيد بيان لهذه الحلة الكريمة في قسم أدب النفس مع الخالق

أداء الامانة — قال الله تعالى يصف المدوحين بهذه

الفضيلة عنده « والذين هم لآماناتهم وعهدهم راعون » وأداء الأمانة قرين الوفاء الآتي ذكره وإنما يزيد عليه بأنه التعفف عما يتصرف فيه الإنسان من مال الغير بأحد التصرفات الممكنة من مثل الوكالة والوصاية والقيام على القصر والمعتوهين والسفهاء وتولى الاوقاف والوظائف العمومية ونحو ذلك فكل هذا يدخل التعفف وأداء الأمانة فيه في باب أدب النفس الجميل دنيوياً وديناً وما الخيانة في مثل تلك الأحوال ونحوها الا الشر المردي في النهاية بصاحبه ، المفسد عليه جميع أحواله في المجتمع ، المثل لشرفه وصيته ، المشهر له باحط الاوصاف . وكفى بالخيانة أثماً مبيناً وعاراً وشناراً قد لا يحصى ولقد جاء في الحديث الشريف « إن أحببتكم أن يحبكم الله ورسوله فأدوا إذا أتمتتم واعدقوا إذا حدثتم واحسنوا جوار من جاوركم »

البشر وطلاقة الوجه — هو ذلك الخلق الكريم الذي يكسب صاحبه محبة الخلق وإتقنهم له وعظمهم عليه وهو خلق مستحسن من جميع الناس يكسبهم كل خير بمكس عبوسة الوجه وتقطيعه — ولقد كره في الحديث ان الله يكره المعبس في وجه اخوانه — الدال على سوء الخلق وشراسة الطباع

والكبر غالباً ، والبشر وطلافة الوجه من أجل أنواع البر قال
الشاعر :

لعمرك ان البر شيء هين وجهه طليق وكلام لين
الترفع والتصون — هما من أجل الخلال البشرية ويجريان
في تجنب الهزل والقبیح وذكر الحنا وثقل الازاح وسخيفه وخفة
الاحلام ونزق النفوس والانتقباض عن ادنياء الناس في المعاشرة
والمخالطة وفي الترفع وعزة النفوس وشتم الافئدة والتحرز من
الميشة الزرية واكتساب المال وطلب الحاجات بالمداهنة والتماق
والرياء والخداع فان هذا كله وأمثاله مصيب شائن لا يأتيه الا
سفلة الناس وأصحاب النفوس الدنيئة وبذل ماء الوجوه وتغفير
الخدود ولقد جاء في ذم ذلك آثار جليل وحكم حكيمة واقوال
للسلف وامثال غاية في السداد فيجدر بالمرء العاقل والمسلم
المتأدب بأدب الاسلام بل بالآداب المصرية ان يصون نفسه
ويترفع بمخلقه وأن يزن اموره بالحكمة ويجري في شؤونه بالعقل
مترفعاً متصوناً وهذا لا ينفي مبدء التواضع الآتي . لانه بون
ما بينهما

التواضع — خاق جميل ممدوح وخلة شريفة لا تريد

صاحبها الا رفعة في الهيئة وعجبة ومودة بين الناس لان ترك
 المباهاة بالجاه الحسي والمعنوي أسر محمود من ذوي الجاه
 خصوصاً أما الكبر والفطرية والاستهانة بالناس والترفع عليهم
 بحق وبغير ما حق يوجب على نحو ما سلف في الترفع والتصون
 المطلوب عن الاحوال المزرية مما يجعل الناس يزدرون المرء
 ويمقتونه من أجله فأمر مضر به ضرراً يلحق لان من يبتضه
 الناس سمات أحواله فضلاً عن ان المرء بالتشبث بالكبر
 والاعجاب بالنفس يبعده ذاك عن اكتساب الآداب والمحامد
 الصحيحة ومن لم يستزده منها بقي أبداً في نقصه وانحطاطه دون
 نوال الكمال وما أخربه غير كبره وصفه ولقد جاء في مدح
 التواضع وضم الكبر آثار جليلة وآيات بينات من الكتاب والسنة
 وآثار السلف واساطين الحكمة بما فيه اجمل الموعظة الحسنة
 جاء في الحديث الشريف « التواضع لا يزيد العبد الا رفعة
 فتواضعوا يرفعكم الله تعالى ، والعفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا
 يعزكم الله تعالى ، والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا
 يرحمكم الله عز وجل » وقال تعالى « ولا تصبر خدك للناس ولا
 تمش في الأرض مسرعا »

الحلم — قال الشاعر :

بحلم وعلم ساد في قومه الفقى وكونك اياه عليك يسير

فالحلم — والحلم بالتعلم كما في الحديث الشريف من اكرم الحلال وهو اصل من اصول الدين وقد وصف الله تعالى به نفسه وأتى به على أنبيائه فهو من أجمل عزايم الصبر واجل فضائل العقل والاناة والتوعدة المحبوبة وعلو المهمة الآتي ذكرها، ولقد حدوا الحلم بأنه « ترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة عليه » وهو حال محمود ما لم يؤد الى ثلم الشرف أو فساد الامور ويضاد هذا الخلق من الرذائل « السفه » وكفى بهذه الاسماء والنعوت من السفه والسفاهة والسفيه شيناً والسفه سرعة الغضب والطيش من يسير الامور والمبادرة بالانتقام والطيش أو الحق والسب والشتيم وياله من خلق ذئب وسفالة في النفوس القبيصة الجاهلة شائعة في الطبقات النازلة خصوصاً . فاستصحاب الحلم والتعلم والتوعدة والتثبت بذلك كله إنما هو من أفضل الاحوال الجميلة والاخلاق الجميلة التي يجب ان يتحلى ويخلق بها في الهيئة الاجتماعية . ولقد اشتهر عن كثير من ذوي المقامات الجميلة أنهم ما اكتسبوا المجد

والسؤدد والمدح والثناء إلا من استعصم بهم هذه الفضيلة فضيلة
الحلم فظفروا بها ونجموا في أعمالهم وتديراتهم كما اشتهر عن
معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وغيره كثير

الرحمة — وقد وصف الله بها نفسه في كثير من المواضع
في القرآن المجيد والذكر الحكيم فيجدر بالإنسان ان يتصف
بالرحمة ذلك الخلق الكريم والفضيلة الانسانية العظيمة من
الشفقة والحنان والمطف على الاخوان ومع سائر أبناء جلده
بل عامة مخلوقات الله تعالى فالشفقة مطلوبة والرحمة واجبة
والراحمون مرحومون من الرحمن مشكورون من الناس .
والرحمة أرفع في النفوس اذا كانت من الاكابر الى الاصاغر
ومن الاقوياء الى الضعفاء وفي الامة بين بعضها والبعض مما
هو من احسن وأجمل مظاهر التضامن والتضافر للتماسك
المطلوب فيرحم القوي الضعيف ويوقر الصغير الكبير ويواسي
الواحد المهدم . أما القسوة والشراسة والاثرة والتخاذل والتجافي
وعدم الرحمة والشفقة فمن الخصال المحققة والفعال المضیعة التي
لا توجب لصاحبها في الهيئة إلاّ ولا ذمة ولا جزاء ولا شكوراً
فاذا ما منيت الامة بعدم الرحمة وبليت بالتقاطع والتدابر وغلطرة

النفوس (خلافاً لما جاء في الحديث مثل المؤمنين في تواددهم
 وتراحهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر
 الاعضاء بالسهر والحمى وفي الحديث الآخر المسلمون كالبنيان
 يشد بعضهم بعضاً) فاذا ما منيت الامة بذلك فلن يكون بين
 افرادها غير الكراهة والبغضاء والحسد والسخط وان وجد شيء
 من الميل والعطف فبطريق المداعنة والرياء نقافاً وليست تكون
 في شيء من كسب الاحترام الصحيح والمحبة الحقيقية المبنية على
 تبادل المحبة بالاخلاص والصدق الآتي من قبل الرحمة الحقيقية
 والناج عن الشفقة والحب الجالس المتبادل من أجلها
 بالاخلاص . فمن خص بهذه الخلة الكريمة من الرحمة والشفقة
 فقد فاز بأجل شعور الانسانية وحظي من أجل ذلك بين أهله
 وناسه وعموم أبناء هيئته بأجل الأرب وأفيد الآداب
 الاجتماعية .

السخاء - هو بذل المال عن قدوة في حقوقه ووجوهه
 الاجتماعية المفيدة وقد تقدم شيء من ذلك ، وهذا الخلق
 مستحسن ما لم ينته الى السرف والتبذير فالاعتدال واجب في
 كل الاحوال كما ان البخل والشح والضمن يمد يد الاعانة والرفد

والمساعدة في وجودها المطالبة شرعياً واجتماعياً مذموم لانه يحرم الانسان مما لا ينبغي أن يحرم نفسه منه في هيئته في حال ميسرته وغناه ومقدوره على اكتساب المحامد والمفاخر الاجتماعية بواسطة ماله بين هيئته ولله ما أجزل معنى الحديث الشريف « السخي قريب من الله قريب من الناس والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس » ولا ريب أنه يقصد بهذا القرب ما أشرنا اليه من الجهة النفعية المثمرة للمحامد

سلامة النية وحسن الطوبة - وهو اعتقاد الخير لكل الناس ومعاملتهم بقلب سليم وهو من الاخلاق المرضية الواجب التحلي بها دينياً ايضاً وتنبك عن الحبث والغيلة والمكر والخديعة تلك الصفات التي هي من شر ما يجنى المرء بها على نفسه في سائر المصاملات وان ظهر له أنه الراجح الناجح بتلك الخصال الذميمة بادئ بدء لكن لا يلبث من يتصف بها ان يرى الناس وقد علموا بخبث طويته وقبح سريره احتقروه وازدروه وتجنبوا معاملته بل ربما كالوا له بما يكيل لهم به فلا يعود غالباً ينجح بينهم او يظفر منهم بطائل الا بمقدار ما ينتفع به منه في

المجتمع فضلاً عن الانتقاص الادبي والسمة الرديئة « ولا يحق
المذكر السيء الا بأهله »

الشجاعة — الشجاعة الادبية من خير ما تتحلى به النفوس
وتتجج به كل الشؤون اذ لحوار العزيمة والجنن الادبي ضررها
البليغ في نفوس الافراد بما لا يمكن حصره ، والشجاعة
الحسية من أفضل الصفات لان الثبات عند المكاره والنوازل
أمر مطلوب لسلامة الحياة البشرية والذود عن الحياض ولقد
قال الشاعر العربي القديم

ومن لم يزد عن حوضه سلاحه يضرس بانياب ويوطأ بمنهم
وليس للمرء أفضل من سلاح الشجاعة مادامت غير
بالفة حد التهور وكذلك الحال في الشجاعة الادبية من حيث
قول الحق والصواب غير هيب ولا وجل إنما يكون بمراعاة آداب
لها وشروط تبعاً للنظام المرعى ولقد كان للمسلمين هذه الملكة
ملكة الشجاعة الادبية على أشدها في العصر الاول ولكنها
تلاشت من نفوسهم شيئاً فشيئاً تبعاً للتقلبات والتغيرات
الشديدة التي أبعدت النفوس عن مبدأ الحرية والمساواة
الاسلامية حتى أضحت في أخريات الايام كلاً شيء الامر الحري

بان يرجع اليه طلباً لمظاهر الحياة الاجتماعية الصحيحة وسورية
 الافكار الفريدة وفي الحث على هذه الشجاعة الادبية جاء في
 الحديث « لا ينبغي لا صريء شهد مقاماً حق الا تكلم به فانه
 لن يؤخر اجله ولن يحرمه رزقه »

الصبر - الصبر عند الشدائد وهو خلق مركب من
 الشجاعة والوقار ومستحسن جداً في كل الامور اما الجزع والقلق
 والاكتار من الاضطراب بحيث يصير المرء كما قال الشاعر
 كريشة في مهب الريح طائفة لا تستقر على حال من القلق
 فليس بمفيد صاحبه ولا هو بالمفنى عن الصبر فتىلا في
 التدبير واستنباط الحيلة بالثبات والاجتهاد بالحكمة لدفع ضرر
 الشدائد وتذليل المصاعب واحتمال المكاره والتماس المخرج وهذا
 لعمري ما يسمى اخلاق العصر بالثبات والثبات والصبر مترادفان
 هنا على ان للصبر فضلاً في كل الامور وهو مطلوب دينياً في
 كل الاحوال وعقباه محمودة في احتمال تصارييف الاقدار الجارية
 على الانسان التي يعد الجزع فيها عصياناً وسخطاً على مقدور الله
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « في الصبر على ما تكره خير
 كثير » وقال « الصبر والاحتساب خير من عتق الرقاب ويدخل

الله صاحبهن الجنة بغير حساب » وقال بعض الحكماء « الصبر

باب العز والجزع باب الذل » وقال الشاعر الحكيم

الصبر أفضل ما اعتصمت به ولنعم حشر جوائح الصدر

والصبر صبران صبر على الاقدار وصبر على الاعمال وسيأتي

زيادة شرح على الاول في قسم أدب النفس مع الخالق تعالى .

الصدق - والصدق منجاة من المطب - وهو ذلك الخلق

الكريم والحلة الجميلة من الاخبار بالامور على حقيقتها والجري

في كل الشؤون بموجب أدبها والمؤمن كما في معنى الحديث

الشريف اذا قال صدق واذا وعد أوفى - والصدق مستحسن

من كل الناس وخليق بمن يتصف به ويشتهر ان يكتب

احترامهم وثقتهم به واجلالهم لمقامه مقام لسان الصدق أما

تقيض هذه الحلة من الكذب فمن اقبح الرذائل واخس وأردأ

الخصال المفسدة الاحوال المضيق للحقوق في مثل شهادة الزور

والبهتان والحنف الكاذب فانها كلها حرام ومن أشأم الخصال

التي يتخلق بها امرؤ سفلت نفسه وانحط خلقه ، ويدخل في

باب هذه الرذيلة بل هو من شر الكذب « النية » و « النيمة »

« والسعاية والوشاية » وبالله ما أقبحها وأسوأها من صفات

ذنبه وغصال رديئة تفوق بالضرر على المتصف بها اكثر مما قد
تضر بمن عداه وكتب التاريخ والمحاضرات الاسلامية مملوءة
بالمطامير البالفات مشحونة بالمبر القارعات ناهيك انه قد
تضافرت النصوص الدينية الصريحة والبراهين العقائدية الرجحية
على سوء مقبلة من يتصف بالكذب وتبيح حال من أكل لحم
أخيه ميتاً او شهد شهادة الزور الى آخر ما في الباب من تلهم
الاذيل الذميمة والخصال السخيفة التي لا تقوم عليها مصالح البشر
الحقيقية البتة ولا تضر الغير بمقدار ما تضر أصحابها في الهيئة
فضلاً عما يترصد المتصف بها من العقاب الشديد يوم ينفع
الصادقين صدقهم

العدالة - هي التقسط اللازم للاستواء في جميع النفعال
وكل الشؤون واستعمال الامور في مواضعها وبأوقاتها وفي
وجوهها وحقوقها وقد مضى شيء كثير مما يتعاقب بها في ادب
المعاملات وغيره وأدب الحكومة ، أما الظلم والجور ذلك
الذي يضاد العدل ويخرب البيوت والممالك ويفسد كل الاعمال
فهو خروج المرء عن العدالة المطالبة في جميع الامور كأخذ
الاموال من غير وجهها الحلال والمطالبة بما ليس له فيه حق

ووضع الاشياء في غير مواضعها ولا أوقاتها ولا على القدر الذي
يجب والوجه الذي يجب كالسرف والتبذير وتطفيف الكيل
وتخسيره ونحو ذلك

العفة - وما أحلى اسمها وأجل خلقها وأعم نفعها في ضبط
النفس دون الاسترسال في الشهوات ووزنها بمران العقل والحكمة
وقصرها على الامور الحلال وهو الامر المطلوب انسانياً لصالح
حال البشر وجميعياتهم صحياً لتقدمهم وسلامة أبدانهم ونفوسهم
وعدم اضاءة أموالهم ولتحصل بالوزان الشرعي الانساني أمور
التناسل والتكاثر على مقتضى مبادئها الانسانية الحقبة بعكس
حال نقيض هذه الحالة من الفجور والانهماك في الشهوات
والشرور وارتكاب الموبقات وشرب الخمر والنحس تلك المفسد
والشرور الهادمة للبنية الانسانية المقوضة لدعائم الهيئات المحطة
بشرف النفس الآدمية المردية بقواها العاقلة والأدوية ، والآثار
والاخبار في مدح العفة وما تحتها من الخلال الحميدة وذم
الفجور والفسوق اكثر من ان تحصى وما اقبل من ان يصير
المرء الحر عبداً بإرادته وأسيراً لشهواته التي تجره الى اختلال

أمره والانتفاء بتلاشي شأنه « وما كان الله يظلمهم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون »

علو الهمة - خلة من أجل الحلال الانسانية الحبيصة
بالانسان والحرية بكماله العقلي وشرف ارادته التي يجب ان
تحرر من اسر الأهواء والسماسف وتحرى بها اعالي الامور في
جميع الشؤون دون حقيرها وذيئها الدال على خساسة الشأن
وغباوة النفس وجهلها وصغر الهمة وانحطاط المزاج الامر الذي
تسفل معه كل الاعمال والافعال ، وعلو الهمة وكبرها حال بين
« التفنج وصغر الهمة » فالتفنج تطمع الانسان لما لا يستحقه ولا
هو كفؤ له وهو البذخ وصغر الهمة ترك ما يستحقه وهو الدناءة
وكلاهما مذموم على انه قد قيل (المرء حيث يجعل نفسه إن
رفعها ارتفعت وان قصر بها اتضعت) فيجدر بكل اصري ان
يجتهد ولا يصغر همته او يحط بنفسه قال الامام عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه (لا تصغر من همتك فاني لم أرا قعد بالرجل
من سقط همته) وهذا انما ينال بالجد والاجتهاد والترفع
والتصون وتحرى أحسن الاحوال من غير ما صلف ولا تفنج
في الشؤون علماً وعملاً ولله ما اجهل ما قال الشاعر

فقل لمرجى ممالى الامور بغير اجتهاد رجوت المحالا
 أما صغر الهمة والدعة في متخري الاحوال كلها فوجب
 الانحطاط والخسار ولذلك قيل ما لزم احد الدعة الاذل ، وحب
 الهوينا يكسب الذل وحب الكفاية مفتاح العجز « وقال الشاعر:
 اذا ما الفق لم يبع الا لباسه ومطعمه فالحير عنه بعيد
 غير أنه لما كان التوسط في كل الامور من أهم شروط
 الحكمة والتوسط في كل الاحوال من اكمل الادب الانساني
 فلهذا يجب على كل عاقل ان يتوسط في أمره ولا ينزل نفسه
 الا منزلها ويتدرج في شأنه بالحق والاعتدال تدرجا فلا تبلغ
 به محبة التفاني في العالي الى درجة « التفنج » المذموم ولا
 يحط بنفسه وهمته وعزيمته الى درجة الحقارة والاخلاد الى
 أرض المهانة وما الحكمة الا بين الاطراف وخير الامور
 أوساطها كما جاء في الحديث الشريف .

القناعة النفسية من أجمل الخلال وأحسنها وليس معناها
 الاخلاد الى أرض الدعة والكسل والخمول والتكسب عن
 السعي والعمل بالجسد في تحصيل الارزاق والمكاسب بهمة
 ونشاط وعزيمة صادقة ضمن دائرة الشرع فيما لم يحرم من

الاعمال والمساعي كما تقدم القول فيه في باب أدب العمل بل المراد بها تلك الصفة التي تلازم النفوس الكريمة والهمم المالية المتأدبة بأدب الاسلام فترضى في نفسها بالحاصل لديها في الوقت والحال ولا تظهر التآلم والتني والشرة بل تناول ما تسمى اليه بالحق وما تحصله منه بالقدر الم محبوب الممدوح فهذه القناعة هي ولا ريب التي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم « القناعة كنز لا يفنى » وهي بهذا الحال من أفيد ما يتحلى به الانساق ومن خير ما تراح اليه النفس ناهيك وان الطمع والشرة من أضر ما يضر بالمرء لانه يفتح عليه باب الشر ومداخله الكثيرة والوقوع في الحرام في باب الكسب لفرط الطمع والجشع ولله ما أحسن القصد والاعتدال وبعبارة اخرى ما أجمل القناعة ذلك الكنز الذي لا يفنى .

كتمان السر - خلق ممدوح وهو يدخل في باب أداء الامانة والوفاء ، فاذا ما ائتمنتك انسان على سر يلقيه اليك أو حدثك حديثاً يجب اخفاؤه فلا تكن سفلاً سفيهاً بازاءته خائناً بافشاءه ناكثاً عهد الامانة فيه ولقد قيل في مدح من يكتم أسرار أصحابه واخوانه

ويكتم الاسرار حتى أنه ليسونها عن ان تمر بباله
 وشر الناس اولئك الذين لا اخلاق لهم من الثرثارين
 الذين يستزلون الناس اسرارهم حتى إذا ما استقرغوا ما في
 بطونهم من شكاء وبرحاء واهور هامة ازاعوها عنهم للتشنيع
 بهم والخط من أقدارهم أو لمقاصد خبيثة يطوونها وهو لاء هم
 شر بني آدم وهذا الخلق من أودا الاخلاق وأخطأ وأشأم
 الخصال وأفسدها فالمر الشرائل الحسن الآداب يجدر به
 ان يكتم سر أخيه فيما يحيط به أو يضر بشأنه ولا يفشى عليه
 ما يكره من شكوى أو بلوى يبثها إياه لينفج همه وكرهه ولله
 ما أطف وأرق هذه الحكمة التي قالها امرؤ عاقل لصديق له
 حين قال له « أريد أن أفشى لك سرّاً تحفظه عليّ » فأجابه
 الصديق الحكيم على الفور « لا أريد ان اربك قلبي بجواك
 واجعل صدري خزانة شكواك فيقلقني ما أقلقك ويؤرقني
 ما أرقك فتبيت بافشائه مستريحاً ويبيت قلبي بحره جريحاً .
 وافشاء السر حرام لانه أمانة قال الحسن رضي الله تعالى
 عنه « من الحيانة ان تحدث بسر أخيك »

الحبة والمودة — وهي احدى أسباب نظام العالم العلوي

والسفلي ولو وجدت المحبة بين الناس كلهم على حقيقتها لاستغنى
 عن المدالة ولذلك قيل المدالة خليفة المحبة ، على ان هذه المحبة
 والمودة مما يجب بمقتضى أدب الاسلام أن يتخلق بها الناس
 بين بعضهم والبعض من الأهل والأقارب وأبناء الهيئة وعموم
 بني الجنس ولقد مضى عنها شيء في أدب المباشرة وهي مفيدة
 جداً في أدب النفس واستثمارها باخلاص بالنسبة الى
 أدب السلوك الاجتماعي ووسائلها كثيرة وقد جمعها الله في
 قوله تعالى « أدفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه
 عداوة كأنه ولي حميم » فمن عامل الناس بمروءة وشهامة
 وتسامح وتجاوز أحبوه وفاز بينهم بأنجح المقاصد واجل الأرب
 أما العداوة والتباغض والتحاسد والتدابير بين الناس فليس من
 شر يغوقها في جر المصائب والويلات فيما بينهم وفي الآداب
 الإسلامية آثار جليلة في المعنى للترغيب في توطيد دعائم هذه
 الخلقة الاجتماعية الجميلة مما يفني عن الاطالة وسيأتي في أدب
 النفس مع الخالق ذكر حب الله .

المنافسة — وهي التقليد والتشبه بالغير فيما يراه ويرغب
 فيه لنفسه والاجتهاد في الترقى الى درجة أعلى وهو أمر مفيد

إذا كان فيما يتعلق بالحيرات الاجتماعية والأمور الجليلة الإنسانية
كما قال الشاعر

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبيه بالرجال فلاح
وهذا الخلق يوجد في الصغار أكثر مما يوجد في الكبار
لحكمة انتظام أمور الخلق ولهذا يتحتم على كل امرئ أن يظهر
بأحسن المظاهر المؤثرة في منافسيه حساً ومعنى من غير ما كبر
ولا عجب وما أكثر ما تفسد أحوال الذراري من القدوة السيئة
الفاصلة في الآداب العامة والأخلاق الشائنة في كل الشؤون
المحدقة بهم وتسرق أخلاقهم منه. ويحقق بهذا الخلق إذا كانت
النفوس حسنة التربية إما بالمقبلة، أي تمنى أن يرى الإنسان نفسه
بمثل حال المقبولة دون ميل إلى تمنى زوال نعمته وأما «الحسد»
إذا كانت النفس خبيثة فاسدة التربية والحسد هو ذلك
الخلق الذي لا يسود صاحبه والذي يأكل الحسنات كما تأكل
النار الحطب كما جاء في الحديث الشريف فالحسود لا ينجح أبداً
في أموره لتمنيه المكروه للغير والعمل لاعداء نعمته أو الحط
من فضله وهو خلق سافل رديء ياله من خصلة في المنافسة
فؤيمة قبيحة ضارة بصاحبها أيما ضرر قال بعض الحكماء

(الحسد داء الجسد) وقال الاحنف بن قيس (لا راحة لحسود)
ومن يبلغ ما قالوا في هذه الرذيلة الاجتماعية (الحسد يبني
تقص الحسود ويدل على كمال الحسود وكفى بالانتقام منه ان
يتقطع حسرة وهو مع لؤم طباعه وخساسة نفسه واتضاعه
ينبه على فضل غيره ويظهر ما خفي من خيره) وفي ذلك يقول
الطائي :

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها ان يحسود
الوفاء بحالة مدحها الله تعالى (والموفون بعهدهم اذا
عاهدوا) - (واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) وعرفوا الوفاء بأنه
الصبر على ما يبذله الانسان من نفسه ويرهن به لسانه. وخلق
الوفاء خلق محمود ينفع به كل الناس في مصالح هذا العالم وتنظيم
به أمورهم فمن عرف به كان مقبولا موثوقا به ناجحا في جميع
أعماله ويقابل هذه الخلة من الرذائل (النذر) لانه الرجوع
عما يبذله المرء ويضمن الوفاء به من نفسه وما أشأم النذر
والنكث والتنكب والحيانة على بني آدم لان من يشتهر في
الهيئة الاجتماعية بها لم يركن اليه البتة ولا يثق بعهده ووعدده
انسان فتضطرب حاله وتهوش عليه أموره ويعيش في حال

من المذلة زرية وأمر من الصغار واحتقار الشأن شأن جزاء
خيانته وخبث نفسه وطويته

الوقار - وهو الامساك عن الفضول في الكلام والعيب
وكثرة الاشارة والحركة خفة ونزقاً فيما يستغنى عن التحرك فيه
وقلة الغضب والاصفاء عند الاستفهام والتوقف عن الجواب
والتحفظ عند السرعة والمبادرة في جميع الامور . وهذا الخلق
من أفيد الآداب النفسية في السلوك في الهيئة الاجتماعية
ويدخل فيه (الحياء) والحياء كما في الحديث شعبة من الايمان
وهو غض الطرف والانتقباض عن الكلام الفاحش والامر
الفاحش حشمة وتحشما . ويقابل هذه الخلة من الرذائل الخرق
وقلة الحياء والوقاحة وهي الجرأة في الكلام بلا احتشام ولا
تحفظ وكثرة الحركات والاشارات وشدة الضحك المبيت
للقلوب والاتيان بالهزل والهذيان الذي استعاض منه رسول الله
صلى الله عليه وسلم (نعوذ بك من الهزل والهذيان) واكثر
ما توجد هذه الخصال الذميمة في أبناء السوقة وأرباب السخف
والمجون وأهل الدعارة من غوغاء المدن خصوصاً ولكنه على
كل حال أمر شائن دال على سخافة العقول وبعبارة أخرى على

استحكام الجهل والنباوة وفساد الاخلاق في تلك النفوس وقلة
ما فيها الادبية



تلك هي جملة الاخلاق الفاضلة التي يجب ان يتخلق بها
المرء بموجب ادب النفس مع الخلق في الاسلام وكلها داخلة في
باب المروءة والاذواق السليمة ويجمعها اسم (الحكمة) على
أوسع معانيها التي قال الله تعالى فيها (ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيراً كثيراً) وكلها وما يتفرع عنها قد نبه عليه في حكمة
القرآن وآداب السنة المطهرة النبوية . تنبيه حث عليها وتنبيه
نهي وتحريم فيما يضادها ولقد تقدمت الاشارة الى شؤم الذنوب
والرذائل والقصاص والوعيد عليها ناهيك أن الرذائل في جملة
وتفصيلها مفسدة لشأن الانسان في حده ذاته وعمله كله وهي
تعمد الى تناول افساد حال الهيئة الاجتماعية فمن اجل ذلك
كله من شرها أوجدهت القصاصات في الشرائع بأجمعها لاقامة
قسطاس العدل بين الانام لما ينقصهم من آداب النفوس
المؤسس عليه ادب الجوارح لان امثال هاته الفضائل وان
لزممت بل وجب دينياً وأدبياً على كل انسان تحريرها في نفسه

وفي أهله وولده غير أن مما لا خلاف فيه أنها قلما تجتمع في
 انسان على التمام وان وجدت جملة في مجموع الامة كذلك ما يسمى
 رذائل من تقيض هاته الفضائل فان شيوعها هو كذلك ويستحيل
 ان تجد انساناً فيه عيوب الا وتجد الى جانبها فضيلة او اكثر
 قد تستحسن منه وتستظرف فيه غير أنه لا ينبغي مع ذلك المراء
 الحافل ان يقصر من همته ويتخذ ذلك حجة بل يجب اسلامياً لما
 جاء في الآية الشريفة (فاستبقوا الخيرات) ان يجهد ويجهد ليحصل
 الفضائل الرئيسة ويحلي بالخلال الشريفة وان يتجنب الرذائل
 الشائنة الحسية والمعنوية لان ذلك انما هو الوسيلة العظمى
 الى نوال السعادة في الحياتين ومنفتح للنجاح والازلاخ في كل
 الاحوال والاعمال (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم
 سيئاتكم) والدين كما قيل في الاثر الشريف المعاملة بمعاملة
 الناس بأحسن الأخلاق واكرم الآداب الاجتماعية ومن لم
 يجاهد نفسه ليتصف قلباً وقالباً بالمحامد الاجتماعية والممادح
 الادبية في الهيئة والقيام بكل الواجبات المفروضة على افرادها
 في سائر الشؤون والتزام الادب النفسي في كل انواع السلوك
 فهذا قل ان ينال تلك السعادة على التمام بل كان بالشقاء أخرى

وباسم المقصر في حق نفسه وحق أبناء هيئته أولى وحقته اذا
 غلبت ضروره فضائله الاضرار والتقصصات المنصوبة للرفع
 والقائمة للزجر وتقويم معوج الانفس والاعمال وتلك السعادة
 المطلوبة ان تنال بالراحة في هذه الدار بل الراحة في التعب
 والنصب واللذة في مجاهدة النفس على الدوام لتحصيل الفضائل
 والمعارف وابتناء المنزلة في القلوب وعند الرب تعالى بالاعمال
 الصالحة في الهيئة الموجبة لسلامتها سواء قام بها الافراد او تضافرت
 عليها ايدي الجماعات تحرياً لاستقامة أمورهم كلها في هيئتهم
 نزوعاً الى الرقي والكمال الانساني الذي ينساق فيه الانسان
 بطبيعة الممران وما الشرور والذائل الا موقوفات في سبيله
 مقوضات لأركانه فهي من قبيل الامراض التي قد يمكن تلافيها
 او هي بعبارة أخرى كتلكم الحشائش التي تلتف حول
 اصول الاشجار والنبات الطيب من اصل الفطرة فتمكسها
 وتوقف نموها وتمتص غذاءها ولهذا وجب على كل امرئ
 مجاهدة نفسه التي بين جنبيه على استعمال أحسن ما فيها
 واستعمال ما قد ينبت الى جنب ذلك من ردىء حشائش
 الذائل خصوصاً ما قد ترويه اياه غوايات النفوس انه من اكمل

لحظوظ وانواع اللذات والسعادات وليس هو عند التخصيص
لدقيق منها في شيء بل ربما كان من شر جالبات الشقاء والتعاسة
والقيام بهذا كله يدخل في ذلك الامر المحبوب المطلوب سواء
في آدابنا الاسلامية او في آداب غيرنا من تزكية النفس وترقيتها
مما لا فلاح ولا نجاح البتة الا به

فرياضة النفس بموجب كل الآداب القديمة والحديثة
اذن واجبة وهذه الرياضة او المجاهدة العملية تكون بتهديب
النفس اى تهويدها الفضائل الاجتماعية والاعتدال واستخدام
العقل الرشيد في كل الشؤون الحيوية واجتناب الرذائل
والافراطات في تلکم الاحوال ولا يستثنان احد ذلك بل
لا يندر في تركه ذو أدب اسلامي والقرآن المجيد امامه والسنة
النبوية بين يديه وكل ما تقرر بواسطتهما من النظمات الاجتماعية
والآداب الصحيحة فيه يسر وتيسر من حيث سدد حاجات
النفوس وتطلمات القلوب بما فيه مندوحة للاخذ بالحلل
الصرف وتجنب الحرام المنهى عنه (وما أتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا) وقد امرنا بالاخذ بأحسن الاشياء الحسية
والمعنوية وامرنا بان نؤدب نفوسنا وتجنب الفواحش من الرذائل

ما ظهر منها وما بطن وان تحسن الماملة والسلوك مع الخلق
وجعل هذا كله مفتاح النجاح والفلاح بل قطب رضى السلامة
فى الدنيا ونيل السعادة فى الآخرة

ولقائل ان يقول ان الاخلاق لا يمكن تغييرها لانها
اخلاق الباطنة أو صورة النفس أو ترشيحها من الطبع الادمى
فهي كاخلاق الظاهرة من حيث ان هذا جميل الصورة بهي
الطامة وذلك هميم الصورة قبيح المنظر، وذلك طويل القامة
وذلك ضعيف البنية فكيف يعالج فى تغيير ما يظهر أنه من
متمات الطبيعة البشرية لانتظامها به حساً ومعنى ناهيك ان
للبيئات حكمها طبيعياً ومعنوياً خصوصاً إذا كانت تلك البيئات
الادبية كثيرة الشرو والفساد وهي باطراد الاحوال مطردة
الفساد والافساد فى الاخلاق بالتلقيح والعدوى من القدوة
السيئة بالطباع السوء التي يقول فيها الشاعر

إذا كان الطباع طباع سوء فلا ادب يفيد ولا اديب

على ان هذا كله قول ضعيف لانه لو كانت الاخلاق
لا تقبل التغيير والله تعالى يقول (لا يغير الله ما يقوم حتى
يغيروا ما بانفسهم) لبطل شأن الوعظ والتأديب الشرعي ،

وكيف ينكر قبول التفسير بخلق الانسان صاحب الاستعداد
 الفطري العظيم والقابلية الكبيرة مع أن الحيوان الاعجم قد
 يتغير خلقه بالتهذيب والتدريب ، فالبازي ينقل من الاستيعاش
 الى الانس والسكاب من الشره الى التأدب والامساك والتخية
 (كما هو مشاهد في كلاب الصيد) والفرس قد تنقل من
 الجراح الى السلاسة والالتقياد وكل ذلك تغيير في الاخلاق
 اخلاق هذا الحيوان الاعجم الفريزية فكيف بالانسان سلطان
 المخلوقات ومصاحب العقل الرشيد ؟ لا ريب أنه أولى وأحرى
 بأن تقبل أخلاقه التغيير وتسلم طباعه لا سيما والنهج ميسره
 والطريق طريق الخير مفتوح الباب اسلامياً واجتماعياً لديه
 وهو بمقتضى سير العالم لو حاد عنه الى ما يفسد بشأنه دون
 التمسك بما يرقى أمره ويعلى ندره كان ولا ريب الساعي الى
 حثفه بظافه إذ العالم في جهاد مستمر فاليقظ الاخذ بأسباب
 الكمال والفلاح هو الناجح الظاهر والمخلد الى أرض الحساسة
 في الاعمال والسفالة في الاخلاق هو الخاسر ، فهل الاسلام
 يأمر بذلك ؟ هل يأمر بالعدل والاحسان وينهى عن الفحشاء

والمنكر وكل الاخلاق الذميمة وينجح أهله إلا باتباع ما أسره
والانتهاء عما نهى عنه ؟

فمن تمام النعمة علينا في أدبنا الاسلامي أن أرشدنا الله
تعالى الى كل خير أصلي يصلح لكل زمان ومكان كما أمرنا ان
نمسك بذلك تمسك فمل في كل ادوار الحياة مما يدل على قبول
الاخلاق للتغيير وأن نفوسنا قابلة لأن نضمها حيث أمرنا حتى
نصالح لهدايتة وفيوضاته القدسية (لا يغير الله ما يقوم حتى
يغيروا ما بانفسهم) ولتمام الابداع في الصنع لم يعط الانسان
هذا الخلق بادئ بدء تاماً كاملاً وبعبارة اخرى غير قابل للتغيير
والتبديل بل الاعضاء الباطنة أو الحواس النفسانية من الادراك
والعقل وإن كانت كالأعضاء الظاهرة من حيث أنها تبدئ
تمو شيئاً فشيئاً حتى تشتد مع الزمان إلا أنه قد جمل لها فوق
ذلك تلك الاستعدادات العظيمة والقابلية السكرية والاختيار
والارادة للتكليف بها والتحويل وتصحيح المبادئ بفضل ما وهب
من العقل وقوة الادراك والبصيرة وحسن الافواق وقبول
الهدايات الربانية والفيوضات الوجدانية التي يجب أن تربي
وتوقف على المبادئ والمعلومات وهي لها بعد ذلك شأنها من

قوة الحكم واستخراج صحيح النتائج من فاسدها ولكل أصل
 في مستند ادبنا من الكتاب والسنة السمحاء
 وإذا كان الخير والشر أو بمباداة أخرى الفضائل الانسانية
 والرفائل الاجتماعية قد بين حالها بياناً شافياً في مبادئ الادب
 الاسلامي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسنوا
 أخلاقكم » وقال « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » فقد ظهر
 لنا من هذا كما ظهر لنا مما سبق أيضاً في الآية أن ذلك
 مطلوب من كل أحد كالعلم الذي طلبه فرض عين على كل مسلم
 وكالتقارّف المأمور العمل بهدايته لا ان نتلوه فقط لمجرد
 التبرك بتلاوته أو الترم بالفاظه وكل هذا يرجع علماً وعملاً الى
 تلك الغاية السامية من تزكية النفوس وتطهير الاعراق فكيف
 يدعي مدع بمد هذا كله أن الطباع لا تقبل التغيير وهي
 مأمورة به ومكلفة وقد ركبت في الانسان كما سبق بكيفية قابلة
 له ولولا ذلك لما تحول جيل العرب في صدر الاسلام بهداية
 القرآن من الخشونة والشراسة في العادات والاخلاق اخلاق
 الجاهلية الاولى الى تلكم الاخلاق الاسلامية الجديدة السامية
 (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) ناهيك ان الاخلاق

الاجتماعية الفاضلة المأمور بها وأُتيت على الكثير منها آنفا
ليس فيها خلق الا وله فوائد ومزايا جليلة في انالة النفوس النجاس
والفلاح في هذا العالم عالم التكليف كما تقدم وأن لا شر ولا ضرر
ولا تقهر ولا اتضاع الا باتباع اضدادها وغشيان الذنوب
وقد تقدم عن ابن قيم الجوزية بيان ما يلحق المرء من آثارها
فيجب مجاهدة النفس وتدريبها وتمويدها دائما لخيرات الاجتماعية
والنفسية وتحليتها بالآداب والكمالات وأن صعب الامر
واستمعى الحال للاسباب الكثيرة المحدقة بالانسان مما يجعل
الهمم متفاوتة والفاضل في المزائم والارادات ظاهرا وكليا
كانت التربية متأصلة منذ الصغر والقدوة العملية في البيئة حسنة
وجميلة كان الامر في اكتساب الفضائل أقوى وأوسع وأظهر
في الكبر على قدر فلاك من المجاهدة مجاهدة النفوس للمؤثرات
ومقاومة الغوايات النفسانية على ان النفس لما قد ركب فيها من
قوى الشهوة والغضب قد تكون كالداية الجوارح اللازم لها
الترويض والتأديب حتى تكف عن الهوى وتنقاد الى العقل
بزمام والا صار الانسان عبدا للهوى وبعبارة اخرى أسير شهواته
البيمية ونزعاته الشيطانية فانسأخ عن انسانيته وحرم شرف

الاتصاف بحميل أخلاقها بين بني هيئته فتزل قدمه بعد ثبوتها
 في جميع أفعاله ولا يعود ينجح في سائر مساعيه مصداقاً للآية
 الشريفة « قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها » والآثار
 في الباب باب تأديب النفس وتهذيبها جلب السرور اليها ودفع
 الشرور عنها والمخاوف مما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الجهاد الأكبر لهذا الغرض الشريف فضلاً عن الغرض الديني
 الكريم كثيرة فالزم أيها المسلم المصري الفضائل واجتنب في
 سائر أحوالك الرذائل تحفظ بالسعادة الأبدية والكمال الإنساني
 الإسلامي ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اكمل
 المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً » ويقول الشاعر « هي النفس
 ما عودتها تهود »



﴿ القسم الثاني ﴾

(ادب النفس مع الخالق)

الادب مع الله تعالى — املأ القلوب من عظمة الله — الاسلام
والايمان حال النفس المستكملة المطمئنة — التقوى جماع الخير —
الاخلاص وصدق النية — تعريف النية — الاخلاص الحق —
الحبة لله تعالى — مقامات وأحوال النفس الاخرى — الرجاء
والخوف — محاسبة النفس ومراقبتها — التوبة — الصبر — الشكر —
التوكل — الزهد — التفكير .

« مثل الايمان كمثل بلدة لها خمسة من الحصون الاول »
« من ذهب والثاني من فضة والثالث من حديد والرابع من »
« آجر والخامس من لبن فما دام أهل الحصن متعاهدين الذي »
« هو من لبن لا يطعم العدو في الثاني فاذا أهملوا ذلك طمع »
« في الحصن الثاني ثم في الثالث حتى تخرب الحصون كلها »
« فكذلك الايمان في خمسة من الحصون اولها اليقين ثم »
« اداء الفرائض ثم اتمام السنن ثم حفظ الآداب فما دام العبد »
« يحفظ الآداب ويتعاهدها فالشيطان لا يطعم فيه فاذا ترك »
« الادب طمع الشيطان في السنن ثم في الفرائض ثم في »
« الاخلاص ثم في اليقين فينبغي الانسان أن يحفظ الآداب »

« في جميع اموره » (الشيخ عبد القادر الجيلاني)

في كل شيء اذا ضيقته عوض وليس في الله ان ضيقت من عوض
لقد تقدم في اول هذا الكتاب ما يجب على المسلم من
ادب الاعتقاد مع الله تعالى وتنزيهه وتقديسه والقيام بعبادته
لانه سبحانه وتعالى خالقنا ورازقنا ومصينا ومثينا وحجازينا على
اعمالنا وافعالنا جزاء كريماً السيئة بمثلها والحسنة بعشر امثالها كما
هو صريح مدلول القرآن والسنة وانه تعالى تفرد في علاه
موصوف بالكمال المطلق واتقان الصنع وابداع التدبير خلقه
بما لا يمكن أن يقف على كنهه عقل مخلوق على التمام ، وانه
تعالى له في خلقه التصاريف بما شاء وكيف شاء ولا يحيط
بحكمته أحد ولا يقدر ان يحصى نعمه المتواصلة وامداداته
المتوالية انسان لهذا كله كما لزم القيام بحق عبادته وتقديسه
وجب اشعار النفوس الادب بحقه بالاخلاص له والحب
والتقوى والخوف منه لانه تعالى الفعّال بالحق لما يريد وهو
أحكم الحاكمين وارحم الراحمين سبحانه جل شأنه

ولقد مضى القول كما سلف في الاعتقادات والعبادات في
اول هذا الكتاب بالايجاز والاختصار فبقى أن أشرح ما هو

لازم من الادب والتأدب النفس الخالص مع الخالق العظيم
 مسدينا أجل النعم ظاهرها وباطنها مما لا يمكن حصره ولا
 عدده كما قال تعالى في القرآن المجيد (وان تعدوا نعمة الله
 لا تحصوها) ولا غرو فاستصحب هذا الادب في النفس
 البشرية واملاء القلوب من عظمتها تعالى خشية ورهبة وحباً
 وأملاً كريماً وتقديساً وتزهِياً وإخلاصاً هو عين المباداة بل
 هو عين الايمان وتتمام السعادة في الاسلام وكل الآيات
 والأحاديث ناطقة بذلك شاهدة عليه مبينة ان عمل الجوارح
 والاعتقاد باللسان لا يتم به اسلام المرء وإيمانه الا اذا صحبه عمل
 الوجدان الانساني من استشمار الضمير واتصافه الذي عنه
 ينبعث باعث الرغبة للقيام بشوق وعزيمة صحيحة لتجويد عمل
 الجوارح ومراعاة روحها ولهذا فَرَّق بين الاسلام والايمان
 (وقالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما
 يدخل الايمان في قلوبكم) وترى شرح هذا مطولا في كتب
 الاسلام المعتمدة كالتفسير القرآني وشرح كتب السنة كشرح
 مسند مسلم للإمام النووي وشرح البخاري وغيره
 فالإيمان عمل القلب ، عمل الضمير ، والاسلام وان عم

هذا ضمننا لكنه يشمل عمل الظاهر والايمن خصيص بالباطن
كما فسروا به تلك الآية النازلة بحق الاعراب ، والاسلام
الشامل والايمن الكامل مصدر كل خير وسعادة حقيقية
الانسان تستطاب بها كل أعمال الجوارح في الاعتقادات
والعبادات وكل المعاملات وترتاح لها النفوس بما لا يمكن ان
يتصور في أى سعادة أولذة أخرى نفسانية ، بل هي لذة فوق
كل لذة ، وشعور سام يملو كل شعور بما لا يمكن لاي
امرئ أن يصور شأنه أو يكيف حاله واستطابة نفسه به ،
ولا عجب فللايمان كما في الحديث الشريف حلالة وللتقوى
كرامة وحباً عند الله جمّاً وإذا أحب الله عبداً كان كما جاء في
الحديث الشريف بصره الذي يبصر به وتسمه الذي يسمع به
وتلك هي صفة أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
بالمعنى الحقيقي لا بالمعنى الذي يرمى اليه جملة المتصوفة وغلاتهم .
وهذا الحال للنفس المستكملة أدبها الباطني بحق الله تعالى
وقبولها للفيوضات الآلهية واستشعارها الرحمت الصمدانية
أمر دقيق ومقام عظيم وقد أطل فيه القول علماء الاسلام

الروحانيون وفلاسفة الاخلاق الصوفيون ^(١) كالامام الغزالي
والقشيري والسهروردي ومحي الدين بن العربي وغيرهم مما
لا يدخل تحت مقصود هذا الكتاب لغرض الذي قصدت
اليه فيه من الاجاز والاختصار والوقوف خصوصاً عند الحدود
العامّة والقيود الشرعية البحتة المقصودة بالذات في أدب
الاسلام باطناً وظاهراً وأعني بها الفضائل وأنواع الآداب
الانفسانية الواجب التحلي بها بحق الذات العلية القدسية ، تلك
الفضائل والآداب المشتملة بالحقيقة أجل الثمار والفوائد في كل
أعمال الحياة الدنيوية والدينية كالاخلاص والمحبة والشكر
والتوبة الى اشباه ذلك مما تجمعه كلمة « التقوى » المطلوبة من
الانسان ليحظى بأجل الأرب وسعادة الأبد لقول الله تعالى
« إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وقد جعلها رسول الله صلى الله
عليه وسلم « جماع كل خير » وحقبة التقوى التي هي لباب
الطاعة التخرز بطاعة الله عن عقوبته وأصل التقوى اتقاء الشرك
ثم اتقاء المعاصي والسيئات ثم اتقاء الشبهات ثم ترك الفضلات
مع القيام بمهام العبادات وحسن المعاملات ، وهذا ظاهرها

(١) الاحياء للغزالي والرسالة للقشيري وعوارف المعارف للسهروردي الخ

من اتقاء الحدود والقيام بالواجبات أما باطن التقوى وروحها
فصدق النية والاخلاص ولهذا قال بعضهم « التقوى عمل
بطاعة الله على تورع من الله مخافة عقاب الله » وقال عمر بن
عبد العزيز رحمه الله ليس التقى صيام النهار وقيام الليل والخليط
فيما بين ذلك ولكن التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض
الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير » وخلاصة القول
ان التقوى تلك الصفة التي هي جماع الخيرات يجب ان يتصف
بها المرء قبل كل شيء ليصل الى ما بعدها من المقامات قال
بعض حكماء السلف الصالح « من كان رأس ماله التقوى كلت
الالسن عن وصف ربحه » ويقول الحكيم ابن الوردي في
لاميته المشهورة

واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب اصرى الاوصل
هذه هي التقوى وثمرتها أما ما بعدها من المقامات التي
تستلزمها وتصاحبها اولا تنال الا بواسطتها فكثيرة انما آتي
ها هنا على ما هو الاشهر منها وهي مقامات جليلة ومراتب
احوال عالية قد لا يظفر بها كل الناس وان كانت مطلوبة من
كل الناس فهي كالاخلاق الفاضلة وكل الآداب النفسانية

السائلة الذكر من حيث عدم تساوى الهمة فيها كاعمال الجوارح التي قد يتساوى الناس في الاتيان بها والقيام بحقوقها لان هذه امور دقيقة وجدانية وتلك رواتب أعمال ظاهرة منتظمة مع ان تلك روح هذه بلا امتراء ، فاذا أتى المرء بعمل الجوارح بلا التفات منه الى عمل الباطن من مثل الورع والخشية وصدق النية والاخلاص والشوق والمحبة لم يجز من ثمار عمل الظاهر بمقدار ما تشتهي الانفس الكريمة اللوامة من لذة وسعادة في نفسها ووجدانها بل في كل الاعمال الحيوية المنوطة بها في هذا العالم فضلاً عما تستروح له وتنتظوه من أجر وثواب في الآخرة الجامعة لا كل أنواع السعادات في الجنة دار الخلد والنعيم المقيم التي أعدت للمتقين .

و اول تلك المقامات التي سبق أن التقوى تجمعها « الاخلاص » المطلوب في العبادة كما في المعاملة « فادعوا الله مخلصين له الدين » ومبدأ الاخلاص صدق النية إذ العمل يحتاج الى النية والنية تحتاج الى الاخلاص حتى تكون صحيحة ، فاذا كان الاخلاص روح النية فالنية الصادقة روح الاعمال ولقد جاء في الحديث الشريف « إنما الاعمال بالنيات وإنما

لكل امرئ ما نوى ، وجاء في حديث آخر كاشف لى
 الاخلاص وحال القلوب في نياتها قال عليه الصلاة والسلام « ان
 الله تعالى لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن انما ينظر الى قلوبكم
 واعمالكم » ولهذا قال احد العلماء « اطلب النية للعمل قبل العمل
 وما دمت تنوى الخير فانت بخير » وقال بعض السلف الصالح
 « رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية » ومن
 نصح العالم سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز (اعلم ان
 عون الله تعالى للمريد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله
 له وان نقصت نقص بقدره) وجمل القول ان عماد الاعمال اية
 كانت الاخلاص والنية الصادقة من السريرة وهى مفتقرة الى
 ذلك لتصير به خيراً محضاً على ان النية الصالحة هى في نفسها
 خير وان تعذر العمل فان ثوابها عند الله باقى لاحق بصاحبها كما
 دلت عليه الآثار ولانها عماد الابتعاد عن الرذائل وعتاد
 تجنب المساوى والشور

ولقد عرفوا النية ^(١) التي جعلوا من مرادفها الارادة
 والقصد انها حالة أو صفة للقلب يكتنفها امران علم وعمل والعلم

يسبق العمل لانه شرطه والعمل يتبع العلم لانه ثمرته ، ومن لوازم العمل بعد العلم الارادة والقدرة ، فالعلم يوقف على النافع والضار من الاصر وبالارادة يعزم المرء ويختار وبالقدرة يتم العمل على الوجه المطلوب ، فالاعتقاد أو العلم اللاحق بالنفس الراسخ في الذهن أصل والارادة الباعثة أى القصد تابعة والقدرة العملية خادمة للنفس في العمل بحكم الرغبة والغرض وهذا الغرض هو المقصد المنوى والانبات هو القصد أو النية وانهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء بالاختيار هو العمل .

وهذا الباعث من النية يرجع كما شرحناه الى تمكن الشخص من الاحاطة والعلم وقوة التمييز النفسى المحمول على هداية الله الملقاة في الروح من قوة الاحاطة والادراك والميل الوجداني الفطرى ثم بالتوقيف على المبادئ الصالحة واخذها دينياً ودينيوا المثبتة في الشرائع الالهية والآداب البشرية وبذلك يصح للمرء الحزم والقطع في الاختيار والتفضيل بالنية الصادقة والاعمال الصالحة التي بالتكرار تصير ملكات للنفس وما لم يكن للانسان هذا الحال لا ينبغي ان ينتظر منه صدق النية والعزيمة إذ يكون الانسان كالصبي لا يفرق بين الضار والنافع والغث

والسمين الا بما أفادته بالطبع عادات مجتمعه وربما صرفت
النيات فيها والمقاصد والارادات والاعمال التابعة الى ما يضاف
روح الادب الديني إما للجهل بمبادئه الحقة أو لانصراف
الذرائع عنها خلفاء فوائدها وقيام شبه فوائدها من المبادئ
مقامها وان كانت ضارة أولاً تساوى منافعها منافع تلك المبادئ
الدينية النفسانية فلو صدقت النيات أى خاصت المبادئ من
غواية الضلالات والفساسف الشيطانية لما أدت العبادات
وأجريت الاعتقادات وسائر الاعمال الدينية مثلاً كرسوم
وشمائر تقليدية بل لرعى فيها وفي كل الاعمال روحها وآدابها
الحفية ولجنى هذا الانسان من وراء هذا في نفسه وفي عمله
كله أجل الاحوال والذات وأسمى السمادات الابدية ولقام
له من نفسه بسبب هذا ملكة «الخلاص» الحق ومقام
المخلصين كبير وأمره عند الله خطير قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ما من عبد يخلص العمل لله أربعين يوماً الا
ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » وقال عليه الصلاة
والسلام لمعاذ « اخلص العمل يجزك منه القليل » وقال العالم
السوى « الامر كله يرجع الى أصليين فعمل منه بك وفعل

منك له فترضى بما فعل بك وتخلص فيما تعمل فاذا أنت قد
سعدت بهذين فزت في الدارين »

والإخلاص هو الاتيان بالأعمال خالصة لا يشوبها أقل
رياء قياماً بواجب حقها سواء في العبادات أو في سائر الأعمال
قاصداً بذلك مراد الله تعالى منها لعباده وتحصيل ثوابه
الأخروي عليها ومن يتجلى بهذه الصفة صفة الإخلاص الديني
لاجرم يكون بمأمن من تلك الخصال الذميمة من الرياء والخذاع
أو النفاق لانتفاء هذه الكدورات الشيطانية المفسدة المحبطة
للأعمال عنه بحلول الإخلاص القاب وهو المشر لجميع المحامد
والفيوضات الرحمانية على القاب البشري الذي جاء في الحديث
أنه مسكن الخالق تعالى إشارة إلى ذلك من الإخلاص
والتقوى والطهارة النفسية والمحبة والتوكل والثقة بالله تعالى
المظيمة النفع .

أما المحبة محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم التي هي
فرض عين فثمرتها من أجل ما يتصف به من المقامات في
الطاعة والتقوى لأن من أحب أخلص الطاعة وأصدق النية
في العمل بما يرضى المحبوب . فأصل الأعمال الدينية حب الله

وحب رسوله الذى أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله وهذا منتهى الكرامة فى الإسلام وأرفع المقامات
ودرجات أهل الإيمان .

ومحبة الله لله مؤمنين وحبهم له منصوص عنها فى الكتاب
العزيز « يحبهم ويحبونه » وقد جعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم من شروط الإيمان حب الله وحب رسوله « لا يؤمن
أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » وروح
هذا الحب ووسيلته المتابعة متابعة الرسول بالإيمان والأعمال
والإخلاص فيها كما فى الآية الشريفة (قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله)

والحبة أصل من أصول قيام العالم العلوى والسفلى فى
حركات الأفلاك والكواكب ونواميسها من الجاذبية والحركة
ونحو ذلك من تفاعلاتها وتماسها وقيامها بأمر الله وهى أى الحبة
بالنظر الى ما نحن بصدده جنس تحت أنواع متفاوتة فمنها
ما ذكرت بحق الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وفُسِّرَت
المتابعة بالطاعة والتقوى والإخلاص والاجلال والتمظيم فهى
من أجل وأشرف أنواع المحبة التى هى أصل السعادة

رؤسها والتي لا ينجو احد إلا بها ثم لها مقام آخر أعلى واشرف
 من وصل اليه فقد ملئ قلبه هدى ونورا وشوقاً ورغبة كما قيل
 خيالك في عيني وذكرك في في ومثواك في قلبي فأين تقيب
 وهذا ولا ريب ارفع مقامات الحب واعظمها ، ولهذا
 المحبة آثار وتوابع ولوازم من الذوق والحلاوة والشوق والانس
 والقرب فالمحبة كالارادة اصل من اصول الدين واصلاها وتوابعها
 تظهر في الطاعات واجتناب المحرمات ثم يترقى منها الى مقامات
 أعلى في القرب والاتصال ، وكل فوائد المحبة لله وارباحها عائدة
 على المرء من رفع الدرجات ونوال أسنى المقامات بحضرة رب
 الارباب وهناك ولا ريب كمال اللذة والسرور والفرح والحبور
 لكمال المحبوب وكونه تعالى فوق كل مطلوب ومحبوب .

ولقد أطل الامام حجة الاسلام الغزالي ^(١) في تحقيق
 معنى الحب لله متدرجاً في البرهنة عليه على حسب طريقته
 الفلسفية الدينية بان الحب بعد ان ينتج عن التصور والادراك
 يرجع الى خمسة أسباب (١) حب المرء لنفسه (٢) حب من
 يحسن اليه (٣) حب من يستحق المحبة لجماله (٤) حب من

يستحق المحبة لكمالهِ (٥) الحب للمناسبة الخفية بين المحب
والمحبوب. ثم برهن على انه لا ينحصر كل صفات الكمال والجمال
والاحسان والارتباط بين الخالق والمخلوق في ذاته وصفاته
تعالى الظاهرة والباطنة لهذا كان لا يستحق المحبة الحقيقية الا
الله جل شأنه ولقد أفاض في الاحياء بهذا الصدد وأستنتج
بحق ان محبة الله تعالى ومعرفة والشوق اليه هي أجل اللذات
وأكمل السمادات المدركة بالمقل والبصيرة الباطنة كما هي مدركة
بالبصر الظاهر لكل ناظر الى جمال عمل الصانع تعالى من هذا
العالم وبديع صنعه وعظيم إحكامه مما يجذب القلوب ويدهش
الالباب ويطرب النفوس والله در ذلك الشاعر الحكيم الذي
أدهشته عظمة الصانع تعالى فانصرف بكلمته الى حبه فقال
كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت منذرأتك العين أهوائى
فصار يحسدنى من كنت احسده وصرت مولى الورى إذصرت مولائى
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يادىنى ودنيائى
ولا يتصور ان العبد يحب الرب فالرب تعالى لا يحبه
ما دام هناك الحب والاخلاص وصدق النية وفي الحديث
« من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعاً ومن تقرب الى »

فراعاً تقربت اليه باعاً ، فالمرء إذا احب الله تعالى حباً خالصاً
 حاملاً بأمره منتهياً عن نهيه أحببه الله وجزاه على حبه له
 بالقيام بأمور الطاعات أضافاً مضاعفة وأسبغ عليه نعمه ظاهرة
 وباطنة بل كان كما تقدم في الحديث بصره الذي يبصر به ونعمه
 الذي يسمع به وجعله بالمعنى الحقيقي من أوليائه وأصفياه الذين
 لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهذا منتهى الرضا وتمام السعادة
 لانه بالحب والاخلاص تنتظم أمور المرء العملية التبعيدية
 والتعاملية وبذلك تستقيم لهذا الانسان الاحوال في الهيئة
 وتصفو له الموارد والمصادر في الحياة الدنيا وينال حسن الثواب
 في الحياة الآخرة ونعم أجر العاملين



قلت إن التقوى جماع الخلال الشريفة والأحوال النفيسة
 المنيفة من صدق النية والاخلاص والمحبة الى آخر ما في الباب
 وهي ولا شك تنتج تلك الاحوال والمقامات العظيمة من الرجاء
 والخوف والمراقبة والمحاسبة والشكر والتوكل والزهد والتفكر
 في سائر أحوال السلوك النفسي بازاء الخالق تعالى وغب التضلع
 من رحيق القرآن والتأدب بادب السنة النبوية المطهرة ، فهذه

الاحوال مما سأتى عليه الآن هي وسابقتها كلها أحوال
ومقامات سامية آخذ بعضها برقاب بعض ولا ينتجها ولا ريب
غير رقى الشعور الدينى السامى والايمان الكامل الذى يتطلبها
ويستلزمها بالقساوي واحدة واحدة

وشرح هذه الاحوال الذوقية النفسانية العظيمة المتسامية
المرتبطة هي وسابقتها من النية والاخلاص والمحبة أيما ارتباط
كأنها الحلقة المفردة والتي هي من أهم شروط الاوصاف الدينية
وآداب النفوس السامية حيال عظمة الله جل شأنه وعز سلطانه
مما يضمن للمرء المتصف بها ولا ريب النجاح والفلاح في كل
الشؤون الدنيوية والاخرية ويشرح صدر المؤمنين وينتج
افئدتهم هي ان « الرجاء والخوف » رأس العمل ، والرجاء
وصف من اوصاف النفس عند ما تدرك ما وراء الايمان
والتقوى والاخلاص والمحبة الى أشباه ذلك من مقامات عظيمة
ودرجات عند الله تعالى عليه كما هو مدلول الكتاب العزيز
والسنة النبوية الشريفة فتعمل رامية وثقة بنوال منازل القرب
ودرجات الاعزاز والاكرام ونعمت للغاية ونعمت الواسطة
الموصلة لها من العمل الصالح حتى قال ابن عطاء الله السكندري

رحمة الله عليه في حكمه المشهورة في تعريف الرجاء الحق
« الرجاء ما قارنه عمل والا فهو أمنية »

أما تلك الحال الشائنة من التمني بلا عمل كالذي يقول في
مثلا من أمر الدنيا الشاعر :

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن إلق دلوك في الدلاء
فلا ثمرة لها البتة ولا هي بذات جهورى وشرمها تلك
الحال الزرية من اقتحام الموبقات واقتراف الذنوب وكونا الى
عفو الله ونوال منقרתه فهي جهل وحمق وضلال ميين وذنوب من
الذنوب عظيم لانه جرأة على الله والجزاء كما بينه تعالى من جنس
العمل والثمر من نوع البذار ويقول الشاعر

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس
ولقد قال الصوفي الكبير معروف الكرخي رضي الله
عنه « طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة
بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق »
فالتمسك بالعمل بالاسباب حسية ومعنوية ينتج السلامة
ويقوى الرجاء بمكس حال التماهي في المعاصي غرورا مع الاصرار
والتمني ورجاء العفو بلا ندامة على التفريط في جانب الله تعالى ولا

اقلاع وهذا لا ينافي ما جاء في فضل الرجاء رجاء غفران الذنوب الذي هو من حق الله تعالى وحده المطلع على السرائر والذي يخاطب عباده التوَّابين الأوَّابين بقوله تعالى « يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا » فمع وجوب عدم القنوط من رحمة الله وعفوه وغفرانه ووجوب الرجاء وحسن الظن بالله مع هذا كله لا بد من التوبة والاقلاع عن المعاصي والذنوب ظاهرها وباطنها وصريح الآية « انما التوبة الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب » أما التمني والتماهي في الضرر والشور بنفوس متصلة وقلوب متحجرة مصرة على الخطايا فله قسطه من الحساب والعقاب كما أن للنفوس اللوامة والوجدانات الاوَّابة نصيبها من رحمة الله وعظيم غفرانه للخطايا والذنوب « ومن يغفر الذنوب الا الله » بشرط عدم الاصرار والاقلاع عنها بتاتا بتوفيق الله وهداياته وعزيمة النفس واواقيتها حتى تستكمل النفس شروط التوبة النصوح خوفا من الله تعالى ومحافة الله كما جاء في الاثر الشريف رأس الحكمة .

وحال هذا الفريق من عظيم أحوال « الخوف » من

الذنوب والخطايا الذي هو في مقابل الرجاء في استقامة احوال
الآدميين وحسن سلوكهم الديني والدنيوي لانه لعلم المرء
المتأدب بالادب الديني المتصف بالايمان اليقيني بما جعل الله
عز وجل في مقابل ارتكاب المعاصي والذنوب والمظالم من
المقوبات الشديدة الاخرية والدنيوية فحسب معرفته بعيوب
نفسه وشعوره وجدانه بما هو واقع فيه يخاف الله رب العالمين
ويتقيه في نفسه فيكون له من ثم رادع وواجر منه اليه عن
الاقدام على اقتراف ما يقبح الايمان به من الافعال القبيحة
والاعمال الشائنة فينجو بذلك من عذاب الله ويستقيم له من
ثم عوده . على ان حال الخوف ومقامه عند المارقين كبير لان
لاحوال التقوى والمحبة لذة من نفوسهم ووقفاً من قلوبهم
يجمعهم أبدأ في حال من الاحترام والتعظيم والورع والحشية
عظيم جداً فهم أبدأ يعملون على رجاء كما يعملون على خوف
خوفاً من الحرمان من تلك المقامات العالية فيجدر بالمسلم بمقتضى
أدب دينه النفسي أن يشعر قلبه مخافة الله تعالى ويتقي كل
ما يوجب السخط وغضب الرب تعالى ومن خاف سلم ورأس
الحكمة كما تقدم في الحديث مخافة الله تعالى والذي يخاف الله

يلجأ اليه لأنه لا مفر منه الا اليه فيممل بما به أُصر و ينتهي عما
 عنه نهى وزجر ولهذا قال الحكيم أبو القاسم الصوفي « من
 خاف شيئاً هرب منه ومن خاف الله هرب اليه » وهذا
 اللجوء الى الله تعالى خوفاً من الله يقتضي ولا ريب تزكية
 النفس بتأديب الجوارح وتطهير البواطن من كل خلق ذميم
 سواء مع الخالق تعالى أو مع الخلق من ذوى الحقوق عليه
 فتصير المعاصي والرفائل الخفية والظاهرة حيال هذا الخوف
 مكروهة ممقوتة مستهجنة مطرودة شياطينها من النفس عند
 المرء الذي يشعر من نفسه بازاء هاته الشرور والمساوى « انه
 كالسقيم العارف بدائه فيجتئى مخافة طول السقام » كما قال
 الحكيم الصوفي المشهور ذوالنون المصرى

وها هنا يأتي دور « المحاسبة والمراقبة » محاسبة النفس
 ومراقبتها في الاعمال والاحوال التي يجريها المرء أو تتصف بها
 نفسه لان المرء لما يعلم ان الله تعالى يحيط بكل شيء علماً خافيه
 كباطنه وفي القرآن « واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه »
 والآية الاخرى « ويعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور »
 فلهذا يجب على كل امرئ عاقل أن يحاسب نفسه ويراقب

ربه حتى ينال السعادة وتكثر حسناته « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » « يوم تجدد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمدا بعيدا » ناهيك أن في هذه المحاسبة وتلك المراقبة استصلاح حال الدنيا وهو سر تجويد كل الاعمال الاجتماعية فيها فتنتظم للمرء حال دنياه وتصفو له موارد حياته من الاكدار والمكورات الذميمة كما تعظم له الحسنات في الآخرة .

وهذه المحاسبة للنفس انما تكون عادة للمقل المتعلم المثقف المسيطر عليها لانه لما كان هذا العقل الوهبي منه والكسبي قد جعل بفضل الله كالسلطان الوازع الذى يحسن سياسة ملكه ويتقن تدبير دولته فهو يوظف للنفس الوظائف المبينة في الشرع والادب النفسى ولا يكتفى بذلك بل لمعرفة بعظم المسؤولية يراقبها ويحاسبها حسابا دقيقا اذا هي قصرت أو أهملت أو خالفت أو خانت وهذا العمل من العقل الرشيد له أسوة بما يجرى من الاعمال الدنيوية فيما بين الخلق وبعضهم مما هم فيه مسوقون من الارتباطات العملية بل هو لعمري أعظم من ذلك فيما يجب أن يكون بين المرء ونفسه لان الفلاح

والنجاح مقرونان بهذا مرتبطان به في كل تلحم الشؤون فلذلك
كان سبب كل خير ومفتاح كل سعادة وهناء فيجب على كل
انسان عاقل يؤمن بالله واليوم الآخر والحالة هذه أن يقوم
بمحاسبة نفسه التي بين جنبيه والتي هي كما في الحديث الشريف
تخطب عليه ولقد حفت الجنة بالمكاره كما حفت النار بالشهوات
فلا ينبغي للمرء أن يغفل أمر مراقبة نفسه في هذا العالم
ويدقق في مراقبتها ومحاسبتها ومجاهدتها في كل حركاتها
وسكناتها وشهواتها ونزعاتها الاجتماعية إذ كل نفس من أنفاس
عمر الانسان جوهره نفيسة لا عوض لها ويمكن أن يشتري
بها كنزاً من الكنوز لا يتناهي نعيمه فانقضاء هذه الانفاس
ضائعة أو صرفها فيما يوجب الخسران والهلاك لا تسمح به نفس
عاقل فوجب المراقبة والمحاسبة والمعاينة والزجر والتوبخ للنفس
على تقصيرها وانزاجها في المفسد حتى ترجع عن غيها وتؤوب
الى الصواب والرشاد من قريب لان العمر لا يعلم أجله الا
الله تعالى فاذا أصبح المرء فليشارط نفسه على عمل الخير واذا
أمسى فليحاسبها على ما أتت من عمل ويوبخها على التقصير
والتفريط وليعلم ان عليه من الله رقيباً عتيداً وأنه مجزى بعمله

وانه تعالى شاهد أصره قائم على كل نفس بما كسبت ولقد جاء في الحديث الشريف « أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » شعر

ولا تحسبن الله يفتل ساعة ولا ان ما تخفيه عنه يفيب وهذا الحال حال المحاسبة والمراقبة للنفس يقتضى بالطبع تلك الحال العظيمة من « التوبة » (والله يحب التوابين) مما قد يقترب من الخطايا والذنوب ، ومقام التوبة وتجديدها والاستغفار من الخطايا والدعاء والضراعة الى الله لكشف العيوب والذنوب والمون على تسديد الاعمال وتجويد الافعال أصر منصوص عليه في القرآن المجيد والسنة النبوية الكريمة (وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وانما للتوبة آداب وشروط أهمها اصدق العزيمة واخلاص النية ورد المظالم وغسل الذنوب بماء الندم ودموع الاسف والاشفاق والاستغفار والضراعة الى الله بقلب مملوء الخشوع والانابة والاستحياء من الله تعالى فيما قد فرط من النفس وبدر من الجوارح والتوبة النصوح تخرج العبد من حال البعد الى حال القرب بل تجعله يلقى الله وليس عليه شاهد بذنب ، وباعث التوبة بعد هداية الله ان الذنوب حجاب

تُحجب القلب وتُحرِّمه حلاوة الايمان الذي يزيد وينقص تبعاً
 لاحوال النفس في تشبهاتها وتُحرِّمه ثمرة الاعمال وحبوطها فاذا
 كان الوجداني ممن ذاق لذّة الشعور والاحساس بواسطة ماهو
 حاصل لديه من قوة الايمان والمعارف الذوقية المكتسبة تألم
 لوقوع الذنب واقتراف الخطيئة فحصل الندم وكثر التوبخ
 الوجداني للنفس بقدر معرفته وحكمه على الاشياء وتعموم
 المعاصي واحباطها للاعمال فيسرع من ثم الى التوبة ويبادر بها
 من قريب وهذا كله داخل فيما عرفنا الله عنه بقوله تعالى
 «وليت التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم
 الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار» (انما
 التوبة للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) فالتوبة
 التي أوجبها الله على عباده ويحبها منهم ويحبهم من أجلها هي
 التوبة التي تكون عن ارادة وعزيمة هي تلك التوبة النصوح
 التي لا يعود المرء بعدها الى ما اقترف من الآثام ثانية لان
 العود اليها من أقبح أنواع الذنب والجرأة على الله والتعرض لكبير
 سخطه قال يحيى بن معاذ الرازي «زلة واحدة بعد التوبة أقبح
 من سبعين قبلها» فالتوبة النصوح كما قال الاستاذ أبو بكر

الواسطي رحمه الله « أن لا يبقى أثر من آثار المعصية سرّاً
وجهرّاً » وقال ذوالنون المصري ذلك الصوفي الكبير « الاستغفار
من غير اقلاع توبة الكذابين » على ان من يمتلك قلوبهم نور
الايمان وتعلأ أفئدتهم أضواء التقوى على أشرف أحوالها
مدركين لتلك المبدأ الذي يرتكز على قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ترك الخطيئة أهون من طلب التوبة فاعظم غفلة
النية » قد يكون لهم من ذلك أعظم درع وحرز حريز يقيمهم
شر الوقوع في كبائر الذنوب وصفاتها وانما لما يعرض عادة
للنفس البشرية في هذا العالم من الموارض لزم أخذ الحيلة
ولزم اشمار النفس دائماً بالتوبة والاستغفار مصداقاً للآية الشريفة
(وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) ولقد جاء
في الحديث عن سيد المصومين من رسل الله قال (انه ليغان
على قلبي واني لأستغفرن الله في اليوم سبعين مرة) وليس في
هذا الا زيادة قوب من الله وهداية في سبيله وتمسك بالخير
ونفض الايدي من الشر والغفلة حتى تستيقظ النفس دائماً
الى تجنب الشر خوفاً منه مهما صغر وحقر والمحاسبة والمراقبة على
ما يفرط منها والقيام بادراع هذا الدرع النفساني المنيع من التوبة

والتحرز من الاحوال الكبيرة التي تطرأ على القلوب والنفوس
 من مجريات الاحوال الاجتماعية التي قد تصادف الانسان
 أو هي في الواقع من ملازمات العمران البشري والنعم عايها
 حتى لا تمود النفس الى مثلها أبداً وتعتمد من ثم الكمال
 النفسي ازاء حكم الوجدان الشريف والشرع المنيف وهذا البحث
 طويل قد وفاه الامام الغزالي حقه في الاحياء وصاحب غنية
 الطالب الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه المشار اليه آنفاً
 وغيرهما من أجلة أئمة الاخلاق الدينية

أما الصبر فلك الذي ذكره الله تعالى في محكم التنزيل
 ومدحه وبشر من يدرع به (واصبر وما صبرك إلا بالله)
 و(بشر الصابرين) (إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب)
 الى آخر ما جاء في ذلك من الآيات والحكم فهو من أرفع
 المقامات في أدب الدين الاسلامي النفسي وهو خصيص
 بالانسان لتوسطه في خلقه بين الملك المستغنى عنه لكماله
 والبهيمة التي لا تقدر عليه بارادتها فاذا قد خص فضله وفضيلته
 بالانسان كما خص أجره به وبشر بذلك أيما بشارة فمن صبر
 وملك نفسه في جميع أحوالها وزعاتها بمزيمة ثابتة وارادة قوية

وقلب منيب دخل في جملة الصديقين والملائكة المطهرين ومن
انعكس أمره انخرط في سلك البهائم وباء بالخسران وبهت عن
صفة الكمال

والصبر يكون بحفظ الحواس والجوارح عن الاندفاع في
الشهوات المنهي عنها وتحمل مشاق الأمور التي لا حيلة لدفعها
بجنان ثابت وجأش رابط بلا تملل ولا تسخط على الاقدار
الجارية من قبل الله تعالى وتصاريفه في خلقه خصوصاً من
حيث الأرزاق والأمراض على أن التزام الصبر والرضا عن
الله مع التحايل على دفع الأمور بالتي هي أحسن من مثل
السعي والتداوى بما أُرشد إليه الشرع والعرف الحسن قد
يفتح للمرء الخير كل الخير دنيا وأخرى فبالصبر عن الشهوات
تنال الدرجات وبالصبر على المكاره توفي الأجور بغير حساب .
وامظم فضل الصبر دينياً جعل شطر الإيمان كما جعل
شطره الآخر (الشكر) وهذا الحال أي حال الشكر لله تعالى
قد يرى لعين المؤمن المخلص لله أنه تعالى حقيق به على كل
حال لأن نعمه المتواصلة على الإنسان قد تكل عن حصرها
وشكرها اللسان البليغة وأن له تعالى شأنه حتى في الضراء

عند التمعن وتدقيق الفكر طافاً خفية وحكما تبحر فيها العقول
وتقتضى عند شؤى النهى وأولى الالباب غاية الحمد وغاية
الشكر طلباً للمغفرة والمغافاة وتحصيل الاجر في نعمه المتواصلة
بالحق علينا ولقد قال الله « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها »
وقال تعالى في زيادة النعم بالشكر عليها « ولئن شكرتم لأزيدنكم »
وقال تعالى في جزاء الشاكرين « وسنجزي الشاكرين »

ومقام الشكر ينتظم ككل المقامات الدينية والاحوال
النفسانية من علم وحال وعمل ، فالعلم بالعلم بأن كل النعم
الكونية المتواصلة على الخلق من الانشاء والایجاد واخراج
الارزاق والاقوات حتى الهواء والنسيم اللیل الذي نستنشق
ثم تنمية الابدان وتقوية العقول وهدايتها الى احسن الامور
الاجتماعية والعلمية وارسال الرسل الى آخر ما في الباب من
النعم المتواصلة بما لا يحيط به المد أو يحصره الوصف فكل
هذا من جلائل النعم التي يجب شكر الله عليها وحمده والثناء
عليه تعالى من أجلها بما هو أهله من المحامد والتزیه لذاته
والتمجيد لاسمه عز وجل فمن ثم يكتسب الحال أى الاتصاف
ورسوخ ملكة المبدأ الموجب عند المرء العمل أى القيام بأداء

الشكر الجميل والحمد لله تعالى بالجنان الذي هو مصدره واللسان الذي هو موره غالباً ، وهذا الحال من الشكر ومقامه الجليل تتفاوت فيه الهمم بحسب اتساع نطاق عقول الخلق وفهمهم للصنع العظيم والتدبير المحكم الذي يتمتعون بنعمه ويرتمون في بحاجه من فضل الله الحكيم العليم الذي يجازى الشكور ويشكر لعباده المؤمنين وتشمل رحمته العالمين ويثيب الحسنه بعشر أمثالها ، فالشكر واجب على كل حال لله تعالى رب العالمين رب القوة والمظمة رب الرحمة والمطف والحنان لانه اذا كان الانسان مهما انحط أدبه وسفلت نفسه قد يشكر الى من يحسن اليه أدنى احسان للقاعدة المشهورة شرعياً وأدبياً من ان شكر المنعم واجب فالرب تعالى مع كل هذه النعم والرحمات والالطاف المتواصلة الصادرة منه تعالى الى خلقه أخرى وأجدر بأن يشكر ويحمد لدى أهل الايمان بأنواع الشكر لانه المستحق بما نصب من دلائل عظمتة وفيوضاته العميمة لجميع المحامد والثناء والشكر ولذلك جاء في الآية « اشكروا لي ولوالديك » ولكن كثيراً من بني آدم لاجهالات الغالبة والضلالات اللاحقة ينأى بجانبه ويعرض عن شكر

المولى أو لا يشمره نفسه بالمقدار اللازم كما قيل

ومن الرزية أن شكري صامت عما فعلت وأن برك ناطق
وأرى الصنيعة منك ثم أصرها انى اذا ليد الكريم لسارق
والشكر للناس فيما يستحقون عليه الشكر والثناء واجب
بحق الله تعالى فيه ولذلك جاء في الاثر الشريف « لم يشكر
الله من لم يشكر الناس »

ومن أجل المقامات وأجل الاحوال النفسانية مقام
« التوكل » وقد قال الله تعالى « وعلى الله فليتوكل المتوكلون »
و « من يتوكل على الله فهو حسبه » وهذا الادب النفساني
ككل أحوال النفس الاخرى الواجب التأدب بها مع الله
تعالى يبنى على علم راسخ بقدرة الله عز وجل العظيمة الغالبة
وجميل صنعه وتديره للاشياء كلها بما لا يمكن لعقل انسان ان
يستكنه على التمام دقيق الطاف الله وعظيم رحمته وعونه وعنايته
بخلقه فترى النفس ان هناك منه تعالى لا من سواه سنداً أقوى
وعضداً نصيراً يجب ان يعتمد عليه ويستعان به في كل الاحوال
والاعمال والجهادات الحيوية لا على ما يفهمه بعض جهلة
المتصوفة من الاستغراق في رسوم العبادة وترك العمل والسعي

والانقطاع جملة عن ذلك وترك التداوي من الامراض مثلاً وكذلك تلك الاحوال والاعتقادات الفاسدة من العوام بالنظر الى الاستعانة بالاولياء والصالحين ورمى الجاهل عليهم وهم يبرأون الى الله من تلك الضلالات الى أشباه ذلك من أحوالهم الفاسدة فان هذا وذاك كله ليس من التوكل في شيء بل هو من البله والتعنّت بالنسبة الى أحوال جهلة هؤلاء المتصوفة ومن شر أنواع الجهل والضلال والجرأة على الله تعالى بالنظر الى أحوال العوام بل هو ضرب من الشرك الخفى وعدم التوكل الحقيقى وصرف الوجوه عن غير المعبود الأعظم جل جلاله الذى له وحده التصريف الاعلى ولا شفيع الا من بعد اذنه لمن ارتضى فالمراد بالتوكل على الله إنما هو قيام الناس بتدبير مصالحهم واثقة نفوسهم مع ذلك بمعونة الله لهم في كل أمورهم وحلول بر كته تعالى في جميع أعمالهم ومساعدتهم وظفر نفوسهم بمبتغياتها الحقّة المبنية على المبادئ الصحيحة الشرعية في القيام بكل الاعمال وهذا قد يرشد اليه بالنظر الى ما أنا بصددده الآن من حيث المساعى العملية معنى الحديث الشريف « لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفاصاً وتروح

بطاناً « فان للطير ككل ذى حياة في سميها على أقواتها وأرزاقها
 حركات موزونة وطباع منتظمة تبكر لها بكون الغراب
 وتجرى فيها كحل الرهان ثم تأوى في نهايتها الى أوكارها
 واعشاشها ويسرى ان هذا هو الذ وأسعد حال تراح اليه
 النفوس ويوافق ناموس الله في خلقه مما قد تجد فيه النفوس
 الانسانية المتدنية راحتها ومعونة الله حقيقة لها فيها ولذا جاء
 في الحديث الشريف للبحث والترغيب (بارك الله لأمتي في
 بكونها) فالتوكل لا ينافي البتة ملازمة الاسباب التي لا تنكر
 وحديث أعتقها وتوكل مشهور مبين لفضل الاسباب غير
 قاصح في فضل التوكل ولا في معناه الديني لانه خروج عن
 الاسباب في الباطن ورجوع اليها في الظاهر وهذا منتهى
 درجة الكمال في التوكل عند أرباب هذا الكمال الديني
 فشواهد الكتاب العزيز كلها أسنة ناطقة دالة على الاسباب
 ثم على مسبب الاسباب فالإتصاف بالتوكل عمل بالاسباب
 وركون الى مسبب الاسباب وهذا هو المبدأ الصحيح في
 استحباب التوكل الذي يأمر به الله ويجب اشعار القلب به في
 جميع الاعمال والاحوال وان كان ركونا الى الله ذى الطول

والحول وحده ، ولا ريب ان هذا الحال من الاتصاف بالتوكل
 مثمر لاجل النتائج في كل الامور الحيوية الحسية والمعنوية
 وهو من الامور الخفية ككل الآداب النفسانية مع الخالق
 فيكون القلب معلقاً بالخالق وحده مسبب الاسباب ومعين
 العباد متوكلاً عليه واثقاً تمام الوثوق بعظيم فضله وكبير عونه
 والجوارح متأدبة بأدب الشرع في التمسك بالاسباب عامة
 بها ونعم رأس المال التوكل ونعم ما يجنى من ثماره وفوائده
 بالاسباب وأرباحه ولقد قال الله تعالى « وفي السماء رزقكم
 وما توعدون » وقال تعالى « فاسمعوا في مناجياتكم واكلوا من
 رزقه » وقال تعالى في اشعار القلوب الاطمئنان ومبدأ التوكل
 « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » والآيات الاخر الصريحة في
 التوكل وأمثالها لتدلنا صريحاً على حقيقة المطلوبة له تعالى منا
 من حيث وضع ثقتنا بفضله وعونه ونصره في كل أمورنا وهو
 تعالى نعم المون ونعم المضد ثم العمل بالاسباب ليتم أمره في
 خلقته بحسب ما جعل من سنن لها ونظام مما لا سبيل الي
 تبديله ولا تغييره

ومن أشرف المقامات الناجمة عن التقوى ومعرفة النفس

بمقارنة هذا العالم وحياته الفانية وشموورها بعظم جلائل النعم في
الدار الآخرة «الزهد» الذى هو انصراف الرغبة الحقة النفسية
عن حظوظ هذا العالم الفانى وملذاته غير الباقية انصرافاً قليلاً
بتقصير الامل بالمعنى الصحيح والزهد فيها بما ترى آثاره في
الاحوال العملية بمراعاة البساطة والزهادة في بئار مقامات
الحياة وحظوظ النفوس فيها اذ لا تتفخل والتأنق مساويهـما
وكراهيتهما في الدين كما أن للزهد والزهد حكمهما وفضلهما
ورغبة فيما عند الله من الثواب العظيم والنعيم المقيم وصرفاً للنفس
عما يفسد عليها أحوالها الادبية وأعمالها المادية ويباعد بها عن
سلوك طريق الآخرة وحسن السلوك في الدنيا .

والزهد كالتوكل ليس معناه ترك الاسباب أو كل حظوظ
النفس في هذا العالم بل قد يكون المرء غنياً وزاهداً قانعاً في
وقت واحد كما قد يكون لا غنياً ولا متورعاً زاهداً ولكن
حشو قلبه ونفسه الطمع والشره والجشع والغل والحسد وحب
السرف والترف في زينة الدنيا وزخرفها اذا هي أقبلت عليه مع
قلة همته في العمل وحب البطالة والكسل وهذا هو شر حال
للناس ، عن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال : قلنا يا رسول الله

« أي الناس خير قال كل مؤمن محموم القلب صدوق اللسان
فلما يا رسول الله وما محموم القلب قال التقى النقي الذي لا غل
فيه ولا غش ولا بنى ولا حسد — قلنا يا رسول الله فمن على
أثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة »

والاخبار والآثار في فضل الزهد كثيرة كقوله عليه
الصلاة والسلام اذا رأيت العبد أعطى صمتاً وزهداً في الدنيا
فاقتربوا منه فانه يلقي الحكمة وقال تعالى « ومن يؤت الحكمة
فقد أوتي خيراً كثيراً » ولقد قيل ان المطلوب من الزهد في
الدنيا ما يفهم من الآية الشريفة « لكيلا تأسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما آتاكم » اذ الزاهد حقيقة لا يفرح بموجود من
متاع الدنيا ولا يتأسف على مفقود منها بحسب المراد منه
هاهنا ، وفسر الامام الثوري الزهد بقصر الامل في الدنيا فقال
« الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولبس العباءة »
وليس قصر الامل أو بغض الدنيا النفسي الذي فسروا به
هذا الزهد هو ابطال العمل أو الكف عن النعيم المباح
والاستعمار المطلوب للدنيا وفي الاثر الشريف « اعمل لدنياك
كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » بل

هو حالة تقوم بالنفس المتدنية ترى صاحبها الدنيا على حقيقتها
وحقارتها وتصر بحفظها ومتاعها القليل معها كانت ومهما وجب
وندى الشارع الى السبي فيها والدمران لما لبقاء الجنس وحفظ
النوع سزاً مكرماً فيرغب المرء من ثمّ فيما عنده الله ويقبل
بخطره وأمله وعواطفه الخفية الى تحرى ثواب الله ومشية الله،
الى تلك السعادة الحقيقية رامياً في كل مطاوب اعماله الدنيوية
وساعيه العملية الى ما يجنى من الربح العظيم في الآخرة ولا
ريب أن من يبلغ تلك الدرجة العظيمة من الزهد اتصف
بالاحسان وفاز بأجل المقامات والآداب النفسانية والراحة
البدنية مصداقاً للعهد الشريف « الزهد في الدنيا يريح القلب
والبدن » لأن الدين بها جاهد في الدنيا وحصل من متاعها
ونعيمها الحلال المطاوب فهو وان عد ذلك كله من اكبر نعم الله
عليه الواجب شكرها يراه ايضاً صغيراً حقيراً بالنظر الى
ما يستقبله من نعيم الجنة الذي أعده الله لعباده المؤمنين وصرح
الآية الشريفة بقول « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أمين
جزاء بما كانوا يعملون »

وآخر ما قصدت عنده من تلك المقامات الأدبية النفسانية

ويجدر أن يختم به هذا القسم من أدب النفس مع الخالق تعالى
ومالها من أحوال ومقات يجب اتصافها بها بحجة سبحانه وتعالى
« الفكر » والتدبر والتأمل والاستبصار في « عظمة الملك
والملكوت » لأن الإسلام لما كان « الدين القابض » الذي
يستند على العلم والعلم يقتضي انطلاق العقل بالفكر والتدبر في
كل الأحوال والمقامات وسائر الأعمال والمصنوعات الطبيعية
والإنسانية لذلك جاء في القرآن الشريف مطلوباً منه مندوباً إليه
في غير ما موضع من الكتاب العزيز كما في الآية « أن في خلق
السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لآيات لاولى
الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم
ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا
باطلاً سبحانه فكنا عذاب النار » ولذا جاء في الحديث الشريف
« تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة »

ويطلب الفكر أيضاً دينياً عندنا في أحوال النفوس
ومعارفها وأفعالها قال الفضيل « الفكر مرآة تريك حسناتك
وسئلاتك » وقال الحسن هذه الحكمة البليغة « أن أهل العقل
لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى

استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة ، وقال وهب « ما طالت
فكرة اصريء قط الا علم وما علم قط الا عمل » وقال عمر بن
عبد العزيز « الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادات »
وقال حاتم « من العبرة يزيد العلم ومن الذكر تزيد المحبة ومن
التفكير يزيد الخوف » وقال ابن عباس « التفكير في الخير يدعو
الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه »

وقال الشافعي رضى الله عنه « استمعينوا على الكلام
بالصمت وعلي الاستنباط بالفكر » وقال أيضاً « صحة النظر في
الامور نجاة من الغرور ، والعزم في الرأي سلامة من التفریط
والندم ، والروية والفكر يكشفان عن الحزم ، والفتنة ومشاورة
الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ، تفكر قبل ان تعزم
وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل ان تقدم » وقال الشاعر :

اذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

ولا غرو فانه باطالة الفكرة والتأمل يحصل للانسان العلم
اليقيني والحكم القطعي أو الذي ترتاح اليه النفس فيبعد عن
التقليد الاعمي في الاحوال والافعال والعلم وكما اتسع نطاق علم
الانسان ومعارفة المكتسبة ومعلوماته التي يحصلها ويستفيد بها

من عجربات هذا العالم وحوائثه سما فكره وعلا في الافواق
 الاجتماعية والاحوال والمقامات الدينية كعبه فحنى من
 ثم دينياً ودينيوياً أشهى الثمار الفكرية والتأملات العقلية
 والسماعات والافواق فازداد بهذا كله قرباً من الله وبعداً
 بالنفس عن مساوى حالاتها وسفاسفها المستقاة من شرور
 العالم فينير الله بهيرته ويجلي قلبه ويرفع شأنه ويسدد خطاه في
 كل أعماله ويعلاً ما بين جوانحه نورا وحكمة روحانية يستلذ بها
 ويطيب بما لا يمكن ان تعاد لها عنده لذة أخرى أو يساويها
 سرور ثان ولقد قال الامام الجنيد ذلك الصوفي الكبير هذه
 الحكمة الفالية والموعظة الحسنة العالية قال « أشرف المجالس
 وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنفسيم
 المعرفة والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن
 الظن لله عز وجل ويا لها من مجالس ما أجلها ومن شراب
 ما ألذ طوبى لمن رزقه ^(١) »

(١) الاحياء للغزالي



﴿ الباب الثامن ﴾

﴿ خلاصة ﴾

مبادئ الاسلام في التوحيد والاعتقادات - الطهارة - الصلاة
الزكاة - الصيام - الحج القرآن - العلم - العمل - شأن الحكومة -
النفس وآدابها مع الخلق ومع الخالق

رأى القارئ الكريم مما سبق أن الاسلام قد توفرت
له في اعتقاداته اسمى المبادئ التوحيدية والتنزيهية بما يمكن
أن يفخر أهله به لأنه مبني على اعتقاد إله واحد عظيم هو
صانع الكون الأعظم ذلك الإله تعالى الذي طالما بهرت عقول
الفلاسفة والحكماء من المتقدمين والمتأخرين أمام ماله من آثار
العظمة والجمال في الابداع والاتقان :

تسبح ذرات الوجود بحمده ويسجد بالتمظيم نجم وأشجار
ويبكي غمام الغيث طوعاً وآمراً فتضحك مما يفعل الغيث ازهار

فالقرآن المجيد دلنا بأجمل عبارة وألطف إشارة الى أن

لا نعبد الا هذا الإله العظيم والصانع الحكيم وحاج العرب وغير
العرب بان ما هم عليه من الشرك الظاهر والخفي والابهام
والايهام في المبادئ والأصول الاعتقادية ليس مما يرضاه الله

لعبادته وليس من كمال الدين الحق دين الفطرة التي فطر الله
الناس عليها في شيء ، فتزويه الله تعالى في الاسلام من اتى
ما ترى اليه العقول الكبيرة وتقبله الفطر السليمة متى ما علم
على حقيقته كما أن قوله في القضاء والقدر من أوسط ما يعتقد
بالنسبة الى أفعال العباد وخلق رب العباد :

وقامت بها الاشياء ثم لحكمة بها احتجبت عن كل من لاله فهم
ولا ريب ان الله تعالى لما تفضل على العقل البشري
بالادلال على نفسه بواسطة رسله الذين اصطفاهم واختارهم
مبشرين ومنذرين لخلقهم وجوب بالضرورة الايمان بهم واتباع
ما جاؤا به من عنده وأمرُوا بتبليغه من الشرائع للناس والذي
جاؤا به معززا بالحجج مؤيدا بالمعجزات سهل بسيط يمكن
لكل انسان أن يعتقد به ويعمل به ليستمد سعادة كاملة بيهتان
للذين يخالفون عن أمره ويعملون السوء عذاباً أخروياً
والجزاء من جنس العمل ولا توروا ذرة وزر أخرى .



والعبادة الاسلامية هي كاعتقاد هذا الدين بسيطة وسهلة
ومفيدة ، فالطهارة ليس أحسن ولا ألطف منها في النظافة

وصحة البدن والله تعالى يحب المتطهرين ، والصلاة تضرع
ودعاء وخشوع وخضوع أمام رب العالمين وفي حضرته وما
يجب أن يمر المرء به باطنها وهي عماد الدين من استحضار
القلب عظمة الرب والاخلاص له تعالى مثمر للفوائد الروحية
مفيض على الجوارح النعم والالذة والتقوى في كل الاعمال
والشؤون ، وكونها خمس صلوات في اليوم واليلة ليس أفيد
ولا أجلب للراحة القلبية من عناء الاعمال منه إذ يفتتح المرء
نهاره بصلاة ويمر وسطه عند الزوال بصلاة ويأتي في عصره
كذلك بصلاة وينتخمه عند الغروب بصلاة ثم في النهاية يستقبل
ليه وأخذ راحته من الهجوع عند غروب الشفق ودخول العتمة
بصلاة العشاء ، وما زاد عن ذلك من الصلوات المكتوبة
والتطوعات فكاه حسن وكله مفيد ، فالجمعة لها فضلها ، والعيدان
لها منزيتهما وكذلك باقي ما أشرنا اليه من السنن في الجنابة
والكسوف والخسوف وغيرها

وفرض زكاة الاموال أراني لست في حاجة الى تبيان
كبير فوائده وجودة مبدأ تقريره دينيا على المسلمين فهو هو
عين ما يقوم عليه عمار الممالك من تحصيل الاموال من الافراد

الموسرين لتدبير الشؤون وتنظيم المصالح العامة ومساعدة الفقير
والمحتاج في الهيئة فزكاة الاموال والصدقات في الاسلام من
أفيد الاصول التي رُوِيَ فيها مصلحة الهيئة الاجتماعية

وكذلك فرض الصيام في شهر رمضان الذي أُنزل فيه
القرآن له مزيته علي النفس البشرية فان امسك الانسان
ومخالفته عادته في الاكل والشرب ونحو ذلك نهائياً كاملاً مع
صوني الجوارح وحفظها عن اللغو والهذيان فيه كسر لغائلة
شهوات النفس وتهذيبها وتذليل جماحها وبعبارة أخرى القوب
بها الى أفقها الأعلى والبعدها عن طبيعتها الارضية الحقةرة
ولذلك جاء في الحديث الشريف « صوموا تصحوا » وقال تعالى
« وان تصوموا خير لكم »

وفرض الحج الى بيت الله الحرام وكعبة ابراهيم الخليل
عليه السلام فضله أيضاً لا ينكر لان فيه اجتماع خلق كثير
من المسلمين سنوياً في صعيد واحد لذكر الله تعالى واقامة
شعائره ومناسكه في أيام معلومات وهذا كله له الفوائد الجلى من
حسن التأليف بين جماعات المسلمين والخروج بالنفس عن
أوزار الدنيا وغرورها بما يرمز اليه من خلع ثيابها الخبيطة

ولبس لباس الاحرام وذكر الله بالتلبية وعدم قتل الصيد او
الاشتغال بشواغل الدنيا وجدالاتها حتى تصبح للمرء حجة ويبر
نسكه ولذلك جاء في الحديث « من حج فلم يرفث خرج من
ذنوبه كيوم ولدته أمه »

ولما كان القرآن هو المحور الذي تدور عليه شؤون المسلمين
الدينية والتمديدية والتعاملية والآداب النفسية لذلك كان من
الواجب على كل مسلم تلاوته وتدبره لانه مدد العقول وسبيل
الهداية وعماد الاخذ بالشريعة المطهرة عند المسلمين حتى قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « افضل عبادة أمتي تلاوة
القرآن »^(١)

وآداب هذه التلاوة مفصلة فيما سبق من هذا الكتاب
كما ذكر فيه كذلك أدب الذكر ذكر الله تعالى والصلاة على

(١) جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث الجامع : اسباغ
الوضوء شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان والتسبيح والتكبير يملآن
السموات والارض والصلاة نور والزكاة برهان والصبر ضياء والقرآن
حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو بائع فوبقها

الذي صلى الله عليه وسلم لقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا
صابروا عليه وسلموا تسليماً »



ولما كان العلم نوراً والجهل ظلمة وأى ظلمة لذلك جاء
الاسلام حاثاً على طالب العلم مبهيناً فضل العلم على الجاهل أمراً
بالعمل به كما قال الشاعر

العلم نور فلا تهمل مجالسه واعمل جيلاً يرى فالفضل في العمل
ولا غرو فان العلم بدون العمل كالشجر بلا ثمر وأى عاقل
يحب أن يتصف بذلك « كثير علمه قليل عمله » فالعلم يطالب
في الاسلام لكي يترقى به أهله وتعلم بواسطته بين الناس منزلاتهم
واقدارهم بالنفع وينفعو بهم الدين الذي ارتضى الله تعالى لهم
وجعلهم أمة « وسطاً » ينبغي ان تكون بين الامم ذات علم قائم
وشرف هائم وتغار واعمال صالحات يردون بها من العالم
الجهالات وكشف الشبهات « كنتم خير امة اخرجت للناس
تأصرون بالمعروف ونهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »
« ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأصرون بالمعروف
ونهيون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »

وفي الباب باب أدب العلم عندنا معشر أهل الاسلام
آداب جميلة جمة ومباهي في العلم الذي هو فرض عين والعلم
الذي هو فرض كفاية غاية في السداد وكذا في آداب التعليم
والتعلم ولقد قال الامام ابن تيمية « ان الخير والسعادة منحصر
في نوعين في العلم النافع والعمل الصالح ولقد بعث الله محمداً
بافضل ذلك وهو المهدي ودين الحق كما قال تعالى هو الذي
أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى
بالله شهيداً »^(١)



والعمل في الدنيا على المعاش - والدنيا دار عمل وكدح -
لم يقرر الاسلام بالنسبة اليه الا أجود المبادئ والقواعد بالنظر
الى السعي على المعاش وتقرير المساواة في الحقوق وعدم التحكير
في الاعمال المباحة شرعاً من الصنائع والتجارة بل انه راعى في
كل حق الافراد وأحاط أعمالهم وحریاتهم فيها باحسن القيود
وأجود الشظامات

ولم يحرم البتة التمتع بالدنيا من الحلال وأنهى على الكسل

والتبطل والاحتكار باللوم وحث على العدل والاتقان وتجويد الصنائع
والإهمال والخذق فيها وتدير الارزاق وقم الاسراف وهما
المبذرين وسماهم « اخوان الشياطين » كما ذم البخل والشح في
أداء الحقوق في المال وأمر بحسن معاملة الخلق والنصفة حتى
من النفس وعدم الغش في السكيل والميزان الى آخر ما عنه إبان

وإذا كان الانسان في العالم - وهو سلطانه وأشرف خلق
الله فيه - له نظام طبيعي في الاجتماع لا يمكن أن يعيش بدونه
لذلك جاء الاسلام باحسن الآداب بالنسبة الى العشرة والخالطة
في مثل الزواج والارتباطات العائلية والتعاملية والصدقة
وتربية البنين والبنات بالقدوة الحسنة ومعاملة سائر الخلق
بعقل وادب ولطف وتسامح مع غير أبناء الملة ممن لهم مالنا
وعليهم ما علينا في الحقوق المتبادلة والشؤون التعاملية والروابط
الوطنية التي يقتضيها نظام الهيئة السياسية الوطنية والهيئة
السياسية الدولية ^(١) والآداب في العشرة والقرابة والصدقة
والجوار الى أشباه ذلك مفصلة فيما ساف فلا أعيدها هنا واقعد

(١) يراجع على هذا كتابي « حياتنا الادبية »

جاء في الحديث الشريف (من عامل الناس فلم يظلمهم ووعدهم فلم يخلفهم وحاشهم فلم يكذبهم فهو ممن كانت مسرورته وظهرت عدالته ورجبت اخوته وحرمت غيبته) وقال تعالى في تحسين هذه المعاملة في المشرة وما مثلها (ان الله يأمر بالعدل والاحسان واياته ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وقال في خلق رسول الله في معاشرته لقومه (لو كنت قظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر)

وقال تعالى (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) ويقال رسول الله في المودة (رأس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس) وجاء عنه عليه الصلاة والسلام (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقى وإن تكلم أخاك ووجهك اليه منطلق)

التي بالبشر من لقيت من الناس جميعاً ولا قهم بالطلاقة
تجن منهم به جنى ثمار طيب طعمه لذيق المذاقة
واقف جاء في الحديث الشريف أيضاً (صلة الرحم وحسن

اخلاق وحسن الجوار يصرف الديار ويؤذن في الاعمار)

ولما كان الناس لا يمكن أن يصالحوا فوضى بلا وازع
يؤمهم ولا شرع قائم وسياسة يرجعون اليها لذلك جاء الاسلام
بأحسن الاصول والقواعد في الحكومة ، فنبه في غير ما موضع
من القرآن الكريم على اقامة قسطاس العدل ، وجعل الاجماع
السلطان في مقام الخليفة عن النبي صلى الله عليه وسلم في مستند
السلطة التشريعية والتنفيذية بواسطة الرجوع الى مشورة
أساتين أهل العلم من الأمة واكابر عظماء الملة وجعل كذلك
من أدب المال من الوزراء والقضاة والولاة ومتولى الشؤون
الادارية والمالية ونحوها أن يكون القائنون بذلك منهم من
أعدل الناس وأكفأهم وانزههم واورعهم على حد قول الشاعر
كلهم سيد فمن تلق منهم قلت هذا أولى بحل وعقد
ولقد دلت الاحوال انه يجب ان يكون الجند الذاب عن
الدولة من خيرة ابنائها وان يكون هو وقواده على جانب عظيم
من الطاعة والتدريب والحمية المالية والشجاعة النفسية لدرجة
يمكن منها حفظ سياج المملكة الاسلامية داخلاً وخارجاً وان

يقتني به عناية تناسب شأنه العظيم ، وان للسلطان فوق ذلك حسن بصارته في تصرفه في رعيته واكتساب محبتها ولقد قال بعض (الحكماء طاعة المحبة افضل من طاعة الهيبة) وهذا لا يكون على احسنه الا باقامة العدل على اوسع معاني السكامة واحكامها واسد الوجوه واحزمها فيشدد في موضع يقتضي الشدة ويرخي فيما لا يضر فيه الارخاء وما دام العدل قائم السلطان والنظام جارياً مجراه باحكام فان يضر بعد هذا شذوذ المتسخطين من ذوى الاغراض والمطامع إذ العبرة بمخطة السير ومصلحة الجمهور ولقد قال بعض الملوك (انا املك الاجساد لا النيات واحكم بالعدل لا بالرضا واخص عن الاعمال لا عن السرائر . وكما ان السلطان ضرورى في الارض فالطاعة لنظامه واجبة لانه مهما كان الحال فان في عدم اطاعة السلطان والخروج على النظام بالمصيان اشأم المغاب السيئة التي تضطرب لها احوال الاجتماع البشرى والناس لا يصلحون فوضى ولذلك قيل (سعادة الرعية في طاعتهم لمكهم)

هذه جملة الآداب الاسلامية في الامور الظاهرية والشؤون

العملية وقد آتيت على تفصيل اهمها فيما سبق بالايجاز ولكن
هناك أس ذلك ومحوره الذي تدور عليه رحاه من نفس
الانسان المعبر عنها (بانا) تلك المضغفة في القلب والوجدان التي
متى ما صلحت صلح معها كل حال للانسان كما في الحديث
الشريف وقد تقدم.

فنفس الانسان لهذا وجب ان لا تترك وهواها بل يجب
ان تهذب لتصلح من وراء ذلك احواله واعماله كلها في سائر
ما هو مطلوب من الانسان في الشؤون العملية والامور المعنوية
على نحو ما سلف إذ اى فائدة يجنى الانسان اذا كان ظاهره
انيق في اموره الحسية والمعنوية وباطنه حشوه الخبث والمكر
والخدعة والكذب الى غير ذلك مما يفسد عليه ارادته واذواقه
فيشتقي

وادب هذه النفس كما تقدم ينقسم الى قسمين ادب
لنفس مع الخلق وادب لها مع الخالق ولولاها لما نجح الانسان
عمل ظاهري ولا قوى له شأنه الروحاني ، فالأخلاص والصدق
والامانة والعفة والرحمة والتواضع والحلم والترفع والشجاعة ونحوها
كلها لازمة للانسان ثمرة لعمله منبجحة لشأنه كله بعكس التخلق

باضدادها وارتكاب الشرور والمأسي فانها مثمرة حنظلا
 مخسرة الانسان ثالثة منه سررات نفسه ولذات وجدانه وان
 شعر بادىء بدء بانها طامس على نوع سعادة والله تعالى يقول
 « قد أفلح من زكاهما وقد خاب من دساها » والرسول صلى
 الله عليه وسلم يقول في الحديث « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق »
 أي النفسية والعملية التي بعث بها نبينا صلى الله عليه وسلم وبينها
 القرآن والسنة وما بني عليهما وقيس بقياسهما ووزن بميزانهما
 بحسب مقتضيات وتجنب الرذائل والشرور والفساد في الارض
 المنهي عنه شرعاً ومرفاً هو ما يجب ان نحققه لانفسنا لنحظى
 بين الخلق بصحيح السعادة وننجح في ماملاتنا وأحوالنا بين
 الامم ونحن خير أمة اخرجت للناس لا بأجسامنا ولكن
 بعبادى قرآنا وديننا وآدابنا العالية

لقد بان للناس الهدى غير انهم غدوا بجلايب الهوى قد تجلبوا
 أما أدب النفس مع الخالق لقول الرسول صلى الله عليه
 وسلم « من أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين
 الناس ومن أصلح سريره أصلح الله علانيته » وهو لا يكون
 الا من قوة الايمان وتقوى الرحمن فمن بلغ هذا الاوج فقد

فاز بأجل الأرب ونعمة الله التي لا تقدر ونضح له من ذلك
على جوارحه فيوضات الآداب السامية المبينة على الورع والحشية
والحب والاخلاص وصدق التوكل والتقوى الصحيحة الصادرة
من أعماق القلوب

وتقوى الله أفضل كل زاد لنفس بالمدى عرفت هداها
ولقد تبين لك مما سلف فضل تلك الأحوال والمقامات
الرفيعة التي لا يشارك فيها الحيوان الإنسان بل لا يشابه فيها الإنسان
الإنسان فمن الناس من لا يكون له من تلك الأفواق والمعارف
المعنوية إلا بمقدار ما يعلم من أسماؤها ويشرح من مسمياتها
ويثني عليها بما هي أهله ولكنها لن تتعدى لسانه ومنهم من
تملأ ما بين جنبيه وهو بعد لا يعرف ما هي أسماؤها والله في
خلقه شؤون

رب ان الهدى هداك وآيا تلك نور تهدي بها من تشاء
وإذا جعل تعالى الأكوام كما قال ابن عطاء الله السكندري
« ظاهرها غرة وباطنها عبرة » لذلك أصرنا الله تعالى بالنظر
والتفكير فيها وفي أحوال نفوسنا العجيبة في أعمالها وتصرفاتها
وميوها لنزداد إيماناً وتبصرة وعلماً ونوراً

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

وليس المقصود بهذا التفكير المعرفة السطحية والنظر
الظاهري وحملة الأبصار مع الذهول وفقدان نور البصيرة
فهذا ليس فيه العبرة المقصودة ولا تحصل منه الفائدة العامة
المرجوة من حسن التأمل والتدبر بلذة وشوق وتأثر وخشية
مما يفيض على القاب الممارف ويكسب الوجدان أشرف
الاحوال والمقامات والواردات

ان شمس النهار تغرب باليد ل وشمس القلوب ليست تغيب

تم الكتاب والحمد لله تعالى

وصلى الله على سيدنا محمد

وآله وسلم



رسالة

الحكم النبوية

في ادب الاسلام

رسالة الحكم النبوية



الحمد لله العلي الكبير والصلاة والسلام على البشير النذير ،
وبعد فهذه رسالة جمعت فيها مائة حكمة وحكمة من حكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصل كل هداية وينبوع كل حكمة وهي
مختارات من صحاح اسانيده الشريفة واقواله المنيفة في شؤون
الحياة الادبية والاجتماعية والدينية وقد شرحتها شرحاً عصرياً
وجيزاً ليسهل تناولها ولما سئمت الفرصة لاعادة طبع هذا
الكتاب رأيت ان اذيلها به لتكون « لادب الاسلام وقارؤه
الكريم مسلك الحتام »

« انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق »

(حديث شريف)

﴿ الحكمة الاولى ﴾

إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا ، فَيَرْضَى
لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ

اللَّهُ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَأَزْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَاهُ اللَّهُ
أَمْرَكُمْ وَيَخْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةُ
الْمَالِ

لعمري ان ما يرضاه الله سبحانه وتعالى لنا هو الخير كل
الخير وهذا الحديث الصحيح والحكمة البالغة يرشدنا بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى اكمل الآداب في السلوك الاجتماعي :
يقول عليه السلام ان الله يأمركم بثلاث خصال من الخير ذات
فوائد لكم وبينها كم عن ثلاث خصال من الشر فيها الضرر
اللاحق بكم لان الرضا والسخط كما قال العلماء عبارة عن الامر
والنهي ، فأول ما يأمرنا به تعالى من خلال الخير الثلاث هو
ان نعبد الله سبحانه ونخلص له الدين لا نشرك به في العبادة سواء ،
الثانية ان نعتصم بحبله أي نستمسك بالقرآن المجيد نعمل بحلاله
ونجتنب ما حرم علينا فيه ونهانا عنه ولا نختلف فيه فرقا وشيعا
لان في التفرق والانشقاق الضرر والضياع ، الثالثة ان ننصح
ولاة امورنا بان نعاونهم على الحق ونطيعهم فيه ونترك مخالفتهم
وننبههم ونذكرهم بلطف ورفق لما غفلوا عنه من الحقوق او
قصروا فيه من الواجبات وان ندفع لهم اموال الصدقات المعينة

على نظام الهيئة وسيورها وان لا نظريهم بالفناء الكاذب والتلق
البارد . اما الخصال التي يكرها لنا من هذا القبيل الاجتماعي
وينهانا عنها فهي ثلاث ايضا الاولى ترك المقابلة والخلوض في
اخبار الناس بالباطل والفيبة والنيمة وهو القيل والقال ، الثانية
كثرة السؤال بالتجسس والتجسس هما وقع او لم يقع ولا تدعو
الحاجة اليه من اخبار الناس واحوالهم الى اشباه ذلك مما همت
فيه البلوى ، الثالثة اضاءة المال وهو قوة لنا اي صرفه في غير
وجوهه الشرعية وتمريضه للتلف بالسرف والتبذير في النفقات
لانه فساد والله سبحانه وتعالى لا يحب الفساد بل سمي المبذرين
اخوانا للشياطين في محكم تنزيهه

﴿ الحكمة الثانية ﴾

أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِسْلَامًا مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ
وَيَدِهِ ، وَأَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَأَفْضَلُ
الْمُهَاجِرِينَ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ
جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ

الاسلام انما يدعو الى افضل الحلال واكرم الخصال

ويأمرنا بان نحلي بحلي الادب والكمال في معاملة الناس ومعاملة شرهم
 ونخالطهم وقد جاء هذا الحديث الصحيح ينبئنا نبأ صادقاً
 ويخبرنا خبراً يقيناً عن أفضل المسلمين درجة عند الله وأعلام
 منزلة في الهيئة الاجتماعية وارفهم كمياً في الفضائل الاسلامية
 ومعنى الحديث ان افضل المؤمنين أي أكلهم في الاسلام
 من نجا وخلص المسلمون رجالاً ونساء ومن في حكمهم ممن لهم
 فمة وعهد من تعديهم وتطاوله عليهم بالظمن والقذف والشتيم
 والسب باللسان وما في حكمه او التعدي عليهم باليد أذية
 بالضرب او القتل فمن اتصف بذلك مع ما تستلزمه صفة المسلم
 لا جرم كان افضل المسلمين اسلاماً بل اكل الناس انسانية
 والمراد به ما ترمي اليه الآداب الاسلامية من التمسك بكل
 الآداب في معاملة الناس والسلوك في المجتمع ولذلك عطف
 عليه بان افضل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً لأن حسن الخلق
 دال على كمال الايمان وسوء الخلق دال على نقصه عن الكمال.
 ولما كانت الهجرة فراراً بالدين من الاضطهاد الديني واجبة
 في الاسلام ولها ثوابها لذلك جعل افضل المهاجرين ذلك الذي
 يهجر اي يفر ويترك قبل كل شيء ما نهى الله عز وجل عنه من

الحرمات والمنهيات مما هو مبين بالشريعة المطهرة كما جعل افضل
 الجهاد الذي فرضه الله اى احسنه وأعظمه هوجة جهاد المرء
 نفسه في ذاته الله بفعل الأمور وكفها عن المحرمات امثالاً
 لامر الله تعالى لأن الشيء انما يفضل ويشرف بشرف ثمره
 وثمره مجاهدة النفس الهداية قال الله تعالى «والذين جاهدوا
 فينا لنهدينهم سبلنا»

الحكمة الثالثة

إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شِرَّةً وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ فَإِنْ صَاحِبُهَا سَدَّ
 وَقَارِبَ فَأَرْجُوهُ وَإِنْ أَشِيرَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فَلَا تَعْدُوهُ
 الشرة الحدة والنشاط والرغبة والحرص على الشيء والفترة
 بعكس ذلك الوهن والسكون بعد عظم الرغبة ومعنى هذا
 الحديث الجليل ان للمرء في الحياة في امور الدين والدنيا نشاطاً
 ورغبة يتبع ذلك عادة فتور وسكون بقدر ذلك فان لزم صاحب
 الشرة أى النشاط والرغبة التوعدة والسداد في امره فقد سلك
 سبيل الرشاد واختار طريق الاجاد وأمن لعمري العثار فصار
 ممن يرجى فلاحه وثباته أما ان أفرط حباً بالشهرة وميلاً مع
 الانانية حتى يشار اليه بالبنان فهذا يجب ان لا يعتد به ولا

ينبغي ان يحسب في العاملين الكاملين لكونه إما صرائياً او
انانياً سريع الخطأ قريب الكبر فلا تدوم له حال بعكس الاول
فانه يمكنه الثبات لما لزمته الاعتدال والتوسط في الامور
وأحب الاعمال الى الله أهدوها وان قل ، واذا اعتبرنا هذا
الحديث وطبقناه على اعمال بعض ممن يتوسمون في الاعمال
الدنيوية بالتهور والاندفاع حتى يشار اليهم في الفنى والثراء بالبنان
ثم ما قد يسقطون به الى الخسيف بسبب تلك الشره المالية
لرأينا مصداقه مجسماً ظاهراً للبيان ظهور الشمس في رابعة النهار

﴿ الحكمة الرابعة ﴾

اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ . مَنْ اسْتَحَى مِنْ اللَّهِ
حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا
حَوَى وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَاءَ . وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ
الحياء حالة تفتى النفس خوف العيب وخشية المار مما
يقبح من الافعال أو ينبو عنه الذوق السليم من الخصال مما قد
يستبان في الحديث واتباع الشهوات وكأن بعض الصحابة حين

قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحكمة « استحيوا من الله حق الحياء » انبهم عليهم فهم منهاها فقالوا يا نبي الله « إنا نستحي من الله والله الحمد » فقال لهم ليس كذلك وإنما من استحي من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى أى جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة فلا ينظر المراء ولا يستمع الى ما يحرم ولا يتكلم فيما لا يعنيه او يكون فيه الأثم عليه . ويقصد بالباطن وما حوى من الاعضاء القلب والبطن والفرج واليدين والرجلين فليحفظ كلها وتصابان عما يحرم ويحذر مما يملأ الجوف من الحرام ثم ان من شروط الاستحياء الحق من الله ان يذكر الموت وما بعده وان من رغب في الآخرة حق عليه ان يترك زينة الحياة الدنيا الكاذبة فلا يكثر من التمتع والرفاهة حتى ينال حسن ثواب الحياة الآخروية فمن فعل ذلك وخلص النية في العمل كان جديراً بان يكون ممن يستحيون من الله حق الحياء ويخشونه حق خشيته تعالى فيرفع الله درجاته ويفيض عليه نعمه ظاهرة وباطنة « وان تعدوا نعمة لا تحصوها »

﴿ الحكمة الخامسة ﴾

إِنَّمَا مَثَلُ الْغُلَّيْسِ الصَّالِحِ وَغُلَّيْسِ السَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ

وَنَافِعِ الْكَبِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يَجْذِبَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ
مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِعُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ
ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَيْثَةً

هذا مثل جميل وتشبيه بليغ ومعنى الحديث ان جليس
الانسان ان كان صالحاً بما حوت نفسه وأخلاقه من مكارم
وفضائل وآداب كان لعمري كالذي يحمل المسك الازفر وهو
ما نعلم ريحاً طيبة وأريجاً ذكياً ومثل الجليس السوء اي الفاسد
الاخلاق السيئ الطباع كالحداد الذي ينفع الكير في خبث
ريحه وتن دخانه فالجليس الطيب قد يهطينا من اخلاقه
ومعارفه ما هو افضل من المسك وينشر علينا ما هو اذكي رائحة
منه بعكس الجليس السوء فانه يفسد اخلاقنا ويشوش افكارنا
ويضل البائنا فهو مثل نافع الكير والدنو منه إما ان يحرقنا
بناره او ينشر علينا من دخانه وخبث ريح كيره ما فيه أعظم
الضرر والقصد من هذه الحكمة النبوية الشريفة انما هو النهي
بأبلغ عبارة وأقرب تمثيل عن مخالطة الاشرار والاراذل ممن
تؤدي الانسان مجالستهم وتسرق من اخلاقهم أخلاقه والترغيب

في مجالسة من تنفعنا مجالستهم وتكسبنا الفضائل مخالطتهم
سواء فيما يتعلق بأسر الدين أو الدنيا ولقد جاء في حديث آخر
صحيح في الحديث على مخالطة الفضلاء والصالحين «جالسوا الكبراء
وسائرا الصالحين ومخالطوا الحكماء» وفي حديث آخر «غير
جلساتكم من ذكركم الله رؤيته وزاد في علمكم منطقته وذكركم
بالآخرة عمله» ولعمري انه نعم المجلس

الحكمة السادسة

مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا تُزْعَ مِنْ شَيْءٍ
إِلَّا شَانَهُ

الرفق والعنف ضدان لا يستويان وامر ان يختلفان ونتائج
الاول حميدة ومغاب الثاني قد يكون فيها غالباً الضرر البليغ
على صاحبه قال الرفق أي التؤدة يزين الاعمال ويسهلها لان
العقل يكون فيها الطامح والسلطان وعلى العنف من ذلك العنف
والهجرة فانه مقرون بالنفرة والقاء الجفوة وسرعة الكبوة فهو لذلك
يشين صاحبه ويفسد عليه غالباً عمله وليس المراد بالرفق التواني
في الامور او التراخي في الاعمال وانما المراد به التؤدة ولقد جاء
في حديث آخر صحيح «التؤدة كلها خير الا في عمل الآخرة»

﴿ الحكمة السابعة ﴾

خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ خُلُقٌ حَسَنٌ وَشَرُّ مَا أُعْطِيَ
الرَّجُلُ قَلْبٌ سَوِيٌّ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ

ما الخلق الحسن الا الاتصاف بمحاسن الشيم والتحلي
بالمفضائل النفسانية والكمالات الانسانية في المعاملات
والمعاملات والني صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس بذلك كما
قال في الحديث المشهور «بعثت لاتم مكارم الاخلاق». ومعنى
الحكمة النبوية التي نحن بصددھا هنا ان صاحب الاخلاق
الطيبة الرضية هو افضل الناس وخيرھم عند الله وان شر الناس
انما هو ذلك الذي تسوء اخلاقه وتفسد اعراقه وتخبث في
معاملة الناس نفسه وان حسنات صورته الظاهرة وبزته
فكانت على عكس صورته الباطنة والله سبحانه وتعالى كما جاء
في بعض الحكم النبوية لا ينظر الى صورنا وانما ينظر الى اعمالنا
ونياتنا اي ما يحويه وجداننا لانه ينبوع اعمالنا وهناك احاديث
كثيرة تمتح على تحرى حسن الخلق فيجب لعمرى على
صاحب الاخلاق الفاسدة والطباع السوء التي ينضح منها على
اعماله فتفسد عليه في الهيئة الاجتماعية احواله ان يجاهد نفسه

الامارة بالسوء حتى تصالح ارادته ويحسن خلقه فتذهب شرور
رذائله وتستقيم له اعماله فيحبه الناس ورب الناس

﴿ الحكمة الثامنة ﴾

عَلَيْكُمْ بِاصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهُ يَمْنَعُ مَصَارِعَ السُّوءِ،
وَعَلَيْكُمْ بِصَدَقَةِ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُطْفِئُ غَضَبَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

اصطناع المعروف عبارة عن البر بالانسانية ومفيد الرفد
والمساعدة للفقراء ثم حسن معاملة الناس الى اشياء ذلك مما
يعد من المروآت الانسانية والكمالات البشرية فالتبي صلى
الله عليه وسلم يحثنا على اصطناع المعروف مع الناس كافة لانه
من اعمال البر الانساني التي رضي الخالق وتقي صاحبها الهلكة
لانها تحجب فيه الناس وان صدقة السر التي مدحها النبي صلى
الله عليه وسلم في غير ما حديث يحبها الله لانها بعيدة عن مظنة
الرياء وطلب الشهرة فلا يقصد بها صاحبها في الواقع غير
مرضاته تعالى فهي لهذا تطفي غضبه على الانسان فيما كان منه
من ذنوب واوزار لم يابه لها فضلاً عما فيها من البر والاحسان
بدون رياء ولا امتنان

﴿ الحكمة التاسعة ﴾

أَيَسَّ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ
عِنْدَ الْغَضَبِ

الشديد القوي والصرعة الذي يصارع الناس فيمطش
بالاقران في حلبة الرهان وحومة الميدان وهو من المفاخر
الانسانية واعمال الفروسية الشهيرة بينهم قال النبي صلى الله عليه
وسلم يقول لنا على رسلكم ليس هذا المتصف بالقوة وشدة
البأس في الصراع هو القوى الشجاع ولكن هناك من هو
أقوى منه أو أخرى منه بالاتصاف بذلك وهو الذي يتمكن
من قهر نفسه ويصرعها عند ما يملكها الغضب وتثور ثأثرته في
الرأس وهو أمر ممدوح محمود المنة مثاب عليه كما جاء في
حديث آخر « من دفع غضبه دفع الله عنه عذابه ومن حفظ
لسانه ستر الله عورته » وفي القرآن المجيد « ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » وهو أعلى
مراتب الحلم

﴿ الحكمة المباشرة ﴾

إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخُرَ أَحَدٌ
عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْنِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ

التواضع وهو لين الجانب وخفض الجناح من غير مذلة
من أكرم الفضائل وأكمل الآداب البشرية وقد جاءت
أحاديث نبوية كثيرة تحت عليه وتنصيحنا به وهما نبينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على أن الله عز وجل أوحى إليه وحي
إرسال أن يأمر الأمة الإسلامية بالتواضع ولين الجانب وأن
لا يفخر إنسان على إنسان منهم - لأن الكرامة عنده تعالى
بالتقوى - وأن لا يظلم أحد أحداً لأن الظلم والبغي مرتبهما
وخيم وعقابهما شديد وعاقبتهما على كل حال ندامة وخسران

﴿ الحكمة الحادية عشرة ﴾

إِرْحَمُوا تَرْحَمُوا وَأَغْفِرُوا يُغْفَرَ لَكُمْ ، وَيَلْزَمُ الْأَقْمَاعِ
الْقَوْلُ ، وَيَلْزَمُ الْمُضَرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ
يَعْلَمُونَ

الرحمة رقة تلحق النفس وشفقة تأخذ القلب فتعطفه على

البائسين وذوى المصائب فإن المطاف على هؤلاء والاتصاف بالرحمة في السلوك مع الناس كانوا يوجب رحمة الله تعالى كما جاء في حديث آخر « ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء » وكذلك الصنف عن الزلات وإقالة العثرات مما يحبه الله اعظم كرمه وغفرانه ويحب من يتصف به ويقابل صنيعه مع الناس بمثله عنده ، ثم قال ويل لأقبح القول أي شدة وهلكة وخسر لأولئك الذين لا يبنون الحكمة وسمعون كالقمع والقمع تنفذ منه السوائل ولا يحفظها وويل كذلك لأولئك الذين يصرون على الذنوب والرفائل ضاللاً وغواية وعناداً وهم يعلمون مع ذلك أنهم على مساوى ومعاصي ورفائل مردية بهم ولبسواهم

﴿ الحكمة الثانية عشرة ﴾

لَيْسَ الْغِنَى مِنْ كَثَرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ
العرض ما ينتفع به من متاع الدنيا ومعنى الحديث ليس حقيقة الغنى كثرة المال لان كثيراً ممن وسع الله عليهم في الثروة مجردون من القناعة النفسية شراهة وحرصاً فكان من هذه الصفة صفة من الاغنياء فقير من شدة حرصه وعظم

شراسته وطعمه أما الفنى الحقيقى فهو غنى النفس وان أحرزت
 اليدان الاموال وقال القرطبي كما نقله المقرئى بمعنى الحديث
 ان الفنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس وبيانه انه
 اذا استغنت نفسك كنت عن المطامع فمزت وعظمت وحصل
 لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح اكثر من الفنى الذى
 يناله من يكون فقير النفس لحرصه فانه يورطه في ذائل
 الامور فيكثر من يذمه من الناس ويصغر قدره عندهم فيكون
 اصغر من كل صغير وأذل من كل ذليل ، والله در الشاعر
 حيث قال

والناس اكيس من ان يمدحوا رجلا حتى يروا عنده آثار احسان
 ﴿الحكمة الثالثة عشرة﴾

كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَابْسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا

مَخِيَاةٍ .

المخيلة والخيلاء المجب والتكبر قال العالم عبد اللطيف
 البغدادي هذا الحديث جامع لفضايا تدبير الانسان نفسه اذ
 فيه تدبير مصالح النفس والجسد والدنيا والآخرة ففيه الامر
 بالاكل والشرب من الحلال الطيب والتصدق على الفقير

والمسكين والأعراس بتزيين اللباس ولكن بلا اسراف ولا تبذير
ولا عجب ولا خيلاء اذ في الاسراف ضياع المال وهو أساس
الحياة وعتادها وفي العجب والكبر ومباهاة الناس به مثال لما
كان عليه قارون الذي ضرب الله به المثل في القرآن المجيد
لكل غني معجب بفناء متكبر على الناس به فسيب له ذلك
فهاب ماله وضياع نفسه حتى كره الفنى لما شاهدوا ما أصابه
من تمنوا من قومه ان يكون لهم مثل حفظه وثروته وزينته

﴿ الحكمة الرابعة عشرة ﴾

أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ
وَالصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فُسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ
الْحَالِقَةُ

قال بعض العلماء انما يراد باصلاح ذات البين ما بين
الناس من الاحوال حتى تكون احوال محبة والفة واتفاق وقيل
المراد به اصلاح الفساد والفتنة التي تكون بين الناس وبعضهم
فهذا الاصلاح واجب عندنا وجوب كفاية مهما وجد الانسان
اليه ميلا ويحتمل الاصلاح بمواساة الاخوان والمحتاجين

ومساعدتهم فالنبي صلى الله عليه وسلم أرشدنا في هذه الحكمة
الى ان اصلاح ذات البين أعظم ثواباً ودرجة من الصلاة
والصيام والصدقة لما فيه من المصلحة العامة اما فسادها أو
إفسادها بالقاء بذور الشقاق فهي الخصلة الذميمة الخالقة أي
المردية المستأصلة للدين والدنيا كما تستأصل موسى الشعر لانها
الفتنة والفتنة بين الناس خطبها عميم وشرها مستطير وكما أردت
بافراد الناس وأضرت بجماعاتهم

﴿ الحكمة الخامسة عشرة ﴾

إِيَّاكَ وَالْخَمَرَ فَإِنَّ خَطِيئَتَهَا تَفْرَعُ الْخَطَايَا كَمَا أَنَّ
شَجَرَتَهَا تَفْرَعُ الشُّجَرَ

اضرار الخمر كثيرة واثمها اكبر من نفعها ومفني الحديث
الشريف احذر الخمر وشربها فان خطيئتها أي وزرها يطول
جميع الخطايا والاوزار ويزيد فيها ويجر اليها ويملوها كما تنمو
شجرتها أي الكرامة جميع الشجر وتفرع عليها وتتساق جذوعها
وفروعها ، قال العريزي وفي الحديث معنيان لطيفان : أحدهما
تشبيه المعقول بالمحسوس وجمال الاحكام الشرعية في حكم
الاعيان المرئية ، والآخر ان الخمر طريق الى الفواحش ومحسنة

لها ومدرجة الى كل خبيثة ولذلك سميت « أم الخبائث » ولقد جاء في حديث آخر صحيح « اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر » وفيها يقول ابن الوردي في اللامية :

ودع الخمر ان كنت فتى كيف يسمى في جنون من عقل

﴿ الحكمة السادسة عشرة ﴾

كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ

لا يخلو امرؤ من خطأ أو زلل مهما كان كماله في نفسه وعلمه وعمله وأدبه وفضله لما يبرو النفس عادة من النسيان ونحوه من الاغيار ولكن العقلاء والكمال يرجعون الى الصواب ويمودون باللامة على النفس ويشوبون الى الهدى والتوبة واصلاح الخطأ والرجوع عنه ، فالحديث الشريف يدل لعمرى على تلك القاعدة أى الناموس الطبيعي المعرض له البشر وان ليس ثم نفس تخلو من خطأ ولكنه يقول ايضاً ان خير البشر أولئك الذين يدركون خطأهم ويعرفون غلطهم فيرجعون عنه ويتوبون الى الله تعالى منه ، فالإنسان لا يضره خطاؤه بمقدار ما يضره اصراره عليه مع معرفته إياه وعدم التوبة منه والاقلاع

عنه حتى يقل بذلك خطاؤه ويأمن العثار والهلكة بالتمادي في الخطيئة وعدم الاكتراث لها والالتفات إليها والاقلاع عنها

﴿ الحكمة السابعة عشرة ﴾

خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ

المرء في هذا العالم ليس الا سيرة فمن حسن سلوكه اي عمله ومعاملته فيما بينه وبين الله وفيما بينه وبين الناس وطال به الامل على ذلك لا جزم صار افضل الناس وخيرهم سيرة وسريرة بعكس ما اذا ساءتفعاله وقبحت خصاله وضلت سيرته وسريرة وتمادى به العمر في ذلك فصار من شرار الناس ونقمة عليهم فمضى الحديث لعمري هو ذاك ولذلك جاء في حديث آخر « خيركم من يرجي خيره ويؤمن شره وشركم من لا يؤمن شره ولا يرجي خيره » وفي حديث آخر « خير الناس انفعهم للناس » والاحاديث في المعنى كثيرة والآداب جمة ولقد قال الشاعر قديماً

سابق الى الخيرات اهل العلى فانما الناس احاديث
كل امرئ في شأنه كادح فوارث منه وموروث

﴿ الحكمة الثامنة عشرة ﴾

لَا أَشْتَرِي شَيْئًا لَيْسَ عِنْدِي ثَمَنُهُ

كثيرون قد يملك افئدتهم حب الظهور ومنافسة الاقران
والنظرء في المقتنيات من الاثاث والرياش والحلي والثياب وغير
ذلك فيقدمون على مشترى ما تشتهي عليهم انفسهم وتتوق
اليه اهوؤهم واطماعهم ولو لم يكن عندهم ثمن ما يشتهون في الحال
ارتكانا على السداد في الاستقبال وهذا من شر البلايا على
الناس اذ تكثر عليهم الديون وتتراكم من جراء ذلك على النفس
الوحوال والهموم وهذه القاعدة الاقتصادية الرشيدة سبق بها
النبي صلى الله عليه وسلم كل الاقتصاديين والاخلاقين حيث
ارشدنا في هذا الحديث الشريف والحكمة البالغة الى انه
لا ينبغي للمرء وان جاز له ذلك شرعا ان يبتاع شيئا لا حاجة له
به وليس عنده ثمنه وما عني الا الاحتراس من الوقوع في الديون
والخدر من السقوط في تلجم الاحوال بل الاحوال التي يرزح
تحت اثقالتها كثير من الناس سفهاً وحماسة غير مقدرين للعواقب
ولا متدبرين في الامور والانسان قل ان يفتبط في الحياة بغير
تقدير ولا تدبير (شعر)

كن بما أوتيته مغتبطاً تستدم عيش القنوع المكتني
 ان في نيل المني وشك الردي واجتناب القصد عين السرف
 كسراج دهنه قوت له فاذا غرقته فيه طفي
 وفي الحديث ايضاً « ما عال من اقتصد » والدين على
 كل حال شين بل رق ولذلك قال حكيم « الدين رقت فلا
 تبذل رقتك لمن لا يعرف حقك » وجاء في الحديث الشريف
 ايضاً « أقلل من الدين تمش حراً »

﴿ الحكمة التاسعة عشرة ﴾

الجمال في الرجل اللسان

الانسان في معاشرته لاخوانه ومعاملته لا بناء هيئته مفتقر
 الى محادثتهم ومكالمتهم فان كان مهذب المقال حلو اللسان وقيق
 الجانب لا جرم احبه الناس وعظمه اخطاءه والجلال فارشدنا
 النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث الى ان هذه الحال في
 المرء جمال له وكمال وليس المقصود به تحري الفصاحة والبلاغة
 تشدقاً وتفيهاً وانما اراد بهذا الجمال ما هو اسمى من ذلك وأعلى
 كمباً وهو ما عناه الشاعر بقوله :

ان الكلام في الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

فالمرء اذا كل له اذ ب نفسه ورجاحة عقله لا جرم نطق
بالصواب لسانه وتسربات بالمحاسن اقواله فاقيات عليه الاسماع
ومات اليه الارواح بمكس البسدى الفعاش وان كان قس
الفصاحة وذاك باقل المي

﴿ الحكمة المتمة للمشرين ﴾

لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ثُمَّ يَغْدُو إِلَى الْجَبَلِ فَيَحْتَطِبُ
فَيَبِيعَ فَيَأْكُلَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ

السمي في طلب الرزق عتاد الحياة والعمل على المعاش
أس الممران لانه قوام الحياة الفردية والاجتماعية وبه نظامها
في جميع العالم فلذلك جاء الحث على العمل وترك التواني
والاماني في جميع غمر آداب البشر وان العمل مهما حق
وصغر فهو أفضل من البطالة وسؤال الناس حتى قال عمر بن
الخطاب «مكسبة في دناءة خير من سؤال الناس» وقال بعض
الحكماء «لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان فالكريم
محتال والدنيء عيال» فالحديث يرمي الى أشرف الاغراض
واكرم الاحوال من حيث السمي على المعاش والحث على
العمل وطلب الرزق وانه لا ينبغي للمرء القادر ان يرضى بان

يكون عالة على المجتمع يتكفف ويسأل الناس وهو أمر
مزهري محتقر خير منه احقر أحوال السعي مثل الاحتطاب
ونحوه فيجمع الحطب من الجبل فيبيع منه ويأكل ومن شر
الأحوال من هذا القبيل الكسل والتعلل بالأمانى والترفع عن
كثير من الأعمال النافعة أملاً في نيل ما هو أشرف منها في
اعتبار بعض الأوهام فتضيع على المرء أوقاته ويزداد قعوده
وخلوده الى الأمانى وتخور عزيمته وينتهي به الحال الى البطالة
والكسل والحق والذيلة وأبو تمام يقول
من كان صرعى همه وهمومه روض الأمانى لم يزل مهزولاً

﴿ الحكمة الحادية والعشرون ﴾

قَلِيلٌ تَوَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لَا تُطِيقُهُ

هي كلمة حكمة قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعلبة
ابن حاطب أحد الصحابة عند ما قال له « ادع الله يرزقني)
ولا غرو فان المال الوفير والنشب الكثير كثيراً ما يطغي صاحبه
ويكثر مشاغله ويضيع عليه هناء نفسه وراحة باله اذا لم يحسن
التصرف فيه والتدبير له ووضعه مواضعه وصرفه في مصادفه
وهو لعمري معنى لا تطيقه بعكس القليل فان صاحبه يبقى دائماً

محتاجاً لنفسه عاملاً على تدبير أمره وإصلاح شأنه قليل المهوم
مع ذلك خفيف الحمل ناهيك إذا كان ممن يتصفون بالتقوى
والورع فإنه بلجائه إلى الله وشكره له تعالى على ما رزقه وميله
إلى القناعة والزهادة يكون بآمن من الزلل والشار على قدر
الامكان متصفاً بأحسن الأحوال الأخلاقية والمعيشية في كل
أين وأن كم من غني فقير بحرصه ومشاغله وفقير غني بقناعته
وراحة باله قال الشاعر أبو العتاهية :

إذا القوت تأتي لك والصحة والامن
وأصبحت اخا حزن فلا فارتك الحزن

﴿ الحكمة الثانية والعشرون ﴾

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَّمَ وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ
وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا

من أفضل الأخلاق وأكرم الصفات الكرم أي الجود
والله سبحانه وتعالى هو أكرم الأكرمين فلذلك يحب من عباده
الاتصاف بالكرم الشامل للجود والسخاء وما جرى مجراه من
الخلال كما أنه يحب معالي الأخلاق من الشجاعة والعفة والعدل
والحكمة ويكره لعباده الاتصاف باضداد ذلك من الخصال

والأحوال الحقة المسترفة ومدار الآداب الإسلامية في القرآن
والحديث إنما تدور حول هذا المحور على أنه يجب على المرء
على كل حال أن يجاهد نفسه حتى يكسبها المعالي ويلبسها رداء
الحامد ويخلص عن جيله اغلال الرذائل وهو صرك قد يكون
قلولاً إذا وسط الإنسان عقله ولم يسط نفسه في كل ما تشتهى
منها ومن حكم اكثم بن صيفي لولده « يا بني ذلوا أخلاقكم
للمطالب وقودوها على الحامد وعلوها المسكوم ولا تقيءوا على
خلق تدمونه من غيركم وصلوا من رغب اليكم وتخلقوا بالجوهر
يايسكم الهبة ولا تستقدوا البخل فتمجلوا الفقير »

﴿ الحكمه الثالثة والمشرون ﴾

لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ
من اوصاف الكاملين في الايمان الكاملين في الآداب
الترفع عن هذه الارجاس والتعالي بالنفس عن تلك الادناس
من الشتم والسب واللعن وفحش القول وبذاءة اللسان لانها
كلها عيوب محقرة لصاحبها مشينه للمتصف بها فالحديث
الشريف يرشدنا الى ان المؤمن الذي أشرب قلبه حلاوة
الايمان والاسلام ليس من أخلاقه ولا من شيمته الطعن اي

الوقوع في اعراض الناس بنحو فم او غيبة او غيبة ولا هو
 ذوفحش في منطقه ولا تقيصة في اقواله وافماله فلا تنطق شفتاه
 ببذاعة ولا يأتي لسانه بدنيئة ولقد جاء في حديث آخر صحيح
 « ان التفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شيء وان احسن
 الناس اسلاماً احسنهم خلقاً » وقال الحسين بن مطير يفتخر
 بأدابه من هذا القبيل :

احب مكارم الاخلاق جهدي واكره ان اعيب وان اعابا
 واصفح عن سباب الناس حليماً وشر الناس من يهوى السبابا
 ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا

﴿ الحكمة الرابعة والمشرونة ﴾

لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ

المؤمن الخالص الايمان الكامل فيه من تورع فلازمته الامانة
 في الماملات كلها فامنه من ثم الخلق على اموالهم وانفسهم
 وكذا من صفة الدين التي ان يفي بعهوده ويبر بوعوده فلا
 يماطل ولا يخاف وعداً فاذا تجرد المرء من الامانة وساب الوفاء
 بالعهود والبر بالوعود فهما كان اتصافه بالايمان والدين لا يكون
 لعمري كاملاً في ذلك لا عند الله ولا عند الناس بل كان اخرى

بان يوصف بما جاء في هذا الحديث « آية المنافق ثلاث اذا
حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان » وانها لسبب
عظيمة بين الناس وجريرة ظاهرة الاثر في الهيئة الاجتماعية
واثم عند الله لو يعلم الناس عظيم

اخلاق بمن رضى الخيانة شيمة ان لا يري الا صريح حوادث
ما زالت الاراء تخلق بؤسها ابداً بفاخر ذمة او ناكث

﴿ الحكمة الخامسة والعشرون ﴾

إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا
تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ .

الحسد حب زوال النعمة عن المنعم عليه بها وهو امر
مكروه ممقتوت مفسد لحال الحاسد مضيع عليه صوابه في
دنياه ودينه لانصرافه عن اصلاح حاله الى الخط من شأن الغير
والعمل على الاضرار به وازالة نعمته بغيّاً وحسداً مما قد يضر
به دون المحسود فالحديث الشريف يبين لنا ان هذه الحال
النفسية السيئة التي تمنى بها بعض النفوس لمجزها قد تفسد
عليها اعمالها وتذهب بحسناتها حتى انها لتأكلها كما تأكل النار

التهبة الحطب اليابس ، والحسد غير الضبطة اذ الضبطة حب
 نيل النعم بلا كراهة لوجودها وهوامها على المفيوط وانما يشتهي
 المرء لنفسه مثلها وهي مفيدة لانها قد ترشد المرء الى خير السبل
 غالباً وفي الحسد يقول شيخ المرة
 ان كان قلبك فيه خوف بارئه فلا تجاوز حذار الله بالحسد

هو الحكمة السادسة والعشرون *

دَعُ مَا يَرِيْبُكَ اِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ
 وَالْكَذِبُ رِيْبَةٌ

اي اترك ما تشك في كونه حسناً او قبيحاً او لا تدري ان
 كان حلالاً او حراماً ضاراً او نافعاً صدقاً او كذباً حتى تكون
 دقيقاً في امرك يقظاً في شأنك واستمسك بما لا تشك في
 كونه حسناً صحيحاً متيقناً حله معتقداً صدقه فان الصدق في
 القول والتدقيق في العمل طمأنينة تطمئن بها النفوس وتسكن
 اليها القلوب بعكس الكذب والبهتان فانه ريبة اي شك يفاق
 منه القلب ويضطرب له الوجدان وتشوش الاعمال فالحديث
 يدعو الى اكرم الاحوال المنجية للانسان الميمنة للعقل على

الخلاص من كثير مما يورث طريقته ويفضله السبيل من الريب
والشكوك والكذب والسماع له والله در الشاعر حيث قال

والناس شبه ظروف حشوها صبر وفوق افواهها شيء من العسل
تحلو لذائقها حق اذا انكشفت له تين ما تحويه من زغل

هو الحكمة السابعة والمشرون

مِنْ حُسْنِ اسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ

كثير من الناس لا تنصرف احاديثهم بل وهمهم الا فيما لا فائدة
لهم منه البتة من القيل والقال وهذا فيه مضحكة لا وقتهم
وصرف لهمهم فيما لا يجديهم نفعاً ولا يهمهم منه شيء في
معاش او معاد فهذه الحكمة النبوية الشريفة تدلنا على ان من
حسن اسلامنا وكمال ايماننا ان نترك ما لا يهمنا ولا يعنيننا من
القيل والقال واشتغال البال باصر الغير واحوال الناس وكثرة
الاجاج والحجاج في التافوات ولقد حدد القرآني ما لا يعني بانه
ما لو ترك لم يفت به ثواب ولم ينجر به ضرر واعمرى فان من
اقتصر على هذا في حاله وكلامه قل كلامه وصلاح حاله وحاسب
نفسه ولم يضع أوقاته ونال معادته

اذا شئت أن تحي عزيراً مسلماً فدير وميز ما تقول وتفعل

﴿ الحكمة الثامنة والعشرون ﴾

خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي .

من تمام الادب الانساني أن يحسن المرء معاشرته أهله وأفراد أسرته وذوي عشيرته بحسن القيام عليهم والتدبير لا مفرهم والتعاطف بهم لتصفو لهم وله معيشتهم ويحصل له ولهم الهدوء والهدوء جاء في حديث آخر « ان من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله » فهذا الحديث وأمثاله بحسنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الادب الواجب يقول ان أفضلكم من أحسن معاشرته أهله من الزوجة والولد وذوي القرابة ونحوهم ولما كان لنا في رسول الله القدوة الصالحة والاسوة الحسنة لا جرم اين لنا انه كان خير الامة الاسلامية كلها في أدب معاشرته الاهل وذوي العشيرة ليزيد في حسنا على الاقتداء به ولنا فيه لعمري الاسوة الحسنة كما قال الله تعالى « ولكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر »

﴿ الحكمة التاسعة والعشرون ﴾

إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرِيقَاتِ فَإِنْ أَيْتُمُ إِلَّا الْمَجَالِسَ

فَاعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ
وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ .

اعتاد كثير من الناس الجلوس في الاسواق وعلى قارعة
الطرق في أوقات الفراغ تسليّة للنفس وترويحاً للصدر من عناء
الاعمال ولكن كثيرين منهم قد يجورهم ذلك الى ما يفسد
الاخلاق ويحط بالشرف ويخدش الناموس فالحديث يحذرننا
من هذه المجالس ويحظرها علينا ويقول ان كان لا بد لكم من
ذلك تسليّة للنفس فاعطوا الطريق حقها أي أدبها المفيد لكم
وطبيعتكم الاجتماعية بأن تقضوا البصر عن النظر الى النساء
المسارات ولا تؤذوا السابلة بلسانكم أو عملكم او تسدوا الطريق
على الناس وان تردوا السلام على من سلم عليكم وان وأتم شيئاً
منكراً فأنهوا عنه وأمروا بالمعروف والنهي عن المنكر ان الناس لو عملوا
بهذا الحديث وتمسكوا بأدبه لكان في ذلك اعظم فائدة للبيئة
الاجتماعية في آدابها العامة وخاصة بعكس ما هو حاصل الآن
من شغل الناس وميلهم الى الجلوس في القهوات على قارعة
الطرق مما فيه الخسار والاضرار والتأثير في الاخلاق ولقد جاء
في حديث آخر ه شر المجالس الاسواق والطرق وخير المجالس

المساجد فان لم تجلس في المسجد فالزم بيتك »

﴿ الحكمة المتممة للثلاثين ﴾

إِنَّ أَكْبَرَ الْإِثْمِ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يُضَيِّعَ الرَّجُلُ مَنْ يَقُوتُ .
 لقد يبلغ فساد الأخلاق ببعض الناس ان يحمل بيته
 ومن تلزمهم نفقته من زوجة او ولد او والد ووالدة وينفق ماله
 في اللهو واللعب وتباجع الشهوات والزينة الى اشباه ذلك وهو
 الأمر الواقع الآن كثيراً من بعض من لا خلاق لهم فيكثر
 الفساد في الهيئة الاجتماعية وتضيع كثير من الانفس البريئة
 من النساء والأطفال والشيوخ فالحديث الشريف يحذر هذا
 الأمر ويقول صراحة ان هذا الفعل القبح من أعظم الذنوب
 بل هو أكبرها عند الله وكفى بالمرء أثماً ان يضيع من يقوت
 كما جاء في حديث آخر

﴿ الحكمة الحادية والثلاثون ﴾

إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ
 فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ .

اعتادت الناس ان تقبض ذوي اليسار وارباب الجاه والثراء

والقوة وان يكثرُوا من ذكرهم وترديد اسمائهم واحوالهم ويشغلهم ذلك عما قد يكونون عليه هم من أحوال هنية ربما لم تكن لأولئك الا غمَاء وأرباب الجاه فتتنقص عليهم عيشتهم فدواء ذلك ان ينظر المرء اي يقارن ايضاً بين حاله وحالة من هو اقل منه درجة في المال والجاه والمافية فبذلك تروح نفسه ويعلم مقدار نعمة الله تعالى عليه وان من هم دونه اي اكثر منه غناء وشقاء في العالم اكثر ممن فضلوا عليه فتهبداً من ثم نفسه وتحليب وتشكر على ما هو لاحتق بها من النعم والسعادة فتسر بذلك وتنشط في العمل . وقال العالم ابن بطال كما في شرح النريزي هلى الجامع الصغير مانعه : هذا الحديث جامع للمعانى الخير لان المرء لا يكون بحال يتماق بالدين من عبادة ربه مجتهداً فيها الا وجهه من هو فوقه فتمى طلبت نفسه اللماق به استصغر حاله فيكون ابداً في زيادة . ولا يكون على حالة خسيمة من الدنيا الا وجد من اهلها من هو احسن منه حالاً فاذا تفكر في ذلك علم ان نعمة الله وصلت اليه دون كثير ممن فضيل عليه بذلك من غير أمر أوجبه فيلزم نفسه الشكر فيعظم اغتباطه بذلك في معاده » وقال غيره « في هذا الحديث دواء الداء لان

الشخص اذا نظر الى من هو فوقه لم يأمن أن يؤثر ذلك فيه
حسدا ودواؤه ان ينظر الى من هو أسفل منه ليكرن ذلك
دائمة الى الشكر» وجاء في الحديث ايضا «انظروا الى من هو
أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان
لا تزدروا نعمة الله عليكم»

﴿الحكمة الثانية والثلاثون﴾

إِذَا ظَهَرَ الزِّنَى وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ فَقَدْ أَهْلُوا بِأَنْفُسِهِمْ
عَذَابَ اللَّهِ

الزنى والربا من كبار الذنوب المنهي عنها في القرآن المجيد
لانها من شر الآثام واشأمها على الناس ومعلوم ان العذاب
في الذنوب الكبار غير قاصر على القصاص والعقاب الاخروي
بل هو مما يعجل فتشاهد آثاره السيئة في فساد أحوال الناس
واضطراب امورهم وتشويش فهمهم وارتباك شؤونهم وضياح
أموالهم وسقم ابدانهم وفساد احوال فراريهم فمنى الحديث ان
هذين الاثمين الكبيرين والوزرين العظيمين اذا فشيا في هيئة
اجتماعية فقد احلت بنفسها عذاب الله أي تسببت في وقوعه
بها وتحميله عليها لمخالفتها بارتكاب هذين الاثمين الخطيرين الحكمة

الآلهية في حفظ الانساب والاموال بالربا التماحش وخرق
 حرمة الناسوس ناموس المنة في الاعراض والاموال فتحدث
 رمود فعل ضارة ونحن لو نظرنا بين الناقد البصير في الاحوال
 الاجتماعية الزائلة رأينا ان ما الناس واقعون فيه من فساد
 الاحوال الاجتماعية والاقتصادية انما سببه فساد امثال هذه
 الرذائل الخالقة وهم غير ابهين لها ولا مكترثين تعة بالاماني
 واتكالا على سعة الرحمة وما انتظار الرحمة بالاصرار والتماس
 المنفرة بالعصيان الا خطة مخف وفريسة لبس سولتها اهواء
 النفوس والجسد بالحقائق الدينية والاجتماعية وما يترتب على
 مخالفتها من الخسران في الما قبل الاجل

تمزق بامداد المعاصي ورفضها فما العز الا في الفراع من الذنب
 وثابر على تقوى الاله فانها نجاة لباغيها من المركب الصعب
 وكن طائفا لله في كل حالة تجدد الدارين ان كنت ذالبا

﴿الحكمة الثالثة والثلاثون﴾

انني اخرج عايكم حق الضعيفين اليتيم والمرأة
 التخرج التضيق والتحريم واليتيم من مات ابواه او
 احدهما وهو صغير فصار في كفالة غيرها وتحت وصاية سواهما

في نفسه وماله حتى يكره والمرأة مثل الزوجة والاخت والمطلقة
والأرملة الى ما يشبه ذلك وحقوقها من نحو صداق أو نفقة
او ميراث او مال مشترك فائن كانت الحقوق كلها متساوية في
الحرمة والتعريض فان تخصيص التعريض بمقوق اليتيم والمرأة
لخصفهما إذا جاء لزيد المنية بهما حتى لا تقتال حقوقهما ولا تبدد
أموالهما اذا لزمنا أو وضعت في رقابنا ووكلت الى عهدتنا فنعمل
فيها بالخير والتشدد في الحفظ والصيانة ولكن كم الناس عاملون
الآن بذلك وفوق بالحقوق فيه لعمرى ان احوالنا في ذلك
ومشاكلنا من جرائد أكثر من ان تحصى مما جعلنا في واد
وما ترمي اليه آدابنا الاسلامية وثريتنا الغراء في واد آخر
والله سبحانه وتعالى يقول في محكم تنزيله « ان الذين يأكلون
أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون
سعييراً »

﴿ الحكمة الرابعة والثلاثون ﴾

السَّكِينُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْمَاجِرُ
مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ أَلَا مَانِي .
المرء الرشيد الماقل التقي يحمل نصب عينيه تدابير نفسه

وتشيطها في العمل المقرب الى الله سالكا في ذلك سبيل الاشيار
 العاملين والابرار المجدين بمكس الكسل الركل الذي يتبع
 شهوات نفسه ثم يكثر من الاماني الكواذب ثمني الحديث
 ان الكيس اي العاقل المستبصر الراغب حقيقة في الخير من
 دان نفسه اي حاسبها وذلها على الخيرات في المعاملات
 والطاعات حتى صارت لها ملكة راسخة وجعل نصب عينيه
 مخافة الله تعالى ورجاء ثوابه الاخروي أما العاجز اي المقصر
 الغافل فهو من اتبع شهوات نفسه الامارة بالسوء فلم يكفها
 ولم يبصرها في المواقب ثم جعل همه مع تقصيره وتضيئه في
 الطاعات والخيرات التمني على الله ان يعطيه ويصالح حاله ويعفو
 عنه قال الفزالي رحمه الله وهذا غاية الجهل والحق أوردته
 الشيطان في ضمن الدين وقال الدميري « فائدة هذا الحديث
 تنبيه العبد على التيقظ للموت والاستعداد له بحسن الطاعة
 والخروج من المظالم وقضاء الدين والوصية بما له وما عليه »
 وقال الشاعر :

واعلم بانك لن تسود ولن ترى طرق الرشاد اذا اتبعت هواك

﴿ الحكمة الخامسة والثلاثون ﴾

كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَّةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْحَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ

هذا الحديث جامع لأعظم قاعدة هجرانية عليها مدار حفظ الحقوق والقيام بالواجبات من حيث الأمانة والحفظ والمعدل وفيه تشبيه الأحوال الاجتماعية بالحكومة في سياستها وتديرها دلالة على أهميتها وعظم عبثها حتى في أصغر أمورها . فالإمام أي الحاكم راعٍ مسئول أي مطالب بحقوق رعيته بالسهر على مصالحها وإقامة العدل بينها والرجل في بيته راعٍ ملزم بوفاء حقوق أهله وأولاده من نفقة وكسوة وتربية والمرأة في بيت زوجها راعية مطلوبة بحسن تديره وتربية أولادها وتحسين عيش زوجها والأمانة له والخدام المؤمن على مال سيده مسئول

عنه بحفظه والقيام بما عهد اليه فيه خير قيام وكذا الولد المؤمن على مال والديه راع فيه ومطالب بحسن تديره ثم عم مرة اخرى فقال فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ليدخل في المأموم حتى المنفرد الذي لا زوج له ولا ولد فانه لعمري راعي نفسه ومسئول عن رعيته بحسن التصرف في نفسه وماله بعمل الأمور واجتناب المنهيات

﴿ الحكمة السادسة والثلاثون ﴾

أَوْ أَنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ التَّوَكُّلِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا

الطير من انشط الحيوان في السمي على ارزاقها والتبكير في طاب اقواتها بنظام عجيب وترتيب غريب حتى ان منها ما يصيف في بقاع بعيدة وتحل شتاء اصقاعا مترامية مع نشاط وخفة وزناء وطرب في غدوها في الصباح خفايا اي خاوية ورواحها في المساء بطانا ممتئة الحواصل مما كدحت له وسعت في التقاطه من الحبوب والاقوات فهي لا جرم على افضل حال في التوكل بالسمي لا كما يفهم البعض في معنى الحديث الشريف حتى قال البيهقي « ليس في هذا الحديث دلالة على

القورء عن الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق لان
الطير اذا غلبت فانما تقدر لطلب الرزق دائما اريد والله اعلم لو
توكلوا على الله في ذنابهم ومجيبهم وتصرفهم وراوا ان الخير
بيده ومن عنده لم ينصرفوا الا سالمين غانين كالطير تقدر
خامها وتروح بطان الكهم يعتمدون على قوتهم وجلدهم وينشون
ويكذبون ولا ينصعون وهذا خلاف التوكل ،

وفي التوكل والسعي يقول الشاعر :

توكل على الرحمن في الامر كله

ولا ترغب في المعجز يوما عن الطلب

الم تر ان الله قال لمريم

وهزي اليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء ان تجنيه من غير هزه

جنته ولكن كل رزق له سبب

﴿ الحكمة السابعة والثلاثون ﴾

مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ يَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ

فَلْيَسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ

المنكر كل ما خالف الشرع والمرف الصحيح من الامور

الاجتماعية والاحوال الانسانية فكل هذا ازالته واجبة والنهي عنه أمر لازم فلذلك وجدت له التمايز والقصاصات الشرعية والوضعية في الامم كما وجدت للشروع في الآداب العامة القومية القصاصات الالهية حتى تلاشي من الهيئة وقررت الحسبة في الاسلام لتلك الناية من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما امر به في القرآن المجيد فالحديث يبين اننا ادب ذلك بان ما نقدر على تغييره باليد بدون اذى لاحد ففعلناه وان كان مما لا قبل لنا به نهينا عليه باللسان فان لم نستطع لا هذا وذاك انكرناه بقلوبنا واستمعناه في نفوسنا حتى نخرج من اثمه ولا نقع في خطيئته ثم قال وذلك اضعف الايمان دلالة على ان الشجاعة الالهية في السعي بالنفس والمجاهرة باللسان لازالة المنكر من اقلل الايمان واعظمه لانه ذب عن الحق وازاله للشروع عن المجتمع ولذلك جاء في حديث آخر « موزوا بالمعروف وانهاوا عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم » على انه قد ابتكرت الآن طرائق لازالة المنكر والشروع من الطيف ما ذهبت اليه العقول اعني به مثل جماعات ابطال المسكرات ومقاومة المنكرات الى اشباه ذلك مما هو بالغ حد الكمال في الغرب

الحكمة الثامنة والثلاثون ﴿

إِيَّاكُمْ وَتُحَقِّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا مِثْلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ
كَمِثْلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ حَتَّى
حَمَلُوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خَبْزَهُمْ وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ
بِهَا صَاحِبُهَا تَهْلِكُ

قد يستصغر المرء أموراً مهيبة تنسرب إلى نفسه فيستهين
بها ولا يأبه لها ويعدها من الصغائر المنتهية ولكن هذه الصغائر
قد تولد الكبار أو تعظم وتتأصل في النفس حتى تصير من
كبار الذنوب فتضر بصاحبها - ومعظم الناس من مستصغر
الشر - فعني الحديث احذروا صغار الذنوب التي تحتقرونها
ولا تأهون لها فإنها قد تؤدي بكم إلى كبارها ثم ضرب لذلك مثلاً
بليغاً يقوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود من الخطب وذا بعود
حتى جمعوا من الخطب كفايتهم ليقاد نار عظيمة انضجوا عليها
خبزهم وطعامهم فأكلوا وشبعوا أي أن تلك المساعي الصغيرة
انتجت لهم شيئاً عظيماً استوفوا منه حظوظهم وشبع بطونهم
فكذلك مرتكب الصغائر أو غير الآ به لها فيما يتوهم به من

الافعال والاقوال قد تعظم وتستحكم فيه تلك الصغيرات حتى
تصير له ملكة راسخة وسبيلا الى الملكة والخسار وانت خبير
انه إنما يقصد به الحث على عدم التهاون في اتقاء الرذائل صغیرها
ككبرها ومحاسبة النفس على جليلها وحقیقها حتى يستقيم عودها
وترجع بالتوبة والاقلاع عن الشرور جهدها والا ضلت طريق
الهدى واطلم نورها بعد الضياء ولقد جاء في حديث آخر
« ان المبدى اذا اخطأ خطيئة نكتت نكتة سوداء في قلبه فان
هو نوع واستغفر وتاب صتل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تملو
على قلبه وهو الران الذي ذكر الله « كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون »

الحكمة التاسعة والثلاثون ﴿

مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ
الْجَسَدِ إِذَا أَشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ
وَالْحُمَّى

التضامن في الهيئة الاجتماعية في كل الاحوال لازم
اسلامتها بحيث لو اختلف فرع من فروع مقومات حياتها الحسية

والمعنوية ظهر أثر ذلك محسوساً في سائر الفروع الأخرى .
وهذا الحديث ونحوه يدلنا على أن الإسلام سباق في معرفة
أسرار الحياة الاجتماعية أي الممرات البشري والديمراطية
الصحيحة والآداب العامة الراقية من حيث الحض على التعااضد
والتواد والتراحم والتحاب لأن الهيئة الاجتماعية كرجل واحد
إذا مرض عضو من جسده اضطربت له سائر الأجزاء واختلت
بنيتها لما هناك من الارتباطات والاتصال في تحمل الضرر
ولقد جاء في حديث آخر ما نصه « أن حقاً على المؤمنين أن
يتوحد بعضهم لبعض كما يألم الجسد الرأس » وفي حديث آخر
« المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه اشتكى كله وإن
اشتكى عينه اشتكى كله » فالضرر اللاحق بأي فريق يتأثر منه
الفريق الآخر من أبناء الهيئة فوجب أن تسير الهيئة على
منهج عدل وأمر سوى وتلاطف وتعاطف حتى لا يختل نظامها
ولا تنوء بأحمال نفسها المرهقة المهلكة إذا لم تدرك بالعلاج
الصحيح ونحن لو سألنا العمرانيين والمنادين بالإنسانية وحقوقها
العامة لما رأيناهم تخطوا هذه القاعدة فيما بنوا عليه كثيراً من
نظرياتهم الاجتماعية والاقتصادية ومدارها في الغالب على أن

الإنسانية بكسبهم واحد ولا بد لهذا الجسم ان تؤدي اعضاؤه وظائفها على التمام وتنال حقوقها موزعة كذلك وبذلك يعتدل مزاج العالم وترتاح هيئاته الاجتماعية وطوائفه وافراده ولا تنوء جماعاتهم تحت اثقال تضر بالكل بسبب ما قد يلحق من الضرر بالجزء

﴿ الحكمة الاربعون ﴾

إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ وَإِنْ أَوْلَادَكُمْ مِنْ
كَسْبِكُمْ

اصول الكسب ثلاثة الزراعة والصناعة والتجارة وهي موارد حياة البشر وكلها ممدوحة مشكورة في الاحاديث والآثار وزاولها الصحابة والتابعون والناس اجمعون لانها مورد عيشهم ومصدر رزقهم فالنبي صلى الله عليه وسلم جعل اطيب ما يأكل الانسان مما كسب بيده وسعى فيه بنفسه وحيث ان الولد ثمرة من ثمرات غرس الانسان فلا جرم كان من كسبه وتعبه في تربيته فلذلك كان من حقوق الوالدين في حالة الحاجة ان يأكلا من مال ولدهما حتى جعل الامام الشافعي نفقتهم واجبة عليه

وفي هذا الحديث ضمناً الحث على احسان تربية الاولاد حتى
يكونوا غرساً صالحاً وكسباً نافعاً

﴿ الحكمة الحادية والاربعون ﴾

إِيَّاكَ وَمُشَارَّةَ النَّاسِ فَإِنَّهَا تَدْفِنُ الْغُرَّةَ وَتُظْهِرُ الْعُرَّةَ

من الناس من قد يتصف بالشراسة والشكاسة فيؤذي
بمساويه الناس فتخفى فضائله وتمحي محاسنه ويسقط اعتباره
بينهم فهذه الحكمة النبوية الشريفة تحذرننا هذه الخصلة الذميمة
خصلة مشاركة الناس وان لا نفعل بهم شراً حتى لا يفعلوا بنا
مثله فضلاً عن ان اشتهار المرء بذلك يدفن غرته ان يخفى
حسناته واعماله الصالحة عندهم شبه بغرة الفرس ويظهر العرة
أي القدر الدنس استعير للعيب والنتائص التي يأتيها من هذه
خصلته ولقد جاء في حديث « ان شر الناس من اتقاء الناس
خشية فحشه أو شره » كما جاء في احاديث أخرى وجوب
مداراة الاشرار والسفهاء ليكمل للمرء الرشيداد به وتظهر فضائله
وينال سعادته

﴿ الحكمة الثانية والأربعون ﴾

إِنَّ قَلْبَ ابْنِ آدَمَ بِكُلِّ وَادٍ شُعْبَةٌ فَمَنْ أَتْبَعَ قَلْبَهُ الشَّيْبَ
كَلَّهَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ تَعَالَى بِأَيِّ وَادٍ أَهْلَكَهُ وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ
كَفَاهُ الشَّيْبَ

ان مشاغل الانسان في العالم كثيرة ومنازع نفسه ومناشجه
مختلفة فهو ما دامت له الحياة معاق القاب مشغول الفكر بتلك
المشاغل والشهوات مهموم النفس بها فان لم يجعل له خطة ويرسم
له طريقاً ينتهي الى الركون على جانب الله بالتوكل والخشية
والترام الحدود قاده اهوائه الى التلف والبور لتشعب تلك
الاهواء وخطل النفوس فيها فهذا الحديث يرشدنا الى اباج نهج
في الحياة تقف عنده ونستمد من امداده يقول عليه الصلاة
والسلام ان قلب ابن آدم بكل واد شعبة أي له في شؤون الحياة
ضروب من الفكر كثيرة مختلفة باختلاف الاغراض والشهوات
فمن اتبع قلبه الشعب كلها أي صرف قوي نفسه وفكره في
حظوظه المتنوعة واهوائه المختلفة غير مبال بحقوق الله ولا ملتزم
حدوده ولا خاش بأسه لم يبال الله بأي واد اهلكه أي انه يضل

في تلك الأودية النفسية السميكة حتى يناله منها العذاب والحلاكة
قصاصاً منه تعالى على ما فرط في جنبه بتمامه في غروره واتباع
شهواته بعكس من اعتدل فيها وجعل مستنده خالقه ومجأه
شريعته وهاديه أدبه فإنه لم يري كيفية مؤونة حاجاته المتشعبة
ويؤفقه الى خير السبل وآمن الطرق واقسطها واعدها واحسنها
﴿الحكمة الثالثة والاربعون﴾

اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً
وَكُلُّوها صَالِحَةً

الشفقة على الحيوان الأعجم من أعظم ما حث عليه الشارع
الحكيم ولقد جاء في ذلك أحاديث كثيرة كقوله صلى الله عليه
وسلم ما معناه (ان امرأة دخلت النار في هرة حبستها فلا هي
اطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الارض) وكقوله
في حديث آخر ما نصه (غفر الله لامرأة مومسة مرت بكاب
على رأس ركي [بئر] يلهث كاد يقتله العطش فنزعت خفها فأوثقته
ببخارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك) ومعنى الحديث
الذي نحن بصدده خافوا عقاب الله واشتبقوا على هاه البهائم
المعجمة الخرساء التي تسخرونها ولا تقدر على النطق والشكوى

من الجوع والعطش والتهب والنصب فاحسنوا ركبها وتحملها
وعافها وكأوا ما يؤكل منها صالحة أي سليمة سميحة ولقد جاء في
حديث آخر الحث على العناية بآثار الحيوانات الأهلية للنتاج

﴿ الحكمة الرابعة والاربعون ﴾

إِيَّاكُمْ وَالْكِبَرُ فَإِنَّ الْكِبَرَ لَيَكُونُ فِي الرَّجُلِ وَإِنَّ عَلَيْهِ الْعِبَاءَ
الكبر من الرذائل النفسية والآفات التي تضر بصاحبها
وليس هو خصيص بالأغنياء وأرباب الجاه بل الكبر قد يكون
في اصاغر الناس كما ترى في هذا الحديث الذي ينهانا عنه لانه
يضر بالمتصف به في معاشه ومعهده ويذهب بحساسنه وفضائله
ويستقطه في اعين الناس ويمقته الله تعالى من اجله لتجبره وتكبره
ولقد جاء في موعظة أخرى نبوية « اجتنبوا التكبر فان العبد
لا يزال يتكبر حتى يقول الله اكتبوا عبدي في الجبارين »
والجبار هو المتكبر الماتي، وليس الكبر في شيء من شمم النفس
وترفعها بل هو حال قد يدركها كل من عاني احوال الناس وسبر
اغوار اخلاقهم وطباعهم بالخلطة وليس أحسن من التواضع في
غير مذلة

﴿الحكمة الخامسة والأربعون﴾

مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَخَامَةِ الزَّرْعِ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ
كَفَتْهَا فَإِذَا سَكَنَتْ اعْتَدَّتْ وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يَكْفَأُ بِالْبَلَاءِ ،
وَمَثَلُ الْفَاجِرِ كَالْأَرْزَةِ ضَمَاءٌ مُعْتَدِلَةٌ حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى
إِذَا شَاءَ

الإنسان في هذا العالم عرضة للمحن والتفن ومناجبة الأمور
وتذليل الصعاب في الحياة فإذا كان عاقلاً رشيداً تحايل في
التماس المخارج متمسكاً بهدأب الحق بالرفق واللين لا بالعنف
والشدة حتى تصفو له الأمور وتطيب له الأحوال ويأمن جانب
الزلازل والعمار بعكس الاحتمق المتصلب فإنه كثير الزلازل سريع
العطب ، ومعنى هذا الحديث الجليل الذي يعلمنا أجمل الأحوال
في مناهج السلوك في الحياة وأكمل الآداب في ذلك ان
المؤمن الصادق الايمان مثله في أخذ الأمور بالرفق واللين
كمثل خامه الزرع أي الطاقة الفضة اللينة التي لم تشتد من النبات
فيلتجئ إلى الله ويتلطف في أحوال الشدة والبلاء التي تصيبه
كما تكفي الريح خامات الزرع ولكنها للينها لا يكسرها اشتداد

هبوبها فإذا سكنت تلك الرياح الشديدة والمواصف المائبة
قامت الحامات على أصولها سليمة نقيّة . أما الماجر أي المنيذ
المتصاب فلا يلين ولا يلجأ إلى الله فيوقعه تصلبه في الخطأ والزلل
فتدهوره المصائب كالارزة وهي شجرة الصنوبر فإنها لصلابتها
وعدم ميلها مع الريح حيث تميل كثيراً ما تقتلها الريح وتذهب
من الأرض ريحها وعلى مثل هذا الحديث بني لافنوتين إحدى
خرافاته الشعرية الحكمية وقد نقات إلى العربية^(١)

﴿ الحكمة السادسة والأربعون ﴾

مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّحْلَةِ إِنْ أَكَلَتْ أَكَلَتْ طَيِّبًا
وَإِنْ وَضَعَتْ وَضَعَتْ طَيِّبًا وَإِنْ وَقَعَتْ عَلَى عُودٍ نَخَرَ لَمْ
تَكْسِرْهُ ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ سَبِيكَةِ الذَّهَبِ إِنْ تَفَخَّتْ عَلَيْهَا
أَحْمَرَتْ وَإِنْ وَزِنَتْ لَمْ تَنْقُصْ

هذان مثالان جميلان أيضاً للمؤمن فشبه في الأول منهما
بالنحلة تلك الحشرة المفيدة اللطيفة التي لا تأكل إلا من أطيب

(١) العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ للمرحوم عثمان جلال

الأزهار ولا تنتج إلا خيراً ما كثر أي العسل وهي مع ذلك خفيفة الروح خفيفة الحمل لا تشغل بجسمها على ما تقع عليه وتحط من الفصول حتى أنها إذا وقعت على عود نخر لم تكسره إشارة إلى أن الممثل له حاله كذلك في العالم ومع الناس أياً كانت أحوالهم ، ثم مثل للمؤمن أيضاً بسبيكة الذهب لعظم قيمته في نفسه وما تحوى من فضائل وأن تلك السبيكة مهما أوقدت عليها بالنار أحرقت ولكن كل ذلك لا ينقص من قيمتها ووزنها كذلك المؤمن الصادق مهما اعتوره من المحن والنزول والتجارب فإن يزعمه ذلك ولن ينقص من قيمته في نفسه وما أبلغ هذا التمثيل وأحرأه بالاتباع والاستماع لقوم يعقلون

﴿ الحكمة السابعة والاربعون ﴾

إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمُ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيَسُؤُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ

إنفاس الإنسان في النسيم ورفاهية العيش ليس بالمشكور في جميع آداب البشر قديمهم وحديثهم لأنها حالة تؤدي إلى البطر والاشتر والكسل وضعف البدن وهي في آدابنا الإسلامية ليست بالمشكورة وإن جازت من الحلال الصرف لما فيها من المضار الآنفة وليست بالخصلة التي تشغلهم أولئك الذين يتحرون

الآداب الراقية الراغبين في الكمال النفسي والديني فلذلك
حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وقال انها ليست بالحالة
التي يجب أن تكون عادة لمباد الله الراغبين في حسن ثوابه
واستكمال نفوسهم . ولعمري فان مطاوعة النفس في التمتع في
المأكل والمشرب والملبس ونحو ذلك ليس بالأمر المحمود لانه
فضلاً عما فيه من المضار التي يجرها على الذات يجر كذلك الى
السرف والسرف يجر الى الخراب الحسي والمعنوي

﴿ الحكمة الثامنة والأربعون ﴾

الْسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ حَقٌّ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبُّ أَوْ
كَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا
طَاعَةَ

الطاعة من أفضل الخلال لتمشية النظام واقامة الشرائع
واداء الحقوق والواجبات وإدارة الشؤون العامة منها والخاصة
والا أصبح الناس فوضى وكل أمور العالم مالم يكن فيها نظام
متبع وطاعة شاملة وكلمة مسموعة فسدت وعرتها الفوضى
فالحديث يدنا على ان ديننا جمع أى حث على اكرم خلة اجتماعية

وان السمع والطاعة للنظام والشرع واجب على كل مسلم ولو كان
فيهما ما يكره لانه ربما كان فيه مصلحة عامة لا تذكر في جنبها
مصاحته الخاصة لكن اذا تحقق الضرر ان فيما يؤمر به او ينهى
عنه أمراً يخالف الشرع وانه مما يعمده من المعاصي فينبذ ينبغي
ان لا نسمع ولا نطيع تبعاً للقاعدة التي جاءت في الحديث
الآخر (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) والآحاد في
الطاعة كثيرة

﴿ الحكمة التاسعة والاربعون ﴾

أَجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْحَرَامِ سِتْرًا مِّنَ الْحَلَالِ مَن
فَعَلَ ذَلِكَ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَمَن أَرْتَعَ فِيهِ كَانَ كَالْمُرْتَعِ إِلَى
جَنْبِ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ وَإِنْ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى وَإِنْ
حِمَى اللَّهِ فِي الْأَرْضِ مَحَارِمُهُ

الحرام ما حرمه الشرع والحلال ما احله لنا وفيه مندوحة
عن الحرام بحيث لم يكن فيما حرم شيء الا وفيما احله ما هو
افضل واشرف منه ولا ينقص عنه مع ذلك في فوائده ومآذاته
ومسراته على ان معنى الحديث ان من جعل بينه وبين الحرام

حداً من الحلال كان ذلك اصون لدينه وورعه وسلامة عرضه
 من الذم الشرعي والمرفي ومن توسع في ملذات الدنيا وارتع
 فيها تطرف فيوشك ان يقع في الحرام كالذي يرتع الى جنب
 الحمى أي الشيء المحمي فيوشك ان يقع فيه وان لكل ملك حمى
 فقد كان ملوك العرب قديماً يتخذون أرضاً ذات مرعى او نحو
 ذلك يحمونها فلا يقربها احد. فحى الله في أرضه ما حرمه على
 عباده فعلى العاقل ان يتقي المحارم ويتورع فيما احله الله الى حد
 محدود حتى لا تطوح به نفسه فيقع في الحرام

﴿ الحكمة الخمسون ﴾

إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قِيلَ وَمَا اسْتَعْمَلَهُ ؟
 قَالَ يَفْتَحُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ
 مَنْ حَوْلَهُ

الاعمال الصالحة في الدنيا كثيرة وهي ذاهبة كل مذهب
 في الشؤون الحيوية بين تجارة وصناعة وامارة فالله تعالى يهدي
 من عباده للخير فيها من يشاء من خلقه حتى يرضى عنهم من
 حولهم من الناس ويثنون عليهم من اجلها تمام فضائلهم ونفعهم

بها وتأديتهم حقوقها فالمرء الذي يوفق في عمله وينجح فيه ويشتهر
بفضله بين الناس حتى يرضوا عنه ويكثر عمله بواسطة نفسه لهم
فذلك لعمري ممن ينطبق عليهم هذا الحديث الشريف فيعيش
صاحبه نافعاً ومعمراً صالحاً مرضياً عنه من الناس ورب الناس
(وخير الناس أنفعهم للناس) فيبرئون ذمته ويثنون عليه خيراً
ويجز الله سبحانه وتعالى شهادتهم

﴿الحكمة الحادية والخمسون﴾

سَبَابُ الْمُسْلِمِ فَسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ وَحُرْمَةُ مَالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ
الشتم والتكذيب والغيبة والهميمة ثم التناول على الناس
بالضرب والأذية والقتال واغتصاب الأموال بالوسائل المحرمة
السافلة كل هذا مما حرمه الشارع تحريماً صريحاً ووضعت له
القصاصات الحقة في الشرائع السماوية والوضعية فالحديث
الشريف يرشدنا إلى أشرف القواعد الأدبية اذ يقول ان من
الفسوق أى الفجور والمصيان سباب المسلم والسباب أبلغ من
السب لان السب شتم الانسان والتكلم فيه بما يعيبه والسباب
أن يقول فيه بما ليس فيه واذا كان سباب المسلم من الفسوق
فقتاله أى مقاتلته كفر به مبالغة في التحذير أو انه لو استحل

قوله كان كذلك وحرمة ماله أي عدم التمدي عليه في ماله
بالاغتصاب والسرقه وما أشبهه ذلك واجب كوجوب الحرج
والمنع في امراق دمه ونحن لو نظرنا في اخبار طبقاتنا الدنيا في
الارياف من التعدي على اخوانهم بالشتيم والتطاول عليهم بالاذية
والقتل وانتهاب الاموال واغتصابها بالطرق غير الشريفة علمنا
اننا لسنا لعمري على شيء كبير من آداب ديننا القويم . ولقد
جاء في حديث آخر كالتأييد لهذا الحديث (كل المسلم على
المسلم حرام ماله وعرضه ودمه . حسب امرئ من الشر ان يحقر
أخاه المسلم)

﴿ الحكمة الثانية والخمسون ﴾

إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الْخَلْفِ فِي الْبَيْعِ فَإِنَّهُ يُنْفِقُ ثُمَّ يَمْحَقُ
من اعظم الفضائل في البيع والتجارات الامانة والصدق
وعدم الغش والخداع والخلف الكاذب ونحوه وان الصدق
والامانة ليلزمان التاجر لزومهما لا كثر الناس تعرضاً لمعاملة
الناس ولذلك جاء في حديث آخر (التاجر الامين الصدوق
مع الشهداء يوم القيامة) لانه من اكبر المجاهدين للنفس عن
الحرام وهو الجهاد الاكبر ومعنى الحديث الذي نحن فيه احذر

كثرة الخلف في البيع فانه يروج سلمته قليلاً في الظاهر لكنه يؤول الى زوالها وخسرها في الحقيقة لأن الله لا يرضى الغش والناس لا يقبلون على من يشهر به . وفي حديث آخر « من غش فليس منا » وهو يشمل عمل التاجر وغير التاجر

﴿ الحكمة الثالثة والخمسون ﴾

خَيْرُ مَا يُخَافُ الرَّجُلُ بَعْدَهُ ثَلَاثٌ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ وَصَدَقَةٌ تَجْرِي بِبَاخِهِ أَجْرُهَا وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ

ما وجد الانسان في هذا العالم الا لينفع بالمعلم والعمل واخلاف النسل ، فبالمعلم يستفيد الناس ويتفنون أهياً ومادياً ، وبالعمل تحوز الاموال والمكاسب التي هي قوام الهيئة وبها صلاحها وما يجري من أعمال البرّ الجارية ، وبالذرية واصلاح تربيتها وتعليمها يقوم الخلف مكان السلف ويبنى كما كان يبنى تلك سنة الله في خلقه وقاعدة في العمران قلّ أن تخل في هيئة او تضعف الا لحق بها الفساد وساد فيها الخلل ، ومعنى الحديث ان افضل ما يترك الرجل من اثر صالح بعد موته وما قدم في حياته ثلاث : اما ذرية طيبة صالحة تعرف حقه في تربيتها وتعليمها فتدعو له بالرحمة في مماته واما صدقة أي عمل

بر دأتم الأثرين له ثوابه ويذكر به عند الناس وأما علم يؤثر عنه
يستفيد به الناس من بعده وكلها نعمت الآثار ونعم ما يعمل
المرء ويكسح لنيلها والوصول إليها

﴿الحكمة الرابعة والخمسون﴾

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغَارُ وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ
يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ

لقد شرع الله تعالى شرعه المنيف وبين لنا فيه الحلال
والحرام فهو تعالى لذلك يحب لعباده المؤمنين أن يمتنعوا عما
حرم ويجتنبوا كل ما يشين من الآثام والذائل حباً بهم وشفقة
عليهم مما رتب من الجزاء على الأفعال، فمعنى الحديث الشريف:
أن الله يغار على عباده المؤمنين غيرتهم هم على أنفسهم وحرمتهم
وغيرته عن وجل انما هي من جهة أن يأتي العبد ما حرم تعالى
على عباده حباً بهم وصوناً لهم وشفقة عليهم من الوقوع في هذه
الارجاس والخطايا المردية لهم

﴿الحكمة الخامسة والخمسون﴾

اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظَلَمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاتَّقُوا

الشَّحَّ فَإِنَّ الشَّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَحَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ
سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَأَسْتَحَلُّوا عَمَارَتَهُمْ

الظالم من أشد ما تسوء به حال الأمم والأفراد إذا ساد
فيها وفشا بين بنيتها لأنه خروج عن الحد في العدل والعدل
أساس الملك فمتى اختل ميزانه باءت الأحوال بالفسران وآت
الأمور إلى البوار والدمار ، والشح عبارة عن شدة الحرص
والطمع والبخل بالحقوق والرغبة في امتصاصها ، فالنبي صلى الله
عليه وسلم يقول : احذروا الظالم أي لا تتجاوزوا الحد ولا تمتدوا
بعضكم على بعض فإن خطره عند الله تعالى كبير وعقابه شديد ،
واحذروا الشح أي الحرص والطمع والبخل بالحقوق فإن هذا
قد أهلك من كان قبلكم من الأمم كالفرس واليهود واليونان
والرومان واضطروهم إلى المداة والنزاع والقتال واستحلال
ما حرم عليهم من اغتصاب الأموال وهو رذع عن الوقوع في
تينك الرذيلتين وفروعهما من الحصال الذميمة المردية وتحذير
من مغابها السيئة واضرارها اللاحقة . والآحاديث في أدب
الباب كثيرة بل الإسلام مداره كله على إقامة قسطاس العدل
وترك الظلم والمعدوان وأنه مما لا يترك فنه بلا عقوبة وإن

دعوة المظلوم مستجابة وإن الله لا يقدر أن يهملنا ما لم يأخذ
ضعيفنا حقه من قوتنا وإن من تولى الأمور منا والقضاء فينا
ينبغي له أن يكون على العدل الصرف والنزاهة والاستقامة .
وجاء في الشرح أي الحرص والطمع أحاديث كثيرة كلها
تدل على قبح تلك الخصال وسوء حال المتلوث برذائلها في
الحال والمآل

﴿ الحكمة السادسة والخمسون ﴾

لَا يَبْلُغُ الْمَرْءُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَخْزِنَ مِنْ لِسَانِهِ

إطلاق اللسان في الثروة والمهذيان والتطوح في المقال
ليس أقبح منه لأنه كثيراً ما يكون ذلك في الفشار أو الكذب
والغيبة ولنيمة وما أشبه ذلك فكل هذا إذا اتصف به إنسان
كان ناقصاً عن الكمال . والحديث يقول : لا يصل المرء الى
الايان الكامل ويتصف به على الحقيقة الا اذا بعد عن تلك
الخصال وجعل فيه كما قال العالم المناوي : « خزنة لسانه فلا
يفتحه إلا بفتح اذن الله » اي انه يصونه ولا يتكلم الا بما فيه
مرضاته وخير نفسه وهيئته وذوي عشيرته . ولقد جاء في حديث
آخر ما نصه : « اذا اصبح ابن آدم فان الاعضاء كلها تكفر

اللسان فتقول اتق الله فيما أنما نحن بك فان استقممت استقمنا
وان اعوججت اعوججتنا

﴿ الحكمة السابعة والخمسون ﴾

المرء مع من أحبَّ وله ما اكتسب

اذا تحرى الانسان معاشرة الكمل وتخلق باخلاق افاضل
الرجال وتمسك بمبادئهم عن محبة ورغبة كان لسمري معهم ان
لم يكن بالجسد فالروح والمنهاج والاخلاق وكان معهم في
الآخرة وانما لا يوصله الى ذلك كله ولا يكسبه اياه الا عمله
الذي هو عتاده فان كان خيراً فهو مع الخيرين في الدنيا والآخرة
وان كان شراً فلحكى ما اكتسب . واما الحب بغير ذلك فلا
ثمرة فيه . وهل يجنى السكر من الخنظل .

﴿ الحكمة الثامنة والخمسون ﴾

إياكم والهوى فإن الهوى يصم ويغبي

الهوى انصرف النفوس الى الرغبات وتحول الوجوه
والعزائم في الامور لدرجة تأخذ نيل اللب خناقه وتسد على
العقل المنافس فلا يلتفت اليه فيما تنزع اليه الاهواء ولا يوسط
ويستخدم في تلك الشؤون وهذه حالة قبيحة وعادة في البشر

كثيراً ما تجلب الندم فلا يعرف المرء سوء منبتها الا في نهاية
امره وعند شعوره بما يحيط به من الاخطار ولقد فم الشارع
الحكيم ذلك في غير ما حديث وفي هذا الحديث يقول :
احذروا الهوى اي الميول النفسية الفاسدة لانها تجعل المرء اصم
عن سماع صوت العقل اعمى عن طريق الصواب والهدى
في مناهج الحياة

﴿ الحكمة التاسعة والخمسون ﴾

خَيْرُكُمْ مَنْ لَمْ يَتْرِكْ آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ وَلَا دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ
وَلَمْ يَكُنْ كَلًّا عَلَى النَّاسِ

الدنيا مزرعة الآخرة فمن يعمل فيها بالحق ويأخذ من
الحياة نصيبه بالصدق ويمش متبعاً لما امر الله به عباده من
العمل للدارين وتجنب نواهيها للخطوة بالسعادتين كان لعمري
من خير الناس في هذا العالم . اما من قد تنصرف همهته الى
عمل الآخرة وهجر ما امر الله به في الحياة الدنيا فذاك ليس
بالأفضل وكذلك من شغلته دنياه عن امور دينه فهو ايضاً بشر
منزلة ، فالحديث صريح في ان افضل الناس منزلة من لم تشغله

دنياء عن آخرته ولا آخرته عن دنياء بل يعمل لهذه ولتلك حتى لا يكون في مماشه حالة على الناس وهو حث على التزام حده الوسط في المطالبين ولذلك جاء في حكمة اخرى : «اعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»

﴿ الحكمة المتقمة للمستين ﴾

إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ
فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاسْتَمِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ
الدَّلَاجَةِ

امر الدين كله يسر وليس بعسر والتشديد فيه والتشدد في امور العبادة ليس بالمحمود وقد جاء في ذلك احاديث كثيرة لانه صارف الانسان عن امور دنياء وهي مطلوبة للحياة والاستعانة بها على نيل السعادة الابدية وهل يحصد المرء بلا زرع فالتيسير في امر الدين انما هو لمصلحة الدين نفسه واما التشدد فما يحمل النفس على الملل والضجر فضلا عن مخالفة ناموس هذا العالم وما كان الدين إلا لتسديد خطي الانسان فيه حتى تطمئن النفس وترجع الى ربها راضية مرضية ، ومعنى

الحديث ان الاسلام فويسر ولا يغال به أحد أي لا يتمق في
أعماله أحد ويترك الرفق الأعجز وانقطع فيغاب وهو شأن كثير
من التنظيم في الدين وليس المراد منه منع طلب الأكل في
العبادة فانه محمود على كل حال وإنما المراد به منع الإفراط
المؤدي الى اللال أو عدم احسان العمل والاشتغال عن المعاش
فلذلك قال فسدوا أي الزموا السداد أي الصواب من غير
افراط ولا تفريط وقاربوا أي ان لم تستطيعوا بلوغ الأكل
فاعملوا بما يقرب منه وابشروا بالشواب على العمل واستعينوا على
عبادة ربكم وصلاتكم له بالخشوة صلاة الفسدة والروحة بعد
الزوال وقليل من السجلة بالفتح والضم أي الليل . فكأن
الانسان مسافر في هذا المسام فيه الى أطيب أوقات نشاطه
ليستعين بعبادة ربه ومناجاة فيها حتى يبلغ نهايته بلا عناء ولا
تحميل تعب مع المداومة على ما يسرل عليه طريقه في الدنيا التي
أعمالها المعاشية تقتضي العناء واستفراغ شطر القوى

﴿ الحكمة الحادية والستون ﴾

طابُ العلم فريضة على كل مسلم

أصبح من قبيل تحصيل الحاصل القول بفوائد العلم

ومنافعه ومزاياه في الأمم والأفراد رجالاً ونساء والقرآن المجيد يقول : « لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ويقول : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وهذا الحديث الصحيح يقول ان طلب العلم واجب على كل مسلم والعلم لعمري ينقسم الى علم معاد وعلم معاش وكلاهما مرتبط بالآخر وكلاهما يعلم من مقاصد القرآن المجيد لزوم طلبه والاوتشاف من رحيقه للنفع الدنيوي والاخروي ، فالعلوم الشرعية مثل الفقه والتوحيد والتفسير والحديث كلها ترجع الى صلاح المرء في معاده ومعاشه وآدابه في سلوكه الاجتماعي ، والعلوم الدنيوية مثل اللغة والادب والحساب والهندسة وتقويم البلدان والتاريخ والفلك والكيمياء والطب والاقطصاد السيامي والمنزلي والزراعة ونحوها كلها ترجع كذلك الى صلاح الانسان في دنياه وتعينه على أمور دينه ، واذا كان طلب العلم فريضة كما هو نص هذا الحديث الصحيح فلا جرم كان ترك هذه الفريضة المحبوبة لذاتها وانفیرها من اكبر الآثام وشر الجرائم وأنه ليجب الامة الاسلامية بناء على هذا أن تجعل أمر التعليم إجباريا وعاما لتخرج من لثم مخالفة هذه الفريضة

﴿الحكمة الثانية والستون﴾

مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ

مما يجلب بين الناس المحبة ويصلح ما بينهم من الروابط والالفة جلب النفع ودفع الضرر . والنفع للاصدقاء والاخوان غير قاصر على الماديات من حيث إيصال الممايش أو مديد المساعدة والرغد والمؤساة في الشدة بل هو يشمل أيضاً الامور المعنوية التي تستلزمها الحياة كالارشاد الى الخير والتنبيه الى تجنب الشر ثم دفع النجاسة الى اشباه ذلك مما يستطيع المرء أن ينفع به اخوانه واصدقائه والمرء قليل بنفسه كثير باخوانه ولا يصفى المودات ويزيد في التحاب غير ذلك . ولقد جاء في حكمة نبوية أخرى : « من يكن في حاجة أخيه يكن الله في حاجته » وفي الحديث أيضاً : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قيل كيف انصره ظالماً قال تحجزه عن الظلم فان ذلك نصره » وفي حكمة ثالثة : « من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة » فهذا كله من تمام النفع ، وفي الحديث الاول الحث على المساعدة وفي الثاني الحض على نصرة الاخ في الشدة ومنعه عن الظلم وفي الحديث الثالث وجوب رد النجاسة عنه اذا اغتیب في مجلس

﴿الحكمة الثالثة والستون﴾

إِنَّ الرُّقَى وَالْتَّمَائِمَ وَالشُّوْلَةَ شِرْكٌ

مما يؤسف عليه أشد الأسف اعتقاد كثير من عوام المسلمين وخاصتهم في الرقي والتمايم والسحر والنجوم والرمال الى اشباه ذلك من الخرافات التي نهى الشرع عنها وحرّمها لان الاسلام لا يدرى هو الدين الذي لا يرى مؤثراً في الكون غير الله عز وجل وأن السحر واشباهه مما يخيل للناس ليس منه شيء بضار الا باذنه تعالى وانه فتنة بل كفر ثم هو لم يأب على أهله الركون على الاسباب المعقولة والوسائط غير المنكورة فهو كما يأمرنا بالتداوي من الامراض واتقاء الوقوع في الاخطار والمهلك وتجنب مثل المجدوم والفرار منه ونحو ذلك يأمرنا أيضاً بان لا نشق بالرقى ولا نمول على التمايم والسحر والنجوم والرمال وسماع أقوال الداجلة لانه لا يعلم الغيب الا الله ولا مؤثر في الحقيقة غيره ، فعني الحديث الشريف ان الرقي أي التمتة باللسان تستعمل للاستعانة بها على الحصول على أمر بقوى تفوق القوى الطبيعية وهي ضرب من السحر ويستثنى من ذلك الرقية ببعض آي القرآن الشريف تبركاً فانه مما

لا بأس به ، والتأمم جمع تميمه وأصلها خرزات كانت نساء العرب
تعلقها على رأس الطفل وفي عنقه كما تفعل الى الآن بعض النساء
عندنا من تليق الخرز والاحجية لاطفالهن دفعا للعين
والامراض في اعتقادهن . والتولة وهي ما يعمل من السحر
لتحبيب المرأة الى زوجها الى اشباه ذلك . فكل هذا عده
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرك لان العرب من أهل
الجاهلية الاولى وغيرهم من الأمم الوثنية كانت تعتقد تأثير ذلك
وتقصده به دفع الأقدار ونيل الأوطار وهو ليس في المير ولا
في النفير منها ولعمري ان وقوع هذه الامة حتى الآن في مثل
هذه الخرافات والسفاسف واعتقاد تأثيرها لما يدل على مقدار
جهلها بحقائق دينها وزينها عن محجته البيضاء

﴿ الحكمة الرابعة والستون ﴾

لَعَنَ اللَّهُ النَّائِحَةَ وَالْمُسْتَمِعَةَ

من العادات القبيحة المتبعة في هذا القطر انه اذا مات
الميت أتوا بالنائحات والنادبات والتفت النساء حولهن يسمعن
وينحن ويصرخن صراخاً مروعاً يمكن على ذلك أياماً وينصبن
المآتم على هذه الصورة أسابيع الى تمام الأربعين يوماً ويوزن

بعضهم بعضاً فيها غير عالقات بما في هذا من المضار ولا آفات
لما فيه من حرمة وخطيئة وفساد للصحة واضاعة للمال لذلك
كلم الله كما في الحديث النائحة والمستتمعة لنواحها ونديها .
ولقد جاء في حديث آخر : « كل ندابة في النار » وقال عليه
الصلاة والسلام في حديث ثالث « ليس منا من لطم الحدود
وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية »

﴿ الحكمة الخامسة والستون ﴾

إِذَا خَظَبَ أَحَدُكُمْ الْمَرْأَةَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ
إِلَيْهَا إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا لِخُطْبَتِهَا

اعتاد الجمهور من الناس في البلاد الاسلامية أن لا ينظر
احدكم الى من يخطبها زوجة له اكتفاء بما تصفه له الخاطبات
او ذوات قرابته من النساء من صفات من يخطبها وفي هذا
اضرار كثيرة قد لا تعرف الا بعد الزواج مع ان الشرع
الاسلامي يجيز لخطيب المرأة ان ينظر الى وجهها وهذا الحديث
يدل دلالة صريحة على انه لا بأس ان ينظر الانسان الى
مخطوبته انما بشرط ان يكون نظره اليها بقصد التزوج بها
ويشترط لمن ينظر الى الفتاة ولا يتزوجها ان لا يبوح بما رأى

وخوف هذا وحده هو الذي اضطر الناس الى الاكتفاء
في الخطبة بما ترى الخطابات وتصف ذوات قرابة الخاطب .
وانى لنا بهيئة اسلامية تراعى آداب ذلك على أفضله

﴿ الحكمة السادسة والستون ﴾

إِنَّ أَحَقَّ الشُّرُوطِ أَنْ تُؤْفُوا بِهَا مَا اسْتَحَلَّمْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ
اعتاد كثير من الناس ان يرضعوا النساء حقوقهن في المهور
ومؤخر الصداق وما في حكم ذلك من النفقات الشرعية حتى
ضج المجتمع من شرور ذلك وتعبت الهيئة في مداواة دائه
ولقد صر في حكمة مضت النهي عن حق الضميفين المرأة واليتيم
وفي هذا الحديث يقول النبي عليه الصلاة والتسليم : ان احق
الشروط واولاها بالوفاء وكلها الوفاء به ضربة لازب الحقوق
التي استحللتم بها النساء من المهر والنفقة ونحو ذلك

﴿ الحكمة السابعة والستون ﴾

أَبْقِضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاقُ

الطلاق جائز في الاسلام وله حد ينتهي اليه كما هو نص
القرآن المجيد : ه الطلاق مرتان فامسك بمعروف او تسريح

باحسان » وهو مع جوازه ينفذه الله لأنه فصل بين نفسين
كان حقاً عليهما ان يمشيا متحابين متصافيين لما بينهما من الروابط
ويحصل لهما عادة من الذرية فلذلك كره مع جوازه للمصلحة
الصحيحة ولكننا نشاهد من أحوالنا بمزيد الأسف ما يندي له
جبين الاسلام حياء من كثرة فسوه بين طبقتنا الدنيا وكثرة
ما يحتال له للرجمة وينشأ عنه من المفساد في المجتمع فخرى بالمسلمين
لمرى وقد علموا من هذا الحديث وامثاله أن لا يكثرؤا من
التلفظ به ولا يعاوعوا النفس والشيطان في النطق بالطلاق لمجره
ما قد يحدث عادة بين الزوجين من الشجار والا اثموا لهذا الصنيع
الذي ينفذه الله وان احله للمصلحة العامة. ولقد جاء في حديث
حسن : « ان الله يوصيكم بالنساء خيراً فانهن امهاتكم وبناتكم
وخالاتكم ان الرجل من اهل الكتاب يتزوج المرأة وما تعلق
يدها الخيط فما يرغب واحد منهما من صاحبه ، وجاء في
حديث آخر صحيح توصية بالنساء وانهن كالضلع في العوج
والمقصود به الحث على حسن معاشرتهن وسياستهن لضعفهن
عن الرجل حتى لا ينشزن ولا يحتاج الى طلاقهن : استوصوا
بالنساء خيراً فان المرأة خلقت من ضلع اعوج وان اعوج ما في

الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرتة وان تركته لم يزل اعوج
فاستوصوا بالنساء خيراً»

﴿ الحكمة الثامنة والستون ﴾

خَيْرُ النِّسَاءِ مَنْ تَسْرُكُ إِذَا أَبْصَرْتَ وَتُطِيعُكَ إِذَا
أَمَرْتَ وَتَحْفَظُ غَيْبَتَكَ فِي نَفْسِهَا وَمَالِكَ

الزوجة الصالحة والمرأة البارة بزوجها وبيتها وأولادها
هي التي تمدح ويحث على اختيارها في الاسلام ولا يتم للمرأة
ذلك الا اذا ربيت وهي فتاة في بيت أبيها تربية صالحة والا
فمن أين يأتيها التحق بالمحامد والاتصاف بالفضائل في معاملة
زوجها حتى يسر بهما وتطيع أمره وتحفظه في ماله ونفسها.

فمعنى الحديث الشريف : أفضل النساء أي الزوجات من
تسرك اذا نظرت اليها لسماحة وجهها وطلاقة محياها وحسن أدبها
وعذوبة منطقها وحديثها ممك واطاعتك فيما تأمرها به من
أمورك ثم تصون نفسها عن كل تقيصة وتحافظ على مالك
بحسن التدبير لنفقة دارها ومهام بيتها مما تعد النفقة فيه صدقة
لرب البيت وربته كما جاء في حديث آخر : « اذا انفقت المرأة

من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها بما انفقت وزوجها
أجره بما كسب وللخازن مثل ذلك « فمن رزق امرأة مثل
هذه فخرى به أن يغبط . ولقد جاء في حديث آخر كالت
على اختيار المرأة الصالحة « من رزقه الله امرأة صالحة فقد
أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الباقي »

﴿ الحكمة التاسعة والستون ﴾

أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْظَرْتُ ثُمَّ خَرَجْتُ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا
رِيحَهَا فِي زَانِيَةٍ وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ

من اكل الآداب والفضائل الدينية بل الانسانية أن
لا تبرز النساء في الطرق والأسواق متبرجات متزيئات متعظرات
يقصدن بذلك إظهار زينتهن ومحاسنهن . فكل هذا حرمه
الدين الحنيف كما استهجنته الآداب الصحيحة في سائر الأمم
وان جرت به العادة في كثير من الهيئات الاجتماعية الآخذة
بقشور التمدن دون لبابه ونحن اذا نظرنا في كتابنا العزيز
وأحاديث رسولنا الكريم الفيناها ناهيين عن ذلك آدرين
النساء المسلمات بالحشمة والوقار . ومعنى الحديث الذي نحن
فيه : أية امرأة أزينت ووضعت العطر وخرجت على الناس

ليروا محاسنها ويشموا رائحة عطرها فانها في حكم الزانية. ثم قال :
 وكل عين زانية أي التي تنظر الى محاسن النساء أو الرجال لان
 النظرة كما جاء في حديث آخر من سهام ابليس حشاً على غص
 البصر والتزام العفة والوقار . وجاء في حديث آخر : « خير
 نسائكم الولود الودود المواسية المواتية اذا اتقين الله وشر نسائكم
 المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات لا يدخل الجنة منهن إلا
 مثل الغراب الاعصم » فهذه الآداب صريحة وهي من
 اكمل الآداب ولو تمسك بها المسلمون والمسلمات لنالوا سعادتهم
 في انفسهم وذرايهم وأزواجهم وأموالهم

﴿ الحكمة المتمة للسبعين ﴾

أَخْلَصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْقَلِيلُ مِنْهُ

الخلاص في الدين مكروه كما جاء في حديث آخر صحيح :
 « اياكم والخلو في الدين فانما هلك من كان قبلكم بالخلو في الدين »
 والمقصود التغافل في المبادات والتعمق فيما لا يجدي ودين الله
 يسر وليس بعسر فالمرء لمعوري اذا أخلص دينه لله أي اعتقد
 بوحدانيته تعالى ورسالة رسله على نحو ما بسطه في كتابه المجيد
 وأدى ما افترض الله عليه ثم تأدب بالآداب الشرعية الاجتماعية

وعامل الناس بماملة حسنة كفاه ذلك لنيل مسافته النبوية
والآخروية . وهناك آثار كثيرة للث على التزام الوسط .
فمنها حديث : (عليكم من الاعمال بما تطيقون فان الله لا يمل
حتى تملوا) وحديث : (عليكم هدياً قاصداً عليكم هدياً قاصداً
عليكم هدياً قاصداً فانه من يشاهد هذا الدين يغبه) وحديث
آخر : (خير دينكم أيسره) على أنا كثيراً ما نشاهد من
المتعمقين في الدين والمتشددين فيه أموراً قل أن يشاهد مثلها
في عوام الناس اولئك السذج الذين لا يعرفون غير القليل من
أمور الدين ولكن لا خلاصهم فيه كانوا أجمل سيرة وسريرة
من سواهم مصداقاً للحديث الشريف : (كم من عاقل عقل عن
الله أمر د وهو حقير الشأن عند الناس ذميم المنظر ينجو غداً وكم من
ظريف اللسان جميل المنظر عظيم الشأن هالك غداً في القيامة)
اذ المدار كله على الاخلاص اخلاص الدين لله دون كثرة العلم
أو العمل . وفي الحديث الصحيح أيضاً : (أحب الاعمال الى
الله أدومها وان قل)

﴿ الحكمة الحادية والسبعون ﴾

إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ

لعمري ان جمال الله تعالى ظاهر للعيان في حسن مبدعاته
وجلال مصنوعاته وبديع آياته في ارضه وسمواته بين اشجار
باسقة وجبال شاهقة وازاهير منسقة وطيور ذات ريش بديعة
مفردة وحيوان بلغ منتهى المعجب في جمال خلقته وانهار تجري
ومياه تنزل من السماء من سحب مسخر على صور وأشكال
بديعة وبحار عظيمة تجري فيها الجواري المنشآت وتستخرج
منها الاسماك والحيتان والاولؤ والمرجان وزرع تأكل منه الانعام
ويتغذى بحبه وثمره الانسان وسما ذات ابراج ونجوم وكواكب
تتألق في القبة الزرقاء وقد بلغت منتهى الابداع والاحكام
في سيرها في مداراتها على مدار السنة فكل هذا يدلنا اعظم
دلالة ببديع صنعه واتقانه على جمال الله تعالى صانعه وجلاله
وان احتجب عز وجل بالنور عن الابصار وعرف بالبصائر لذوى
الابصار كما قال ابو القتايبية

وانا لفي صنع ظاهر يدل على صانع لا يرى
واذا كان تعالى جميلا جليلا بهذا المقدار الذي لا يتناهى
احب من الانسان خليفته في ارضه ان يكون على شيء من
هذا الجمال ويعني بالجمال ما هنا ليس جمال الصورة اذ هذا

ليس للإنسان يد فيه ولا قدرة عليه وإنما يعنى به جمال النفس
وجمال الفعل وباجملة كل ما يقدر الإنسان على تحمليه وتحسينه
من المصنوعات والفنون الانسانية ثم وسائل الحياة وتنظيف
البدن واللباس والمسكن وتنظيم أئامه ولقد جاء في حديث آخر
« ان الله تعالى طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم
يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا أنفسكم ولا تشبهوا باليهود »
وما فرض النسل والوضوء والتزام الطهارة في البدن والثوب
الا لذلك وما جعل من السنة الشريفة او الفطرة المنيقة تنظيف
اجزاء البدن وحلق بعض الشعر وانطتان وتنظيف اافية
الدور واماطة الاذى عن الطريق ورفع القمامة من المسجد
ونحو ذلك الامثال تلك الغاية من حب الله الجمال والنظافة
لانه تعالى جميل يحب الجمال ويحب النظافة واتقان الصنعة

﴿ الحكمة الثانية والسبعون ﴾

عَنِوَا تَعَفُّ نَسَاؤُكُمْ وَبِرُّوَا آبَاءَكُمْ تَبَرُّكُمْ اِبْنَاؤُكُمْ
وَمَنْ اَتَاهُ اَخُوهُ مُتَنَصِّلًا فَلْيَقْبَلْ ذَاكَ مِنْهُ مُحِقًّا كَانَ اَوْ مُبْطَلًا
فَاِنْ لَمْ يَفْعَلْ لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ

المغاف من امهات الفضائل التي حث عليها الاسلام
 سواء في الرجال او في النساء فاذا ترك الرجال القوامون على
 النساء هذه الفضيلة واتبعوا شهوات النفس الخبيثة وحرمووا صيانتها
 عن ارتكاب الفاحشة واستحكم هذا الداء في الهيئة جر ذلك
 ولا ريب الى فساد النساء ودهوئهن هذا المدخل القبيح
 طارحات للعفاف ظهريا ولبرقع الحياء جانبا ولذلك قال صاحب
 منظومة الآداب المرادوى

ومن عف تقوى عن محارم غيره

يعف اهله حقا وان يزن يفسد

وقال محمود الوراق

رأيت صلاح المرء يصلح اهله

ويمليهم داء الفساد اذا فسد

ويشرف في الدنيا بفضل صلاحه

ويحفظ بعد الموت في الاهل والولد

والآحاد والاثار في هذا المعنى من قبح الزنا والخيانة

وفضل العفاف والصيانة كثيرة .

أما بر الوالدين فممه من الفوائد الفردية والاجتماعية مافيه

فهو لم يري من اكرم الآداب واسماها ومواسر واجب
ولو كانا على غير دين المرء وفي هذا البر ما فيه من التأثير الحسن
والقدوة الصالحة اذ يقتدى الابناء بالآباء في بر الوالدين وكذا
في العفو عن الاخوان والصنح عن زلاتهم ما يديم المحبات
وتستصفي به المودات ويجعل لصاحبه المنزلة الرفيعة عند الله
تعالى ففي الحديث الامر بالتزام العفة لانها تفيدنا وتؤثر في
نسائنا فلا يتطلبن لغير ازواجهن والحث على بر الوالدين
لانه ينتج مثله في ابائنا اقتداء بنا فيما صنعنا مع آبائنا ثم فيه
الحض على الصنح عن زلات الاخوان وقبول اعذارهم لان
لصاحبه الدرجات الرفيعة والورود على حوض رسول الله صلى
الله عليه وسلم مع الواردين ونعمت الدرجة ونعمت المنزلة وفي
هذا المعنى يقول عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه
اذا امرؤ من ذنبه جاء تاباً اليك ولم تقفر له فلك الذنب

﴿ الحكمة الثالثة والسبعون ﴾

عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ وَإِيَّاكُمْ
وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ وَسَلُّوا اللَّهَ الْيَقِينَ

وَالْمَعَاذَةُ وَلَا تَحْسَدُوا وَلَا تَبْغَضُوا وَلَا تَقَاطَعُوا وَكُونُوا عِبَادَ
اللَّهِ إِخْوَانًا

التحلي بالصدق من أعظم ما حدث عليه شرعنا الكريم
والإتصاف بالكذب من شر ما نهى عنه ولذلك جاء في الحديث
« اياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور
الى النار وما يزال العبد يكذب ويتحري الكذب حتى يكتب
عنده الله كذابا » وقال الشاعر

ما أقبح الكذب المذموم صاحبه وأحسن الصدق عند الله والناس
فالتمسك بالصدق وترك الكذب وطب اليقين والمعافاة
وتجنب الحسد والبغض والتقاطع والتدابير ليس اكرم عند الله
منه فمضى الحديث الزموا الصدق فانه من البر وصاحب البر
محبوب وهو يدخل صاحبه الجنة وتجنبوا الكذب لانه من
الفجور والشرير الفاجر يدخل النار واسألوا الله اليقين والمعافاة
لانه ليس شيء مما يعمل الآخرة يتاقى الا باليقين وليس شيء
في الدنيا يهنأ صاحبه الا مع المعافاة والامن والصحة ونراغ
القلب من المذموم والا كدار فجمع صلى الله عليه وسلم أصر
الآخرة وما يصلح لها في كلمة وأصر الدنيا وما يصلح لها في كلمة

أخرى ثم قال ولا يحسد بعضكم بعضاً بل كونوا أيها المسلمون
انتم وسائر افراد الهيئة اخواناً متصافين متحابين فان ذلك انفع
لكم واصلاح لدنياكم ودينكم

﴿ الحكمة الرابعة والسبعون ﴾

أَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ

محبة الخير لبني الجنس من أفضل ما حثنا عليه الشارع
الحكيم ومن احب خير بني جنسه عاملهم احسن معاملة في
صراقة الحياة لتصفوله الحياة من حيث تبادل الحقوق
والواجبات وآداب السلوك بحيث يكون المرء كما يحب ان ينال
حقوقه قبلهم تنال الهيئة حقوقها قبله عن رضا وارتياح منه ولقد
جاء في حديث آخر زجراً وحثاً على ترك الحسد والتباغض بين
الناس قوله عليه الصلاة والسلام « دب اليكم داء الامم قبلكم
الحسد والبغضاء وهي الحالقة حالقة الدين لآحالة الرأس والذي
نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى
تحابوا أفلا انبئكم بشيء اذا فمتممه تحاببتم افشوا السلام بينكم »
والآحاديث الشريفة والآثار المنيفة في هذا الصدد كثيرة

﴿ الحكمة الخامسة والسبعون ﴾

مَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بَظَلَمٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ

حَتَّى يَنْزِعَ

من شر مامنيت به الهيئات الاجتماعية كثرة الخصومات
والمنازعات والمقاضاة في كثير من الاحوال وقد يكون طريق
الحق فيها واضحاً ولكن يخترع الخصوم ومحاموهم لها الاشكالات
والتفريعات ظلاماً وعدواناً يقصدون بذلك اغتيال حقوق
اصحابها واهتضامهم واذا هم في هذا الحديث يبين لنا رسولنا
الامين المأمون ان من استعان في خصوماته بالطرق الظالمة
والحيل الفاسدة استوجب والعياذ بالله سخط الله حتى يتوب
من ذلك ويرد المظالم وفي هذا الباب احاديث كثيرة وحكم
جليلة كلها تحث على ترك الظلم واعانة الظالم وتجنب شهادة الزور
ونحو ذلك مما يستعين الناس به لضم حقوق بعضهم بعضاً
واغتيالها وهي لعمرى من خير ما قيل في تحري العدل
والانصاف خير افراد الهيئة وسلامتها مما مرتبه وخيم وعاقبته
شر وخسر

﴿ الحكمة السادسة والسبعون ﴾

إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ غِنَاهُ فِي نَفْسِهِ وَتُقَاتَهُ
فِي قَلْبِهِ وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرًّا جَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ

صما يسعد به المرء في الحياة ان يكون راضياً بحاله قانناً بماله
مفتبطاً بعيشه متقياً ربه خاشعاً له مؤدياً حقه ففي ذلك العز
ورضا الله تعالى وفي القناعة والتقوى يقول الشاعر

افادتنا القناعة أي عز ولا عز اعز من القناعة
نخذ منها لنفسك رأس مال وصير بعدها التقوى بضاعة

اما من يقصر همه على التكاثر على الدنيا والحرص عليها
فهذا وان حاز مثل مال قارون عد في الفقراء لحرصه ونهمه في
الدنيا فكان في الحقيقة فقيراً لتعبه وقلقه ولله درابي العتاهية
حيث قال في بعض اشعاره الحكمية

الرفق يبلغ ما لا يبلغ الحرق وقل في الناس من يصفوا له ونق
لم يلاق المرء عن رشد فيتركه الا دعاه الى ما يكره القلق

متى يفيق حريص دائب ابداً والحرص داء له تحت الحشا قلق
فعني هذا الحديث الشريف ان الله اذا اراد بامرئ خيراً

ارضى نفسه واقنع قوائده واسكن التقوى قلبه راحلشية جنانه
 بعكس من سلبه هذه النعمة نعمة التناعة والتقوى فشقى وان
 كثر غناه وافتقر وان عظم ثراه لقلق نفسه واستحكام داء
 الحرص والطمع فى حشاه ولقد قال صاحب منظومة الآداب
 فمن لم يقنمه الكفاف فما الى رضا سبيل فاقتنع ونقصه
 واراد بالتقصيد هنا الاقتصار والتزهد قال الشاعر

فاقتصد فى كل شيء تحظ بالعقبى وتحفظ
 لا تكن حلواً فتؤكل كل لا ولا صرا فتلفظ
 واغتم ذاك العمر واعلم انه كالدر ملحظ
 فاذا فرط فيه الرء لم يحمد ويمكظ^(١)

﴿ الحكمة السابعة والسبعون ﴾

خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ وَشَرُّكُمْ مَنْ
 لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ

انما وجد الانسان فى هذا العالم لينفع أى يعمل الخير
 ويدور الشر فمن كان بهذه المنزلة لا جرم كان خير الناس بين

(١) فى القاموس عكظه يعكظه حبسه وعركه وقهره ورد عليه نخره

الناس بمكس ذلك الذي ~~تكثر~~ في الناس شروره ويطفح
الكأس بطغيانه فلا يأمن الناس بوائقه ولا يرجون نفعه فهو
لعمرى بشر منزلة عند الناس ورب الناس ولقد جاء في حديث
آخر صحيح « ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من يخاف
الناس شره » والشر ليس قاصراً على الشراسة وسوء الخلق وانما
هو يشمل كل الرذائل المنهي عنها من النية والنية واخواتها كما
ان الخير يشمل كل ما يتحلى به المرء في الهيئة من صفات الكمال
والرجولية

﴿ الحكمة الثامنة والسبعون ﴾

حَفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَالنَّارُ بِالشَّهَوَاتِ

هذا الحديث من أبلغ الأحاديث وأدقها حكمة خفية
فاعمال الدين والآداب الانسانية الفاضلة المؤدية الى السعادة
الحقيقية صعبة المرتقى ثقيلة على النفس لما ينازع النفس من
مغزرات العالم وزخارفه الظاهرة لاحتوائها على الاهواء
والشهوات فلذلك قال بعض السلف

اهوى هوى الدين واللذات تعجيني

فكيف لي بهوى اللذات والدين

فلا يد من الوقوف بالنفس بارادة قوية عن تلك المغررات
والشهوات فثم الجنة وثم ما يحقق بها من المصاعب والمكاره
بمكس ما يؤدي الى النار والعذاب من اتباع الشهوات فانها
للذتها وميل النفوس اليها ورغبتها فيها صارت لعمرك طريقاً الى
النار بل نخاها تصاد بها النفوس ان وجد المرء لذتها اليوم لقي
منها العذاب الاليم في الغد

ما رب كانت في الشباب لأهلها نعيماً فصارت في المشيب عذاباً
ولقد جاء في حديث آخر « حلوة الدنيا صرة الآخرة
وصرة الدنيا حلوة الآخرة »

﴿ الحكمة التاسعة والسبعون ﴾

مَا تَقَصَّتِ الصَّدَقَةُ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ
إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ

خير ابواب البر الصدقة وهي تشمل كثيراً من أعمال البر
والتعاون الانساني وقد وعد الله صاحبها مضاعفة الحسنات
ونيل الاجر والثواب والبركة ونماء المال . والعفو والصفح عن
زلات الناس لا يزيد صاحبه في الحقيقة الا عزاً ومهابة ومحبة

في الناس وكذا التواضع في غير مذلة ، فمضى الحديث : ان
الصدقة لا تنقص مال المرء بل تزيده ويبارك الله لصاحبها في
ماله ، والمفوق كذلك لا يزيد المتحلي به الا عزاً ومحبة له في
النفوس وعلو المنزلة في الهيئة وان التواضع واين الجانب ليس
فيه منقصة بل هو من دماء الاخلاق التي يرفع الله بها اصحابها
ويزيدهم رفعة عنده تعالى وبين بني الجنس « ومن تواضع لله
رفعه » وسيأتي مزيد بيان في الصدقة وانها خير ابواب البر

﴿ الحكمة المتمة لثمانين ﴾

الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السَّوِّ وَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنْ
الْوَحْدَةِ وَإِمْلَاءُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ وَالسُّكُوتُ خَيْرٌ
مِنْ إِمْلَاءِ الشَّرِّ

يفضل الكثير من العقلاء الوحدة ويحبون العزلة لما فيها
من الراحة والهناء والتفرغ الى النفس واستكمالها وتجنب جليس
السوء وقد مر مثل الجليس السوء والجليس الصالح وفي هذه
الحكمة يدلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان مجالسة اهل
الخير والصالح وذوى الاخلاق الفاضلة يفضل الوحدة لان

ما يتحدث به في مجالسهم من المعارف والحكم والطرائف غير
من السكوت الذي يلتزمه عادة صاحب الوحدة اما اذا لم تحو
المجالس غير السفاسف والنقائص كانت العزلة خيراً منها والصمت

فيها لعمرى خيراً من الكلام ولله در المرادوى حيث قال

وفي خلوة الانسان بالعلم انسه ويسلم دين المرء عند التوحده
ويسلم من قال وقيل ومن اذى جليس ومن واش بغيض وحسد
فكن حليسيك فهو ستر لمورة وحرز الفقى عن كل عار ومفسد
وخير جليس المرء كتب تفيده علوما وآدابا كعقل مؤيد
وخالط اذا خالط كل موفق من العلماء اهل التقى والتعبد

﴿ الحكمة الحادية والثمانون ﴾

صِلْ مَنْ قَطَعَكَ وَاحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ وَقُلِ
الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ

التحبيب الى الناس والتودد الى الاخوان وذوى الارحام
مما حث عليه الشارع الحكيم لانه من افضل الامور لصالح
الاحوال ومواصلة من يقطع الانسان او يباذله ومقابلة
الاساءات بالاحسان تلك لعمر ك الفضيلة التي يحق لصاحبها
ان يسمى الانسان الكامل والرجل الفاضل ويضارع هذا
المجاهرة بالحق والاعتراف بالخطأ والرجوع الى الصواب فليس

في باب الصدق والحق افضل منه ولا اكمل ، فالحديث انما يرشدنا الى هذه الآداب السامية اى ان نصل من قطعنا لنظهر كما لنا دونه وان نحسن الى من اساء الينا نرى الناس فضلنا عليه وان نباهر بالحق ولو على انفسنا لتعظم منزلتنا واقدارنا لان متبع الحق والراجع اليه عظيما الخطر جليلا القدر بين الناس

﴿ الحكمة الثانية والثمانون ﴾

مَنْ بَاتَ كَلَامًا مِنْ طَلَبِ الْحَلَالِ بَاتَ مَقْفُورًا لَهُ
الاسلام يحث على العمل ويلزم المسلمين السعي في طاب الرزق والمعاش وبين الحلال والحرام في ذلك كله بما لا يحتاج الى مزيد بيان ومعنى هذا الحديث الشريف من سعي وجد في طلبه الحلال ورزقه الطيب حتى رجع الى داره في آخر نهاره تعباً جزاه الله غفران ذنوبه والموتة في عمله وفيه مزيد حث على الجهد والنشاط في الاعمال ، ولقد جاء في حديث آخر « ان من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة وانما يكفرها الهم في طلب المعيشة »

﴿ الحكمة الثالثة والثمانون ﴾

لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالدِّينِ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ

حَسَبُ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فَاحِشًا بَذِيًّا بَخِيلًا جَبَانًا

المسلمون متساوون ليس لواحد منهم على الآخر فضل إلا بالتقوى والأعمال الصالحة كما قال تعالى « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ومعنى هذا الحديث الشريف اى الادب الجليل البادى لنا منه ان لا نفخر لانسان على انسان الا بالتقوى والأعمال الصالحة وكفى الذين يفخرون على الناس ويشمخون بانوفهم متكئين على الفنى او الجاه او الحسب والنسب دون لتحلى بتلك الخلال الكريمة ان يكون من خصال احدهم الصلف والغطرسة والبذاءة او البخل والجبن اى كفى بالمرء اثماً وحرماناً من الخير معها عظم جاهه او نسبه ان يتصف بذلك واما الاتصاف بالمحامد من التقوى والأعمال الصالحة فثم ما يجب التنافس فيه وثم يكون التفاضل بين الناس :

حسب الفقى يتقى الرحمن من شرف وما عبيدك يا دنيا باشراف

﴿ الحكمة الرابعة والثمانون ﴾

خَيْرُ أَبْوَابِ الْبِرِّ الصَّدَقَةُ

الصدقة وما فى منهاها من اعمال البر والاحسان كاطعام الجائع وكسوة العريان ومداواة المريض واعالة الارملة واليتيم

والمسكين كلها كما لا يخفى مما حث عليه الدين وجعل الله تعالى
عليها من الثواب ما لا مزيد عليه في الآجل والمآجل لأنها
من أحسن ما تسجد به هيئة وتسلم به من الآفات الاجتماعية
ولأن فيها من التضامن والعطف والبر الانساني وصلة الارحام
وحسن الوثام ما تشهد آثاره الحسنة في الامم العاملة به
واضدادها في غير العاملة به او التي لا ترتب اعمالها الخيرية على
نظام يناسب احوال الزمان والمكان ونحن لو تأملنا في مثل هذه
الاحوال لرأينا ان أفضل الصدقات في هذا الزمان ما انفق على
الجمعيات الخيرية والملاجيئ والمستشفيات بشرط أن يكون
العاملون عليها مراعين وجه الله وروح التضامن الانساني
وحب الخير والشفقة على بني الانسان لا الفخر او الطمع

﴿ الحكمة الخامسة والثمانون ﴾

مَا كَرِهْتَ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مِنْكَ فَلَا تَفْعَلْهُ بِنَفْسِكَ إِذَا

خَلَوْتَ

كل انسان يحب ان لا يطلع الناس على عيوبه ونقائصه
وكل منا يود ان يظهر امامهم بمظهر الفضل والكمال وان تخفى

عليهم معائبه حتى لا يراه انسان ولا يعلم بها مخلوق مخافة المار
وخشية السبب بها ، فاذا كان في المرء مثل هذا الاحساس
وفياكم الشهور بخدير به ليكون الكامل على الحقيقة ان يقطع
عن عيوبه الخفية حتى يكون ما ظهر منه للناس كما بطن من
حاله لان في هذا الكمال كل الكمال ، ولقد جاء في حديث آخر
شريف ارشادا لنا الى الدواء الناجع في تهذيب اخلاقنا وتطهير
اعراقنا قوله صلى الله عليه وسلم « البر حسن الخلق والاثم
ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس » ناهيك ان
مالا يطلع عليه الناس يطلع عليه الله وهو تعالى اولى بان يخشى
ويتقى وفي هذا الحديث ابلغ حكمة لتهذيب النفس وتطهيرها
من العيوب والذائل .

﴿ الحكمة السادسة والثمانون ﴾

مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرٍ يَشْتَطِعُ بِهَا مَالَ آتَرِيٍّ مُسْلِمٍ
هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ

من الاحوال الاجتماعية الفاسدة اغتيال الحقوق او

جردها وان يحلف عليها الايمان الكاذبة لا يبالي المرء بذلك ولا

يكثر لسوء عقباه فهذه الحال من شر الاحوال التي منيت
بها بعض النفوس الخبيثة ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يبين
لنا في هذا الحديث ان من اقدم على حلف اليمين الكاذبة
ليهتضم بها حقوق الناس غضب الله تعالى عليه يوم يلقاه ومن
يحلل عليه غضب الله عز وجل فقد خسروا ربح لا في الدنيا
ولا في الآخرة نعوذ بالله من شر ذلك .

﴿ الحكمة السابعة والثمانون ﴾

مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيَمِينِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ
خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ

قد يكون لذوى الجاه والثروة في العالم اشباع واتباع
يتبعون اقوالهم ويتخرون رضاهم في الحق والباطل حتى اذا
قامت المنازعات والخصومات القضائية ونحوها بينهم وبين سواهم
مشوا مع أولئك المتبوعين ونصروهم على خصومهم ولو كانوا
ظالمين غير مدركين بان هذا حرام بل هو كما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم خروج عن الدين وهي عادة تشاهد بمزيد
الأسف في الأرياف فترى اهل القرية يؤيدون هذا العمد
وذلك الشيخ او الوجيه على خصومهم في الدعاوى بشهادات

الزور والاقوال الكاذبة مع علمهم في الغالب بما قد يكون فيها
من الباطل والكذب والظلم وانهم في تلك الدعاوى مبطّلون
وانه لا قصد من وراء اعمالهم الفاسدة سوى الانتقام او اهتزام
حقوق فقير او ضعيف أو أكل كل مال يتيم أو أرملة أو اقية انسان
او اهدار دم بريء الى اشباه ذلك فاعانة الظالمين في هذا كله
مع العلم بها وتحققها داخل في هذا الضلال وخروج عن
الاسلام الذي يأمر أهله بالعدل والاحسان وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى

﴿ الحكمة الثامنة والثمانون ﴾

مَا مِنْ أَحَدٍ يَكُونُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَلَا
يَعْدِلُ فِيهِمْ إِلَّا كَبَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي النَّارِ
العدل أساس الملك وعتاد كل أمر في الجزئيات والكليات
الاجتماعية بحيث ان من تولى أمراً فمال عن جادة العدل
فسد النظام العملي وعراه الخلل وتطرق اليه الفساد وانبنى عليه
من ثم الضرر في الانفس والاموال ولئن نال المسبب لكل
هذا جزاءه الادبي وعقابه الدنيوى فان له فوق ذلك عقاباً
شديداً عند الله يوم لا ينفع مال ولا بنون ، فالحديث يحث

لمعرك كل عامل من عمال الحكومة الإسلامية بأن يكون
على المعدل الصرف فيما يتولاه من الاعمال وان من يخرف
عن جادته بالظلم والجور وعدم الاستقامة والحفاية كانت النار
جزاهه فيكرب فيها

﴿ الحكمة التاسعة والثمانون ﴾

إِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَابْتَغِ الْيُسْرَىٰ وَأَنْتَ بَصِيرٌ
أَثَرُهُ عَلَى عَبْدِهِ حَسَنًا وَلَا يُحِبُّ الْبُؤْسَ وَالتَّبَاؤُسَ

من عادة كثير من البخلاء والحريصين على الدنيا ان لا تشاهد
عليهم مظاهر النفي واليسار ولا حسن اللباس اشتجهم أو عدم
اكثراتهم لذلك فالحديث يقول لهؤلاء الناس مادام الله تعالى
قد انعم عليكم بالمال فكأوا والبسوا وتصدقوا لانه عز وجل يحب
ان يرى أثر النعمة على عباده لما فيها من المصاحبة لهم وهو سبحانه
وتعالى كما يكره الاسراف والتبذير يكره كذلك البؤس اى
الخضوع والتذلل على جهة الطمع والتباؤس اى اظهار التحزن
والتخلق والشكاية للناس شحاً وحرصاً

﴿ الحكمة المئومة للتسعين ﴾

إِنَّ أَحْسَابَ أَهْلِ الدُّنْيَا الَّذِينَ يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ هَذَا الْمَالُ

المال من أفضل النعم التي جعل الله تعالى عليها قوام الحياة في هذا العالم فلذلك حُبب الى النفوس لما رأت فيه من قوة لها وحُبب اليها أصحابه وعظموا من أجله فمضى الحديث الشريف ان شأن أهل الدنيا لمعرفتهم بقيمة المال يرفعون من كثير ماله وان كان ضيقاً ويضعون المقل وان كان رقيقاً وحسبنا بذلك عظة وحثاً على اقتناء المال من الحلال وصرفه في الحلال المثمر لنعيش ذوى حسب محبوبين بين الناس بما أحرزت أيدينا من تلك القوة والله در من قال .

ان قل مالي فلاخل يصاحبني اوزاد مالي فكل الناس خلاني
وهذا لا يقدح في القناعة النفسية ولا في مبدأ الاعتدال في طلب المال

﴿ الحكمة الحادية والتسمون ﴾

إِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَالْبَدَأُ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ

منيت هذه الامة ولا سيما في عواصم مدنها الكبيرة ببذاء السن سوقها ووقائعهم وجراثيم في الطرق والاسواق لنقص التربية وفساد الهيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها فلا

يوقرون كبيراً ولا يرحمون صغيراً ولا يحترمون امرأة حتى عمت
 البلوى وطانعت الكأس بشروهم مع ان ديننا الخفيف ينهي
 عن ذلك كله ويأمر بالتزام الادب والحشمة والوقار وهو المعبر
 عنه بالحياء فوجود هذه الخلال في المراء دليل لعمري على تمكن
 الايمان من قلبه وتحلي نفسه به بعكس البذاء والوقاحة فانه
 دليل التجرد من روجه فالحديث يهدينا في الموضوع الى سواء
 السبيل وبين لنا ان الحياء غينا دليل على ايماننا وان اصحابه اى
 المتعلمين بالادب والحشمة لهم الدرجات العالية في الجنة وان
 البذاء والوقاحة من الحرمان من الدين والجفاء للايمان واهله
 وجزاء صاحبه المذاب بالنار والهلاك بالله وضمنوه القول ان الامة
 لتأثم اذا هي لم تزرع هذه الفضائل في نفوس أبنائها وتلا في
 تلك الاضرار عن نفسها بنفسها

﴿ الحكممة الثانية والتسمعون ﴾

مَا خَفَّفْتَ عَنْ خَادِمِكَ فِي عَمَلِهِ فَهُوَ أَجْرُكَ فِي مَوَازِينِكَ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ

التخفيف عن الخادم من أحسن الخصال ومعنى ذلك ان
 لا يكافئه ، لا يطبق ولا يرهقه في الخدمة وان يحسن أجره

ویره وطعامه ولباسه كما جاء في أحاديث أخرى ومعنى هذا الحديث الشريف : ما خففت وسهلت على خادمك في عمله وخدمته إياك جملة الله تعالى لك أجراً في موازينك وحسناتك يوم القيامة ولقد جاء في حديث آخر « اخوانكم خولكم جملةم الله قنيسة تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه ولا يكفه ما يغلبه فان كفه ما يغلبه فليعنه »

﴿ الحكمة الثالثة والتسمون ﴾

إِنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي
الْآخِرَةِ وَإِنَّ أَوَّلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دَخُولاً أَهْلُ الْمَعْرُوفِ
اهل المعروف انما يعنى بهم اهل التقوى والبر والاحسان
والمرودة وحسن السلوك في العالم ومعنى الحديث ان أصحاب
هذه الصفات الجليلة هم المجازون بافضل الجزاء عند الله تعالى
في الآخرة المتسمون بتلك السمات وانهم السابقون الى دخول
الجنة والحظوة بنعيمها المقيم قبل سواهم جلالة اقدارهم وعظم
منزلة ما تحلوا به منها في حياتهم

﴿ الحكمة الخامسة والتسعون ﴾

إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ

المرء ذو الضمير الحي والوجدان الصحيح والایمان الخالص
انما هو الذي تسر سريره ويرتاح ضميره لما يعمل من الحسنات
ويقوم به من الواجبات واذا ما بدرت منه سيئة فسراع
ما يوبخه ضميره عليها ويؤنبه وجدانه فمن كان بهذه الصفة
لا جرم ذات تلك الحالة النفسية منه على انه مستكمل الايمان
وسلامة القلب وان وازع نفسه قوى وشعوره الادي متيقظ
حتى انه يتأثر فيباهر الى اصلاح خطئه والتوبة من زلله كما ارشد
اليه الحديث ويفرح ويسر وينشط اذا قام بالاعمال الصالحات
والاحاديث في اتباع السيئة الحسنة لتمحها وتقلب خصالها على
الانسان كثيرة وفي القرآن المجيد «ان الحسنات يذهبن السيئات»

﴿ الحكمة الخامسة والتسعون ﴾

الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ
الایمان هو الاعتقاد القاي ثم العمل الذي هو فرع له
وهو يشمل عندنا معشر المسلمين الاعتقاد بالله وحده لا شريك

له ثم الاعتقاد بالملائكة والكتب المنزلة على الأنبياء ثم الاعتقاد
برسالة الأنبياء والرسائل الذين بعثهم الله مبشرين ومنذرين
كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ. ولوات الله عليهم
اجمعين ثم الاعتقاد بالبعث والحساب والجنة والنار كما نص عليه
القرآن المجيد ثم اعتقاد ان الأشياء كلها في الحقيقة من خير
ومن شر يقضاه الله وقدره وهذا الحديث أصل من أصول
الدين الحنيف وفيه رد على المعتزلة القائلين بان الانسان انما
هو الذي يخلق أفعاله وفي هذه المسألة خلاف كبير بينهم وبين
أهل السنة الآخذين بالوسط في الامر «وخير الامور أوسطها»

﴿ الحكمة السادسة والتسمعون ﴾

الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ
اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ
الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

الاسلام هو الامتثال والالتقياد لامر الله تعالى وحقيقته
الشرعية شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله والقيام
بفروض الصلاة والصيام والزكاة والحج عند الاستطاعة كما جاء

في الحديث المشهور « بني الإسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلاً » وهذا هو ظاهر الاسلام أما باطنه فأوراء ذلك من المقامات النفسية واستحضار عظمة الله ومشاهدته في كل عمل من الأعمال الظاهرة والباطنة مما عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحسان كما تراه في هذا الحديث الآتي

﴿ الحكمة السابعة والتسمون ﴾

الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ

يلبغني للمراء المسلم ان يستحضر عظمة الله وعظم سلطانه في خليقته فاذا استحضر المراء ذلك في جميع شؤونه كان كأنه يشاهده عز وجل في كل أمر فالحديث يرشدنا الى ان الاحسان في الايمان هو استحضار مشاهدة الله في كل عبادتنا واعمالنا لانه تعالى معنا في كل أمر وان لم نره عياناً فهو يرانا ويعلم سرنا ونجوانا ولم يري ان من راقب ذلك وادركه بشاقب بصيرته ازداد ايماناً وتقوى وامتلاً ورعاً وخشية .

﴿ الحكمة الثامنة والتسعون ﴾

إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ

حسن الظن بالله من أكرم ما تحت يه النفوس المؤمنة

به لانه تعالى عند ظن العبد به وهو عز وجل المتصف بجميع

المحامد والرحمة الواسعة فاذا حسن العبد ظنه بالله في كل امر له

كان في عبادته تعالى قال العزيزي في شرح هذا الحديث

« اي حسن الظن بان يظن ان الله تعالى يرحمه ويمفو عنه من

جملة حسن عبادته فهو محبوب مطلوب لكن مع ملاحظة

الخوف فيكون باعث الرجاء والخوف في قرن » ولقد جاء في

حديث آخر « أنا عند ظن عبدي بي ان خيراً نفي وان شراً

فشر » فيجب على المؤمن أن يحسن ظنه دائماً بالله تعالى وان يخشاه

﴿ الحكمة التاسعة والتسعون ﴾

أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الدُّعَاءُ

التضرع الى الله تعالى والابتهال اليه عز وجل بالدعاء

ليس أكرم منه على الله لانه من افضل العباداة اذ العباداة

ما شرعت الا للخضوع والخشوع والتوسل اليه تعالى فليها

الدعاء ، والدعاء آداب وشروط من الاخلاص والادب وعدم

النفقة واستحضار عظمة الله تعالى وعظم شأنه ورجته والاعتماد على
 في الدعاء وفضله كثيرة وفي أحدها (ليس شيء أكرم على من
 الدعاء) وأفضل الدعاء ما كان في الصلاة ولقد أمر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بالإكثار فيها منه فقال (أقرب ما يكون
 العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء)

﴿ الحكمة المتممة للهاذة ﴾

أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأَدِّ الزَّكَاةَ وَصُمْ رَمَضَانَ وَحُجِّ الْبَيْتَ
 وَاعْتَمِرْ وَبِرِّ وَالِدَيْكَ وَصِلْ رَحِمَكَ وَاقْرِ الضَّعِيفَ وَأْمُرْ
 بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَزُلْ مَعَ الْحَقِّ حَيْثُ زَالَ
 كل هذه الفضائل الدينية والاجتماعية التي ضمنها الرسول
 الأمين صلى الله عليه وسلم هذا الحديث الشريف من خير
 ما أصرنا به في الاسلام وحشنا عليه أدبه وهي كما تفيد المرء في
 دينه تفيده في نفسه وهيئته الاجتماعية فمعنى الحديث : أقم
 الصلاة أي اعطها حقها من تعديل أركانها وحفظها من وقوع
 ما يخل بأفعالها وأقوالها وأد زكاة مالك الى مستحقها أو الى
 الامام وصم رمضان اذا لم يكن ثم عذر شرعي يجيز لك فطره
 وحج البيت واعتمر ان توفرت لك شروط الاستطاعة وبر

والديك أي أصليكَ فإنه ليس أفضل من برهما وصل رحمتك
 أي قرابتك وإن بسدت وافر الضيف النازل بك فتكرمه
 وتطعمه وأصر بالمعرف الذي لا ينكره شرع ولا عرف وإنه
 عن المنكر أي ما خالف ذلك وبأن ضرره في الهيئة وزل مع
 الحق حيث زال أي دور مع الحق كيف دار وكلها كما ترى من
 أجل ما يعمل به كعب المرء دينياً ودنيوياً وتصلح به أحواله
 وأحوال هيئته الاجتماعية

الحكمة الحادية بعد المائة

سَبْعَةٌ يُظَاهِرُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ
 عَادِلٌ ، وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ
 بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ
 فَاجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَافْتَرَقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ
 عَيْنَاهُ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي
 أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِبَصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا
 حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ

أختم هذه المختارات بهذا الحديث الجامع لشتات

الفضائل الحاث على أجل الخلال ولعمري فان هذه الاوصاف
التي تحلى بها هؤلاء السبعة جديرة بان ترفعهم عند الله جل وعز
الى الدرجات العلى لانها من اكرم الخلال وأعمها نفعاً في
صلاح الدين والدنيا والمراد بالظل على قول بعض العلماء من
شراح الحديث الكرامة والكنف والحماية من المذاب وعنى
بالامام العادل الخليفة وما في حكمه من الحكم والولاة لان
في عدلهم بين الناس أشرف الاعمال المصلحة المنجية وبدأ به
للاهمية وعموم النفع الذي يحصل على يديه اذا عدل وثاني
أولئك المكرمين عند الله الشباب الذي ينشأ على تقوى الله
تعالى وعبادته، تلبساً بها مثلاً اليها بفطرته وحسن تربيته وثالثهم
ذاك الرجل المعلق قلبه بالمسجد أى الشديد الحب له لتقواه
وحبه وأئسه بعبادة ربه في الجماعة وليس معناه دوام الجلوس في
المساجد ، الرابع الرجلان المتحابان في الله أى أحب كل واحد
منهما صاحبه لا يحبه الا لله لا لغرض دنيوى فاسد فاجتما على
ذلك وافترقا عليه واستمر هذا شأنهما في محبتهما وصدقاتهما حتى
تفرق المجالس بينهما . وخامس هؤلاء الفضلاء عند الله تعالى
الرجل الذي ملأ الخشوع قلبه والتقوى والايمان الكامل

ما بين حناياه فإذا خلا بنفسه فكر الله وتأمل في جلائل نعمه
وتقصيره هو وسواه من البشر في حقه تعالى وما تقابل به تلك
النعم العظيمة من الكفران والزيف خشع قلبه وفاضت عيناه
بالدموع خشية وتقوى وساءس هؤلاء الرجل العفيف عن
الخلا حتى ان دعته امرأة ذات جمال ومال الى نفسها عف
وامتنع وقال في نفسه « اني أخاف الله رب العالمين » وسابع
السبعة ذاك الذي يحب أن يتصدق بصدقة حبا بوجه الله
لا للرياء ولا السمعة والتشيل له بان لا تعلم شماله ما تنفق يمينه من
أبلغ ما قيل في المعنى . تمت هذه الرسالة والحمد لله تعالى



فهرس لكثير من مواد الكتاب وعلامه

مرتب على حروف المعجم

حرف الالف

الاستئذان في دخول البيوت ١٥٥
الاذى اماطته ١٥٥ الارادة ٢٣
الارادة الانسانية استصلاحها ١٩٧
الارادة والاختيار ٢٣٧ و ٢٤٩
الاسباب عدم انكارها ٢٧٢
الاستحمام الاستواء معنى الاستواء
على العرش ٢٠ الاسلام مبني عقيدته
٧ و ٢٨٠ اعتقاد باب ادب الاعتقادات
٧ اغانة الملهوف ١٥٦ اقتصاد الاقتصاد
والتدبير ١٣١ الاقتصاد في الاعتقاد
كتاب ٣٠ الالف في الدنيا ١٤٢ و ١٤٣
الله تعالى وحدانيته ٧ وما بعده الامامة
١٦٢ وفي الصلاة ٥٤ الامانة ٢١٠
الامساك في رمضان ٦٤ الامل معنى
قصره ٢٧٥ الانسان شرفه ٧٩ قواه
الثلاث ٢٠٠ استعداده ٢٣٦ الامن
بسط رواقه ١٦٢ الانقطاع للعبادة
فساد قسول من طعن به على
الاسلام ١٠٦ اول هو الاول
والآخر ١٧ ايلام الخلق نظريته ٣٠

ابراهيم واسماعيل ٦٧ ابل الابل
زكاتها ٥٧ ابن تيمية مؤلف ٢٨ و ٣٥
و ٢٨٦ ابن حزم مؤلف ٣٥ و ٢٠٨
ابن خلدون مؤلف ٩٨ و ١١٠ ابن
عطاء الله السكندري ٢٥٦ و ٢٩٣
ابن مسكويه مؤلف ١٦ و ١٩١ و ٢٠٨
ابو حيان التوحيدي مؤلف ١٤٧
الاتقان في علوم القرآن كتاب ٩٥
اثبات الصانع ٩ الاجتماع البشري
طبيعته وفضيلته ١٢٣ الاحرام في
الحج ٦٩ احياء كتاب احياء علوم
الدين للغزالي ٣٧ وبعده في مواضع
كثيرة الآخرة ١٤ و ٩١ اخلاص
الاخلاص ١٥٢ و ٣١٠ والله تعالى
٢٥١ الاخلاق علم الاخلاق ١٩٠
(راجع حرف الحاء) ادب الادب
بحق الله تعالى ٢٤١ و ٢٤٢ الادراك
العقلي ١٩٤ آذان الآذان ٥٤

التجارة ١١٥ وحركتها عند المسلمين
 قديماً ١١٦ النجس نجس الاخوان
 كراهيته ١٤٩ تحكيم التحكيم بين
 الأزواج فيما يشجر بينهم ١٤٠
 التخفيف وترك التكليف ١٥٢
 التدوي من الامراض ٢٧٢ تدبير
 المنزل ١٢٨ تدوين العلوم ٨٦ التراويج
 صلاتها ٥٣ و٦٥ تربية التربية العصرية
 ٨٩ تربية البنين والبنات ١٢٨ و١٣٩
 التربية اساسها في تهذيب الاخلاق
 ٢٠٣ التربية النفيسة ١٩٨ و٢٠٦
 التربية والتأديب ٢٤٠ ترتيب ترتيب
 القرآن ٧٣ الترفع والتصون ٢١٢
 التسامح الديني ٢٨٧ التسبيح في الصلاة
 ٤٩ تسلسل الحوادث في الخلق ١٧
 تسلسل العلوم ٨٩ التسليم في
 الصلاة ٥١ التشهد ٤٧ التشخيص
 ١١٨ التصوف ٩٧ التطوع صلاتها
 ٥٢ التعليم والتعلم ٨١ و١١٧ تعليم
 الزوجة ١٣٩ تفاضل العلوم ٨٤
 تفسير علم التفسير ٩٤ تفسير عصرى
 ٩٦ التقايد الوقوف بالعقل عنده

الايان بالله وبالرسل ١٤ ضرب مثل
 له ٢٤١ الايمان والاسلام ٢٤٣
 الايمان عمل القلب ٢٤٤

حرف الباء

الباء في الاعمال ٢٤٩ بخارى
 صحيح البخاري ١٤ و٦٤ البخل ٢١٦
 البدن اعضاؤه المستخرجة ١٩٣ البذاء
 تركه ١٥٥ البر والشفقة ١٥٣ البر
 بالمساكين ١٥٦ برهان حدوث
 العالم ٧٧ البسط المتوسط في
 الانبساط مع الادل ١٣٧ البشر
 وطلاقة الوجه ٢١١ البصر السمع
 والبصر ٢٤ بظانة بظانة السلاطين
 ١٨٢ بعثة الرسل ٣٢ و٣٣ و١٩٨ بعثة
 صلى الله عليه وسلم ٣٤ البغض الحب
 والبغض في الله ١٤٥ بقا بقاء الله
 تعالى ١٧ البقرز كاة البقر ٥٨ البلاغة
 علومها ٨٧ و٩٨ البناء صناعة البناء
 ١١٢ البيت الحرام ٦٧ البيع ١١٥

حرف التاء

تأديب الاولاد ١٣٩ التأنق
 والتفخل مساويهما ٢٧٤ تجارة

الجزع ٢١٩ الجاوس أدب الافساح
في المجالس ١٥٥ الجماعة صلاة
الجماعة ٥٤ الجمال الباطني والظاهر
٢٠٤ الجمع في الصلاة ٥١ الجمعة ٥١
الجمعيات الخيرية ١٥٦ الجنائز صلاتها
وتشييدها ٥٣ و ١٥٨ الجمود ٢٠٢
الجنود أخلاقه وأحواله وفوائده
١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤ و ٢٩٠ الجندي
تنظيمها ١٦٩ الجنة ١٥ و ٣٦ الجهة
الاصطلاح فيها ١٩ الجواب الصحيح
كتاب ٣٥ الجوار حقوقه ١٥٢
الجوارح كفها ٦٦ أدبها ١٩٩ الجور
٢٠٩ الجوهر الله ليس بجوهر ١٨
الجيلاني عبد القادر الجيلاني مؤلف
٢٤١ و ٢٦٦

حرف الحاء

حاجة أدب قضاء الحاجة ٤٣ حاجات
الاخوان قضائها ١٤٨ الحاجاج
الحاجة القرآنية في التوحيد ٧ حال
شرح الاحوال الذوقية الدينية ٢٥٦
الحب ٢٦٥ محبة الله تعالى ٢٥١ أنواع
المحبة ومعناها ٢٥٢ و ٢٥٣ المحبة أعظم

٢٠١ التقوى ٢٤٥ و ٢٤٦ تكليف
التكليف ٢٩ تكليف مالاخط فيه
للمرء ٣٠ التلبية في الحج صيغتها ٦٩
تلاوة آداب تلاوة القرآن ٧١ التهور
٢٠٨ و ٢١٨ التمني الكاذب ٢٥٧
تنازع البقاء ١٠٧ تنزيه الخالق ٢٨٠
النوبة ٢٠٦ و ٢٥٨ و ٢٦٣ باعثها ٢٦٣
التواضع ٢١٢ التوحيد قبل
الاسلام ٩ علم التوحيد ٨٨ توحيد
الاسلام جملة ٢٨٠ التودد ٢٨٨
التوكل ٢٧٠ تحقيق معناه ٢٧١
الكمال فيه ٢٧٢ عمرته ٢٦٣ التيمم
للصلاة ٤٢

حرف الشاء

الثبات فضيلته ٢١٩ الثنائون ٢٢٦
الثروة تسهيل مواردها على الرعية
١٦٣

حرف الحيم

الجامع الصغير كتاب ٦٢ وبعد الجبرية
ورأيهم في الجبر ٢٧ الحين ٢٠٨ و ٢١٨
الجزء الكسبي الاختياري في
الانسان ٢٦ الجزء ١٥ و ٢٠٦

والباطنة ١٩٣ و ١٩٤ الحياة ٢٣٠
الحياة الابدية ١٥ حياة الله تعالى ٢٣
الحيوان ادراكه ١١٤ الشفقة عليه
١٥٦

حرف الخاء

خالق العالم لا بد له من خالق ١٦
خبث طهارة الخبث ٣٩ و ٤٣ الخبث
والغيلة ٢١٧ الختان ختان الاولاد
٤٤ و ١٣٩ الخدم المتبادلة ١١٧
الخراج ٥٦ و ١١١ الخرشني مؤلف
١٣١ الخرق والوقاحه ٢٣٠ الخروج
على السلطان شره ١٨٧ الخسوف
والكسوف صلاتهما ٥٣ الخشوع في
الصلاة ٥٤ خطبة خطبة الجمعة ٥١
والعيدين ٥٣ خطبة الزواج ١٣٢
خلاصة ٢٨٠ الخلافة ١٦٢ الخليفة
١٧٧ و ٢٨٩ خلق خلق الانسان
١٠ و ١٢ خلق السموات والارض
١١ و ١٢ وأفعال العباد ٢٦ الخلق
تعريفه ٢٠٤ حسنه وقبيحه ٢٠٥
قابليته للتغيير ٢٣٥ الاخلاق الفاضلة
تحريرها ٢٠٧ كيف تتكون وتصير

السمادات ٢٥٤ حب الله لعباده ٢٥٤
الحج ٦٧ و ٦٨ و ٢٨٣ الحجب
الشرعي ١٣٣ الحداثة ١١٣ حدث
طهارة الحدث والخبث ٣٩ حدوث
العالم ١٧ حديث ع-لم الحديث ٦٦
الحركة والسكون بيد الله ٢٦ حرم
المدينة ٧٠ حرية العمل ١٢٠
الحساب ١٥ و ٣٦ علم الحساب ٩٨
الحسبة ١٦٤ الحسد ٢٢٨ حسن
الخلق في معاشره الخلق ١٤٢ و ١٤٣
وبين الازواج ١٣٧ الحشر والنشر ١٥
و ٣٥ و ٩١ الحضارة تأققاتها في الصناعة
١١٨ حضور القلب في الصلاة ٥٤
الحقارة حقارة الشأن ٢٢٣ و ٢٢٤
حقوق الصحبة ١٤٢ الحقوق
والقصاصات ١٦٤ الحكم رسالة الحكم
النبوية ٢٩٥ الحكمة والنوعظة الحسنة
هي العلم ٨١ الحكمة ٣٠٨ و ٢٣١
الحكومة باب أدب الحكومة ١٥٩
ومحورها الذي تدور عليه ١٦٠ و ٢٨٨
الخانف الكاذب قبحها ٢٢٠ الخلم ٢١٤
الحمد والشكر ٢٦٠ الخواص الناهرة

معهم ١٤١ و ٢٨٢

حرف الراء

الراحة واحة النفس وهناؤها
 بالرواج ١٢٧ الرازي مؤلف ٣٧
 و ٦٨ الراغب الاصفهاني مؤلف ١٠٤
 و ٢٠٩ الرجاء والخوف ٢٥٦ الرحمة
 ٢١٥ الرذائل ٢٣٢ الرسالة ٣٢
 الرسل الايمان بالرسل ١٤ و ٢٨١
 الرسل أطباء النفوس ٣٣٣ الرسل
 ٩١ الرشوة ١٦٦ الرعية وجوب
 رعايتها واكتساب قلوبها ١٨٨
 و ٢٨٩ الركاز زكاته ٦٠ رمضان شهر
 رمضان ٦٤ و ٦٥ و ٢٨٣ الركوع ٤٦
 رهبانية . لا رهبانية في الاسلام
 ١٢٦ الرؤية . رؤية الله تعالى ٢١
 الروح ١٩٠ رياضة . رياضة النفس
 ٢٣٤ الرياضيات ٨٧ و ٩٨

حرف الزاي

الزراعة والمزارعة ١١١ الزرع
 زكاته ٥٩ الزكاة زكاة الاموال
 ٥٥ و ٢٨٢ زكاة الفطر ٦٦ الزنى
 حده ١٩٢ زناي الشيخ زناي مؤلف

ملكات ووجوب تهذيبها ٢٣٨ الحمر
 حده ١٩٢ الخوف ٢٥٨ خوف
 العارفين ٢٥٩ الخيانة ٢١١ الخير
 ارشد اليه الاسلام ٢٣٧ الخير المودع
 في الانسان ١٩٧

حرف الدال

دردير الشيخ الدردير مؤلف ٤٩
 الدرهم والدينار ١٢٠ الدستور ١٦٩
 و ١٧٦ الدماء ٧٧ الدعة ٢٢٤ دلائل
 الوجدانية من عالم الحس ٩ الدماغ
 حال وظيفتها ١٩٤ الدنيا ليست
 بدار خلد ١٤ الدهلوي مؤلف ٥٥
 الديمقراطية الاسلامية ١٧٧ دين
 الاسلام دين الفطرة ٩ الاديان
 السماوية قبل الاسلام ٨

حرف الذال

ذات البين اصلاحها ١٤٠
 الذريعة الى مكارم الشريعة كتاب
 ١٠٦ و ٢٠٩ ذكر ذكر الله ٧٥
 الذنوب والرذائل وشؤمها ٢٠٥
 آثارها اللاحقة ٢٠٦ افسادها
 الاحوال ٢٣١ ذوى القربى الادب

٢٧٣ السلطان ظل الله في الارض
١٦٠ و ١٨٩ آدابه ١٧٧ و ١٧٩
٢٨٩ السلطان احترامه في شخصه
١٨٧ السلم مبدؤه اسلاميا ١٧٠
السلام افشاؤه ١٥٣ و ١٥٥ سلامة
النية ٢١٢ السماء خالق السموات
١٠ رفع الايدي الى السماء في الدعاء
٢٠ السمع والبصر ٢٤ السمعيات
٣٥ السهروردي مؤلف ٢٤٥
السوق الاسواق شرورها ١٦٥
سنوسية كتاب ٩٠ السيوطي جلال
الدين مؤلف ٦٢

حرف الشين

الشافعي الامام مؤلف ١٣ الشجاعة
٢٠٨ و ٢١٨ الشحاذون ٦٣ الشرح
الصغير كتاب ٦١ الشرطة ١٦٤
الشرك النهي عنه ٨ الشرك الخفي
٢٧١ الشركة ١١٥ الشره ٢٠٨
الشرور وأمراضها ٢٣٣ الشعر ٨٧
و ٩٨ الشفاء كتاب ٣٥ الشفاعة أصلها
وحكمتها ١٥٧ الشفقة ٢١٦ الشكر
لله ٢٦٧ مقامه ٢٦٨ شكر المتعم

٦١ الزهد ٢٧٤ تحقيق معناه ٢٧٥
فضله ٢٧٦ أعلى درجاته ٢٧٦ الزواج
١٢٥ كراهية الزواج لدمم القدرة
١٢٠ آداب الزواج وأركانه ١٣١
الزوج والزوجة الحاصل التي تحرى
فيهما ١٣٣ الزور شهادة الزور قبحها
٢٢٠ زيارة قبر المصطفى صلى الله
عليه وسلم ٧٠

حرف السين

سبب * الاسباب لا تنكر في
التمسك بها ولا يستها ٢٥٧ و ٢٧٢
السترة في الصلاة ٥١ السجود ٤٧
سجود التلاوة ٧٣ سجود السهو
٥١ السخاء ٢١٦ السخافة والدناءة
٢١٢ السر الاطلاع على اسرار
الناس ١٥٥ السر كتمانها ٢٢٥ السرف
والتبذير ٢٢٢ السرقة النوىة عن
حدها ١٩٢ السفه ٢١٤ السفية
الحجر عليه ١٢١ السعادة سمادة
الدارين ٢٣٢ سمارة الخلق في جودة
الحكومة ١٦١ السعاية شؤمها ٢٢٠
السعي في الحج ٦٩ السعي وعون الله

حرف الطاء

الطاعة ضرورتها ١٨٣ و ٢٨٩
 الطاعة ما استدفعت النعمة بأحسن
 من طاعة الله ٢٠٦ الطب صناعة
 الطب ٨٤ و ١١٧ الطباعة ١١٥
 الطبري مؤلف ٦٨ الطبيعيات ٨٤
 الطرطوشي مؤلف ١٧١ و ١٧٩
 و ١٨٥ الطعام تناوله مع الامل ١٣٨
 الطلاق ١٤٠ الطمع والشره ٢٢٥
 الطهارة ٣٩ و ٢٨١ الطواف السمي
 والطواف في الحج ٦٩

حرف الظاء

الظلم شؤمه ١٦٣ و ١٦٦ و ٢٢١
 الظهر صلاة الظهر ٤٦

حرف العين

العالم نظام العالم دليل الصانع ١٥
 و ٢٨٠ العبادة عبادة الله تعالى ٣٨
 و ٢٨٠ عبد الله جمال الدين مؤلف
 ١٦٦ العبوس ٢١١ العدالة ٢٠٨
 و ٢٢١ العداوة والتباغض ٢٢٧
 العدل قيام العالم به ١٦٠ و ٢٨٩
 العدل بين الزوجات ١٤١ العدلية

واجب ٢٦٩ شكر الناس ٢٧٠
 الشهوات ١٩٤ الشورى مبدؤها
 اسلامياً ١٦١ و ١٧٦ و ٢٨٩
 الشيطان مداخله ١٩١ الشيرازي
 مؤلف ٢٠٨

حرف الصاد

الصانع تعالى ١٦ الصبح صلاته
 ٤٦ الصبر ٣١ و ٢١٩ و ٢٦٦ الصحبة
 والصدقة ١٤٤ صحبة الاخيار
 ١٤٥ الصدق ٢٢٠ الصدقة صدقة
 التطوع ٦١ و ١٥٦ الصراط حق
 ٣٦ الصفا والمروة ٦٩ صفات الله
 تعالى ٢٢ و ٢٥ صغر الهمة ٢٢٤
 صغر العلم في الصغر ٨٢ الصلاة ٤٥
 ٢٨٢ الصلاة على النبي ٧٨ الصنائع
 والحرف ١٠٨ الى ١١٨ الصيام
 فرضه ٦٤ و ٢٨٣ الصيدلة فن
 الصيدلة ١١٨

حرف الضاد

الضيافة ما يراعى فيها بين
 الاخوان ١٥٢

والتعلم ٨٠ العلوم الكلية الضرورية
١٩٦ العمارة فن العمارة ١١٢
العمرة ٦٩ عمال الحكومة ١٦٥
١٦٩ و ٢٨٩ عمل أدب العمل ١٠٠
العمل في المعاش وادبه ١٠٢ و ١١٩
و ٢٨٦ العمل بالعلم ٨٣ عمل الباطن
روح عمل الظاهر ٢٤٧ عون الله
تعالى ٢٧٠ عيادة عيادة المرضى
١٤٨ العيدان صلاحهما ٥٣ عياض
القاضي عياض مؤلف ٣٥

حرف الغين

الغدر والتكبر ٢٢٩ الغزالي
مؤلف ٣٧ و ٤٥ و ٦٧ و بعده الغزل
صناعة الغزل والحياكة ١١٤ الغسل
٤١ الغضب ١٩٤ غفران الذنوب
٢٥٧ الاستغفار ٢٦٥ الغناء
والموسيقى ١١٨ الغنم زكاتها ٥٨
الغيبة شرها ٢٢٠ الغيرة ١٣٨

حرف الفاء

الفجر ٥٣ الفجور والشهوات
٢٢٢ الفخري مؤلف ١٧٩ و ١٨٤
الفضائل تحصيلها ٢٠٧ و ٢٣٢ الفطر

الامور العدلية ١٦٣ العدة كراهية
الخطبة في حال العدة ١٣٢ العذاب
بالبلاغ ٣١ عذاب القبر ٣٦ العرب
جيلهم الذي هداه الاسلام ٢٣٨
عربي محي الدين بن العربي مؤلف
٢٠٨ و ٢٤٠ العرش معنى الاستواء
عليه ٢٠ المرض الله ليس بعرض
١٨ العرض صيانة الاعراض وحمايتها
١٥٦ العسر الافراج عن المعسر
١٥٦ المسكرية ١٧١ العشرة ١٣٦
و ٢٨٧ عصيان شره ١٨٥ العفو
عن حقوات الاصدقاء ١٥١ العقل
البشري المكلف ٢٧ قبوله للتهديب
٢٠٢ سلطانه الحاكم ٢٠١ العقل
عمله ١٩٥ هدايته بالكتاب والسنة
٢٠٢ العقوبات الشرعية والقدرية
١٩٢ و ٢٠٦ الاعتكاف في المساجد
في رمضان ٦٦ علم علم الله تعالى
٢٢ العلم ادبه ٧٩ و ٢٨٥ العلم
الذي هو فرض عين ٨٥ فضل
العلم والعلماء ٨٠ العلوم الآلية ٩٨
تسلسل العلوم ٨٩ فضل التعاليم

القصاصات والتعاضد ١٦٤ القصاصات
 ١٩٢ و ٢٠٥ و ٢٣١ القصر في الصلاة
 ٥١ القضاء والقدر ٢٨ و ٣١ و ٢٨١
 الحاجة قضاء الحاجة أدبها ٤٣ قضاء
 حاجات الإخوان ١٤٥ القضاء كالأطباء
 ١٦٥ القلب مضغته ١٩٠ و ١٩٨
 القلوب ماتم تلك به ١٨٨ و ٢٩٠ القناعة
 النفسية ٢٢٤ القوة المدركة ١٩٤ القوة
 الحربية لزومها ١٧٠ القوى اعتدالها
 ٢٠٤ قيادة الجند ١٧٢ قيم ابن قيم
 الجوزية مؤلف ١٩١ و ١٩٥ و ٢٠٦
 و ٢٣٩

حرف الكاف

الكبر المسلم في الكبر ٨٣ الكبر
 والخطورة ٢١٣ كتاب الكتب
 السماوية ١٦ وكتب عصرية ٩٣
 الكذب قبحه ٢٢٠ الكرسي وسع
 كرسى السموات والأرض ٢٠ كسب
 كسب العيش وآدابه والمال ١٢٠ كسر
 الشهوة ١٢٧ الكسل والحمول ٢٢٤
 الكسوف والخسوف صلاتهما ٥٣
 الكعبة ٢٠ و ٦٧ الكفاءة كفاءة

عيد الفطر وصلاة ٥٣ الفطر زكاته
 ٦١ الفطرة الاسلام دين الفطر ٢٨١
 الفطور في رمضان ٦٦ لوازم الإفطار
 ٦٥ فصل أفعال الله تعالى ٢٦ أفعال
 الصباد ٢٦ فقه ٩٢ العلوم الفقهية ٨٦
 الفقه الأكبر رسالة الشافعي ١٣ الفكر
 حرية الفكر ٢١٩ التفكير في العالم
 الكوني ٢٧٧ الفكر في الاحوال
 النفسية ٢٧٧ ثمرة الفكر ٢٧٨ و ٢٩١
 الفلاحة ١١١ الفلسفة ٨٧ الفلك علمه
 ٨٧ الفوز الاصغر كتاب ١٦ الفوز
 لا يصلح الناس فوزي ١٦٠ و ١٨٥
 و ١٨٨

حرف القاف

قاسم قاسم أمين بك مؤلف ١٣٤
 القبر سؤاله ٣٥ و ٣٦ قبر النبي صلى
 الله عليه وسلم زيارته ٧٠ القبلة ٢٠
 القتل حده ١٩٢ القبح قبحه ١٤٨
 القدرة ٢٢ القدم قدم الصانع ١٧
 القراءات المشهورة ٧٤ القرآن
 ١٦ و ٧٠ و ٢٨٤ القسوة ٢١٥
 القشيري مؤلف ٢٤٥ القصاص

المريض أطعمه ما يشتهي ١٥٦ المزاح
١٤٩ و ١٥٤ مساجد المساجد الصرف
عليها ٦٤ المساواة ١٨٧ المستشفيات
٦٤ مسلم الامام مسلم مؤلف ٤١
مصرف الزكاة ٦٠ المضاربة الشرعية
١١٥ المضغة من القلب اذا صلحت
صلح ١٩٨ المظالم والمغارم ١٦٣
المعاشر باب أديها ١٢٣ و ١٥٣ و ٢٨٧
المعاصي ١٩٥ المعاملات آدابها ١٥٣
معجزاته صلى الله عليه وسلم القرآنية
٤٣ معرفة الله واجبة بالايجاب ٣٣
المعروف الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر ١٦٤ المعتزلة آراؤهم في الافعال
٢٧ المهية معية الله تعالى ٢١ مغرب
المغرب صلاتها ٤٦ مكارم الاخلاق في
الهيئة ١٤٣ المكايسة في المعاملة ١١٦
مكة ٦٧ و ٦٩ مكروهات الصلاة ٥١
الملكية حق الملكية ١٠٤ و ١١١ الملوك
صفاتهم وأخلاقهم ١٧٧ الملهوف اغانة
الملهوف ١٥٣ و ١٥٦ مناسك الحج
٦٩ المنافسة ٢٢٧ مندوبات الصلاة
٤٨ المنطق علم المنطق ٨٧ المنكر ازالة

العمال ١٦٥ كف الجوارح ٦٦
كفار ١٥ كفارة الصيام ٦٥ الكلام
٢٥ العلوم الكلامية ٨٦ الكون ١٥
الاكوان ٢٩٢

حرف الميم

المال حق الصاحب فيه ١٤٥ وكسبه
١٢٢ مبادئ مبادئ العلوم اللازمة
٩٩ المبادئ الصحيحة وجوب
التوقيف عليها ٢٤٩ مجاهدة مجاهدة
النفس ٢٣٣ المحاضرة والمسامرة
بين الاخوان ١٥٠ المحاسبة والمراقبة
٢٦٠ المحامد اكتسابها ٣٣٣ المحبة
والمودة ٢٢٦ محمد صلى الله عليه
وسلم ١٦ و ٣٤ محمد عبده مؤلف ١
و ٦ و ٩٦ محمد المغربي الصوفي ٢١
محي الدين بن العربي مؤلف ٣٠٨
و ٢٤٥ مخالفة مخالفته تعالى للحوادث
١٧ المدارس الصرف عليها ٦٣ تأسيسها
قديماً ١٧٢ المداعبة والملاعبة بين
الزوجين ١٣٦ المدن غوغاؤها ٢٣٠
المدينة ٦٧ و ٧٠ المراء ١٥٠ المرأة
الصالحة ١٢٩ و ١٣٤ المروءة ٢٨٧

أدب النفوس ٩٦ نفس الانسان
 المخاطبة ١٨٩ النفس والروح والقلب
 ١٩٠ النفس حفظها للمعلومات ١٩١
 النفس جنودها الباطنة ١٩٤ النفس
 أهمية تربيتها منذ الصغر ١٩٧ النفس
 مجاهدتها ورياضتها ٢٣٤ و ٢٣٥ —
 ٢٣٦ و ٢٤٩ و ٢٩١ النفقة الاعتدال
 والنوسط فيها ١٣٧ النقبات
 الكريمان خصائصهما وادخارهما ١٢٠
 النقل صناعة النقل ١١٦ النكاح
 ما يحرم فيه ١٣٣ النخبة شرها ٢٢٠
 النهار الليل والنهار ١٠ النوافل ٥٢
 نواميس الكون ١٥٩ النية ٢٤٧
 و ٢٤٨

حرف الهاء

هاجر السيدة هاجر ٦٧ الهدية
 اتحال اسمها ١٦٧ الهرج هرج الرعية
 شؤمه ١٨٦ الهيئة الاجتماعية ادب
 العشرة فيها ١٤٢ الهيئة علم الهيئة ٨٧

حرف الواو

واجبات الصيام ٦٥ الوتر ٥٣
 الوجدان عمله ١٩٠ و ١٩٥ وجوه

المنكر ١٥٤ المون الانسانية ١٥٤
 المهور ما يستحب فيها ١٣٥ الموارث
 والفرائض ١١٩ الموت الايمان بما
 بعده ١٥ الموسيقى والغناء ١١٨
 الميزان حق ٣٦

حرف النون

النار الجنة والنار ١٥ و ٢٦ نبوة
 نبوة الانبياء ١٦ النجاح ٢٣٥ و ٢٣٦
 النجارة صناعة النجارة ١١٣
 النحو الصرف ٨٧ و ٩٨ النساء
 أحوالهن الراهنة ١٣٣ مراعاة
 الادب في مخاطبتهن ١٥٦ نشاط
 التنشط في السعي بسبب العائلة ١٢٩
 النشر الحشر والنشر ١٥ و ٩١ نصح
 نصح الاخوان ١٤٥ و ١٤٩ النصفة
 بين الاخوات ١٤٩ النظافة
 ٣٩ و ٤٣ و ٢٨١ النظام نظام العالم
 دليل الصانع ١٥ قيام العام بالنظام
 ١٥٩ و ١٦٠ نظرية حدوث العالم
 ١٥ النعم زكاتها ٥٧ نعم الله تعالى
 المتواصلة ٢٦٧ النفس أدب النفس
 ١٤٣ و ١٨٩ و ٢٠٠ ومع الله ٢٤١ علم

الادب بحقههم وبرهم ١٤١ و ١٤٢
ولي أولياء الله تعالى ٢٥٥ الجهل
بحقههم ٢٧٢

حرف الياء

يثرب المدينة ٦٧ و ٧٠ يحيى أبو زكريا
يحيى بن عدي مؤلف ٢٠٨ اليمين
الكاذبة قبحها ٢٢٠

تمت

الخالق تعالى ١٣ الوحدانية ٧ الوحي
٢٥ الوراقة صناعتها ١١٥ الوزير آدابه
١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢ و ٢٨٩
الوشاية شرها ٢٢٠ الوصاية على
القصر آدابه ٢١١ الوضوء ٤٠٤ الوفاء
الاخوان ١٥٢ و ٢٢٩ الوقاحة
قبحها ٢٣١ الوقار ٢٣٠ وقت أوقات
الصلاة ٤٦ الوقف ٦٢ و ٢١١
وكالة ٢١١ ولد ايجاد الولد ١٢٥
ولد تربية الولد ١٣٩ الوالدون



فهرس

صفحة

٣ رفع الكتاب الى كريم الاعتاب

٤ مقدمة الطبعة الثانية

٥ مقدمة الكتاب

﴿ الباب الاول ﴾

(أدب الاعتقاد)

مبنى الاسلام على التوحيد — توحيد العرب قبل الاسلام —
 دلائل الكون المنصوبة للمقل الذالة على الصانع — الايمان بالرسول
 والملائكة — الايمان بما بعد الموت — تفصيل محجل — نظام
 العالم دليل الصانع — نظرية حدوث العالم — هو الاول والآخر
 — تعالى ان يكون جوهرأ متحيزاً — نفى الجسمية والعرضية —
 نفى الاختصاص بجهة — معنى الاستواء على العرش الرؤية —
 المعية — الصفات — القدرة — العلم الحياة — الارادة — السمع
 والبصر — الكلام — قدم الصفات — افعال الله تعالى — الجزء
 الكسبي الاختياري للانسان — نظرية تكليف بالايطاق — نظرية
 ايلام الخالق وتعذيبهم من غير جرم سابق — معرفة الله تعالى
 واجبة بايجاب الله — بعثة الرسل — بعثة سيدنا محمد صلى الله
 عليه وسلم — الحشر والنشر — سؤال الممسين — عذاب
 القبر — الميزان والصراط حق — الجنة والنار

﴿ الباب الثاني ﴾

(أدب العبادات)

العبادة — الطهارة — أقسام الطهارة — الوضوء — الغسل —
 التيمم — طهارة الثوب واجزاء البدن — النظافة من الايمان —
 الصلاة عماد الدين — خمس صلوات كتبهن الله — عدد الركعات
 وأوقات الصلوات — اركان الصلاة — المندوبات — تسبيح الركوع
 وتسبيح السجود — القنوت — مكروهات الصلاة — فريضة الجمعة
 — النوافل — الآذان والجماعة — روح الصلاة — فرض زكاة
 الاموال — على من تجب الزكاة ومقدارها — مقدار زكاة النعم —
 زكاة الزرع — لمن تصرف الزكاة — زكاة الفطر — الاوقاف والحبوس —
 الصوم وفضله — لوازم الافطار — سنن الصيام — آدابه الجميلة —
 ذكرى البيت الحرام — أركان الحج — فضل الحج — زيارة قبر
 النبي صلى الله عليه وسلم — القرآن الحبيب — أدب تلاوته —
 الذكر والدعاء والصلاة على النبي صلعم

٣٨

﴿ الباب الثالث ﴾

(أدب العلم)

شرف الانسان — فضل العلم — فضل التعليم والتعلم — العلم في
 الصغر — تفاضل العلوم — ابتداء امر العلم في الاسلام — العلوم
 التي اشتغل بها المسلمون — المقدار اللازم من العلم الذي هو فرض
 عين — أدب التوحيد — الفقه — علم التفسير — علم الادب — العلوم
 الآلية — ما يلزمنا الآن معاشر المسلمين بالنظر الى الجمهور

٧٩

﴿ الباب الرابع ﴾

(أدب العمل)

شرف وظيفة الانسان - فضل السعي في الدنيا - الخلق مسخرون
 في أعمالهم بصفة مخبرين - مبدأ الصناعة البشرية - حكمة الصناعة
 في الاسلام - الحث على اتقان الصنائع - امهات الصنائع - الفلاحة
 - صناعة البناء وفن العمارة - التجارة والحدادة - الوراقة -
 حرفة التجارة - صناعة النقل - الخدم - صناعة التعليم - الطب
 ١٠٠ - الغناء والموسيقى - جمع المال من حلال

﴿ الباب الخامس ﴾

(أدب المعاشرة)

الانسان مدني بالطبع - أصل الاجتماع بحسب المبدأ الاسلامي -
 الزواج - فوائده الزواج - التربية كراهة الزوج بغير قدرة بأكثر
 من واحدة - لزومه في الجمهور - اركان الزواج - آداب الزواج -
 الخصال التي تحرر في الزواج - أدب المعشرة بين الزوجين -
 تدبير المنزل - الادب بحق الوالدين - أدب المعاشرة مع الاخوان
 وعموم الهئية - حسن الخلق - الصداقة - اختيار الاصدقاء -
 حقوق الصحبة - حقوق وآداب الهئية الاجتماعية - حقوق الجوار ١٣٣

﴿ الباب السادس ﴾

(أدب الحكومة)

النظام الطبيعي - العدل أساس الملك - الأصول اللازمة من
الحكومة - الحكومة النيابية في الإسلام - بسط رواق الأمن -
العدل وضبط أحوال الرعية - ضرورة انتقاء العمال بالكفاءة
- الرشوة علة فساد الشرق قديماً - تنظيم الجندية من أهم دعائم
الملك - ولاية القيادة على الجند - مهمة الدولة بحق العلم - لضمان
سير الأمور - آداب الملوك الخصوصية - شأن الوزير - آداب
الوزير - اختيار العمال - حاشية الملوك ومقابلاتهم - طاعة
السلطان - احترام السلطان في شخصه ١٥٩

﴿ الباب السابع ﴾

(أدب النفس)

نفس الانسان المخاطبة - النفس والقلب والروح - الشرور
ومداخلها - جنود النفس وأعوانها - فرق ادراكات الانسان
والحيوان - استصلاح الارادة أهمية تربية الوجدان - تقسيم
أدب النفس ١٨٩

﴿ القسم الاول ﴾

(أدب النفس مع الخلق)

قوى النفس الحيوانية والممتازة - العقل الرشيد وسلطانة في
الدفع - مصادر أدب النفس والعقل - الأخلاق وتهذيبها - التربية
النفسية - شؤم الذنوب والردائل - آثار الذنوب اللاحقة -
أمهات الفضائل وأطرافها من الردائل - عدة من الفضائل -
الإخلاص - أداء الأمانة - البشر - الترفع - التواضع - الحلم
الرحمة - السخاء - سلامة النية - الشجاعة - الصبر - الصدق
- القناعة - كتمان السر - المحبة والود - المنافسة - الوفاء -
الوقار - جملة الأخلاق الفاضلة ومحاسنها - استئصال الردائل -
رياضة النفس - هل يمكن تغيير الخلق - معالجة النفس ٢٠٥

﴿ القسم الثاني ﴾

(أدب النفس مع الخالق)

الادب بحق الله تعالى - إملأ القلوب من عظمة الله - الإسلام
والإيمان - حال النفس المستكملة المطمئنة - التقوى - جماع الخير -
الإخلاص وصدق النية - تعريف النية - الإخلاص الحق -
المحبة لله تعالى - مقامات وأحوال النفس - الأخرى - الرجاء
والخوف - محاسبة النفس ومراقبتها - التوبة - الصبر - الشكر - التوكل
٢٤١ الزهد . التفكير

﴿ الباب الثامن ﴾

(خلاصة)

- مبادئ الاسلام في التوحيد والاعتقادات - الطهارة والصلاة
 الزكاة الصيام - الحج - القرآن - العلم - العمل - شأن الحكومة
 ٢٨٥ النفس وآدابها مع الخلق ومع الخالق
 ٢٩٥ رسالة الحكم النبوية
 ٤٠١ فهرست على حروف المعجم

(تمت الفهرست)

(تنبيه) وقع بعض خطأ مطبعي في هذا الكتاب
 نرجو القارئ فيه المَعذرة

